

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقما

لأخبار دول المغرب الاقصى



الدولة السعيدية

الجزء الخامس



تمحيق وتعليق ولدى المؤلف :

الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

اهداءات ٢٠٠٢

أد/محمد طه الحاجري

الاسكندرية

الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقفا

لأخبار دول المغرب الأقصى



الدولة السعيدية

الجزء الخامس



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف ماجي السعادة :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة السعدية

الخبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان
وذكر أوليتهم وتحقيق نسبهم

اعلم أن هؤلاء السعديين كانوا يقولون : ان أصل سلفهم من ينبع النخل،
من أرض الحجاز ، وانهم أشراف من ولد محمد : النفس الزكية رضى الله
عنه ، واليه كانوا يرفعون نسبهم ويقولون فى أول ملوكهم القائم بأمر الله
مثلا : هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على بن مخلوف بن زيدان بن
أحمد بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبى
محمد بن عرفة بن الحسن بن أبى بكر بن على بن حسن بن أحمد بن اسمعيل
ابن قاسم بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل بن حسن المنسى
ابن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فهم بنوعهم السادة
البلويين أشراف سجلماسة، يجتمعون معهم فى محمد بن أبى القاسم المذكور
فى النسب .

- قالوا : والسبب فى قدوم سلفهم من الحجاز الى المغرب ، أن أهل درعة
كانت لا تصيلح ثمارهم . وتعتبرها العاهات كثيرا ، فقيل لهم : لو أتيتم بشريف
الى بلادكم كما أتى أهل سجلماسة لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم ،
وقد كان أهل سجلماسة جاءوا بالمولى الحسن بن قاسم بن محمد بن أبى القاسم
من أرض ينبع فى قصة ظريفة تأتى فى محلها ان شاء الله ، قالوا : فأتى أهل
درعة بالمولى زيدان بن أحمد ، مضاهاة لاهل سجلماسة ، فعادت عليهم بركته .
واعلم أن هذا النسب الشريف المسرود آنفا فيه - كما قال اليفرنى - بتر بين

قاسم ومحمد النفس الزكية فانه لا يعرف في أولاد النفس الزكية من اسمه قاسم ، وانما هو قاسم بن محمد بن عبد الله الاشتهر بن محمد النفس الزكية ، ولعله سقط عن ذهن من الناسخ . وقيل الصواب انه قاسم بن حسن بن محمد ابن عبد الله الاشتهر بن محمد النفس الزكية .

واعلم أيضا أن ما زعمه هؤلاء السعديون من انتسابهم لهذا البيت الكريم هو المعروف عند الكافة وتلقاه فضلاء عصرهم بالقبول وأثبتوه في تقریضاتهم ومؤلفاتهم الموضوعة في أخبارهم . ومن الناس من يطعن في ذلك ، ونقله بعضهم عن الشيخ أبي العباس المقرئ صاحب « نفح الطيب » وانه صحح أنهم من بنى سعد بن بكر بن هوازن الذين منهم حليلة السعدية ، ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا النقل ضعيف لأن الشيخ المقرئ صرح في نفح الطيب بشرف هؤلاء السادة في غير موضع وهو من آخر ما ألف .

وممن طعن في نسبهم المولى محمد (فتح) بن الشريف السجلماسي أول ملوك السادة العلويين ، صرح بذلك في بعض الرسائل التي كانت تدور بينه وبين الشيخ ابن زيدان منهم قال فيها : « وقد اعتمدنا في ذلك ، بمعنى في عدم شرفهم ، على ما نقله الثقات المؤرخون لأخبار الناس من علماء مراكش وتلمسان وفاس ، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر فما وجدوكم الا من بنى سعد بن بكر » اهـ .

ويحكى شائعا عن الفقيه الورع المولى أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي - وكان من أهلصلاح والدين - أنه كان ذات يوم جالسا مع المنصور السعدى في بعض قصوره من حضرة مراكش ، وهما مجتمعان على خوان طعام ، فقال المنصور للشيخ أبي محمد : « أين اجتمعنا يا فقيه؟ » بمعنى في النسب ، فقال أبو محمد : « على هذا الخوان » ويروى : « في هذا المشور » فأسرهما المنصور في نفسه ولم يدها له إلى أن احتال عليه بما كان السبب في اتلاف مهبته ، فكان المنصور بعد ذلك يدعو الشيخ أبا محمد فيجلسه على الرخام في زمان كلب البرد وهيجانه من غير حائل ، وقد اتخذ المنصور ، فيما زعموا ، بلدة صوف داخل سراويله لا يحس معها بالبرد ، فإذا رأى أبو محمد

جالسا معه تجلد واستحى أن يقوم عن السلطان وتركه ، ويستمران على المذاكرة فى مسائل العلم ، فعل ذلك به أياما حتى سكتته علة البرد فلم يزل أبو محمد يشتكى من ذلك الى أن قضت عليه .

وأنكر هذا صاحب « نشر المثنى » ورده بتأخر وفاة ابن طاهر عن وفاة المنصور بأكثر من ثلاثين سنة .

وجواب أبى محمد هذا من النوع البائى المسمى : « بتلقى المخاطب بغير ما يترقب » على ما هو معروف فى كتب الفن ، وانما سأله المنصور لما مر من أن السعديين يزعمون أن جداهم قدم من ينبع أيضا كما قدم جد العلويين ، والعلويون ينكرون ذلك كل الانكار ويقولون : انهم لم يجتمعا معهم فى قبيل ولا دبير .

قال اليفرنى : « لكن صحح لنا غير واحد من أشياخنا أن الشيخ ابن طاهر رجع عن ذلك الانكار ، وإن المنصور أطلعه بعد ذلك على ظهير فيه خط الإمام ابن عرفة وشيخه ابن عبد السلام بثبوت نسبهم فاطمأنت نفس ابن طاهر لذلك فكان يصرح بصحة نسبهم بعد ذلك ويزجر من يطعن فيه اه .

قلت : وهذا هو الصواب اذ مستند من يطعن فى نسبهم عدم وضوحه ، ولا يلزم من عدم وضوحه عدم ثبوته فى نفس الامر ، والا فيبعد أن يكون هؤلاء المنكرون قد اطلعوا على احوال عمود نسبهم وما اشتمل عليه من الآباء والاجداد من لدن مبدئه الى منتهاه مع طول المدة وتناسخ الاجيال ، فالتقرير عن ذلك عسير جدا ، ولذا وكل الشارع أمر الانساب الى أهلها ، وجعلهم مصدقين فيها ، اذ لا تعرف غالبا الا من قبلهم . فهؤلاء السادة الزيدانيون لو فرضنا أنهم ما كانوا ملوكا ولا بلغوا من الشهرة الى حيث بلغوا ثم ادعوا هذا النسب الكريم فلا سبيل لاحد أن يدفعهم عنه الا بقاطع ، ولا قاطع كما علمت . نعم الحكاية المسوقة فى سبب دخولهم الى المغرب يظهر عليها أثر الصنعة والله أعلم بحقائق الامور .

وأما تسميتهم بالسعديين فقد قال اليفرنى : « ان هذه النسبة لم تكن لهم فى القديم ، ولا وقعت بها تحليتهم فى ظهائرهم ولا فى سجلاتهم وصدور

رسائلهم بل كانوا لا يقلون ذلك ولا يجترىء أحد على مواجهتهم به ، لأنه
انما يصفهم بذلك من يقدح في نسبهم ويطعن في شرفهم ويزعم أنهم من بنى
سعد بن بكر كما قلنا ، وكثير من العامة وأخوانهم من الطلبة يعتقدون أنهم
لأنما سموا بذلك لأن الناس سعدوا بهم ونحو ذلك مما لا معنى له « اهـ .
قلت : وانما نصفهم نحن بذلك لانهم اشتهروا عند الخاصة والعامة به
فصار كالعلم العرف المرتجل مع أنه لا محذور بعد تحقيق النسب وثبوت
الشرف ، والله تعالى يلهمنا الصواب بعنه وفضله .

الخبر عن دولة الامير ابي عبد الله محمد القائم بأمر الله وبيعه والسبب فيها



قال ابن القاضى فى «درة السلوك» : « لم يزل أسلاف السعدين مقيمين
بدرعة الى أن نشأ منهم أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله فنشأ على عفاف
وصلاح ، وحج البيت للحرام ، وكان مجاب الدعوة ، ولقى جماعة من العلماء
الاعلام والصلحاء العظام فى وفادته على الحرمين الشريفين ، أخبرنى بعض
الفضلاء أنه لقى رجلا صالحا بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل للصلاة والسلام
فأشار له بما يكون منه ومن ولديه ، وكان قد رأى رؤيا وهى : أن أسدين
خرجا من احليله فتبعهما الناس الى أن دخلا صومعة ووقف هو بابهما ،
فعبزت له رؤياه بأنه سيكون نولديه شأن ، ولأنهما يملكان الناس . ثم رجع الى
المغرب وهو معلن بالدعوة ، فيقول فى كل محفل : ان ولديه سيملكان المغرب
وسيكون لهما شأن من غير تردد منه ، ثقة بخبر الرجل الصالح وبرؤياه
المنذورة ، فما زال الى أن قام سنة خمس عشرة وتسعمائة « اهـ .

وقال صاحب «زهرة السمارين» ما صورته : «ان سبب قيام أبى غبذ الله القائم
أن أهل السوس أحاط بهم العدو الكافر ونزل بجوانبهم من كل جهة حتى
أظلم الجو ، واستحكمت شوكة البرتقال ، وبقي المسلمون فى أمر مريب

لعدم أميرتجتمع عليه كلمة الاسلام ، لان بنى وطاس فشلت ريجهم يومئذ
فى بلاد السوس ، وانما كان لهم الملك فى حواضر المغرب ، ولم يكن لهم منه
بالسوس الا الاسم ، مع ما كانوا فيه من قتال العدو بطنجة وآصيلا وحجر
بادس وغيرها من ثغور بلاد الهبط ، فلما رأى قبائل السوس ما دهمهم من
تفاقم الاحوال وكثرة الاهوال وطمع العدو فى بلادهم ذهبوا الى الشيخ
الصالح أبى عبد الله محمد بن مبارك الاقوى نسبة الى آفة من بلاد السوس ،
فذكروا له ما هم فيه من افتراق الكلمة وانتشار الجماعة وكذب العدو على
مباكرتهم بالقتال ومرلاوحتهم ، وطلبوا منه أن يعقدوا له البيعة وتجتمع كلمتهم
عليه فامتنع من ذلك ، وقال : « ان رجلا من الاشراف بتاجمدا رت(*) من درعة يقول :
انه سيكون له ولولديه شأن ، فلو بعثتم اليه وبايعتموه كان أنسب بكم وأليق
بمقصودكم » فبعثوا اليه وكان من أمره ما كان .

وقال اليفرنى : « رأيت بخط الفقيه العلامة أبى زيد عبد الرحمن ابن شيخ
الجماعة أبى محمد عبد القادر الفاسى ما صورته : ذكر لنا الولد عن سيدى
أحمد بن على السوسى البوسعيدى ان ابتداء دولة الشرفاء بالسوس أن بعض السادة
وهو سيدى بركات توسط فى فداء بعض الاسارى ، وأراد أن يكون مع النصارى
اتفاق على أن لا يحبسوا أسيرا ، فكلهم فى ذلك ، فقالوا له حتى يكون لكم
أمير ، فان ملككم قد ذهب واضمحل . قال : ثم ان بعض أهل السوس
ساروا الى قبيلة جسيمة (*) يكتالون الطعام فأخذتهم جسيمة وأكلوا متاعهم
وبغضتهم ، فذهبوا الى شيخهم ، وكان ذا حزم وتدبير ، فرد عليهم كل ما
ضاع لهم حتى لم يبق لهم شىء فلما رجعوا الى بلادهم قالوا : ان هذا الشيخ
الرئيس هو الذى يليق أن نبايعه ، فاجتمعوا وأتوه وطلبوا منه أن يرأسهم
فامتنع ، واحتاط لدينه واعتذر بشؤيش هذا الامر للدين ، ودلهم على رجل
شريف كان مؤذنا بدرعة فقال لهم : ان كان ولا بد ، فاقصدوا الشريف

(*) تاجمدا رت من أعمال فزواطة بوادى درعة قاعدتها الان هى أمزرو وتعتوى

على زاكورا وزاوية البركة وسرت وغيرها اه

(*) قبيلة من ناحية اكادير من جهة الجنوب على شاطئ البحر

الفلاني فانه يذكر أن ولديه يملكان المغرب ، فقصده ، وحملوه الى بلادهم وباعوه وفرضوا له من المؤنة ما يكفيه وأولاده ، وبقي هنالك في نحر الغدو ويروى أنه لما بايعه أهل السوس ورأى قلة ما بيده مع أن الملك لا يقوم الا بالملك ، احتال بان أمر أهل السوس أن يأتوه بيضة لكل كانون ، فاجتمع له من ذلك آلاف من البيض لاتحصى ، لان الناس اشتبهونوا أمر البيضة . فلما اجتمع عنده البيض أمر أن كل من أتى بيضة يأتي بدلها بدرهم ففعلوا ، فاجتمع له من ذلك مال وافر ، فأصلح به شأنه وقوى به جيشه ، وكانت تلك أول نائبة فرضت في دولة السعديين والله أعلم .

وقال ابن القاضي : « ان الامير أبا عبد الله القائم لما اجتمع بالشيخ ابن مبارك ببلده آفة وذلك سنة خمس عشرة وتسعمائة على ما مر فإخذه في شأنه ، ثم عاد الى مقره من درعة ، ثم في سنة ست عشرة ، بعدها بعث اليه فقهاء المصامدة وشيوخ القبائل ، ودعوه الى توليته عليهم وتسليم الامر اليه ، فقبضى دعوتهم ، وجاء الى قرية يقال لها تيدسى (*) قرب تازودانت . فبايعه الناس بها ، وأصبحوا معه بقلوب متفقة وأهواء على الجهاد مجتمعة » اهـ .

وقد ساق حنويل أولية هذه الدولة مسافا غربا ، ولا يخلو عن غائبة ، فلنذكر منه ما يقرب الى الصحة ، ويكون كالشرح لما مضى أو يأتي من أخبار هذه الدولة ، قال :

لما كان السلطان أبو عبد الله اللوطاسي ، يعنى البرتقالى ، أميرا بفاس ظهر في درعة رجال شريف يعنى أبا عبد الله جنحدا القائم بأمر الله ، قال : وكان هذا الشريف من قراء القرآن ، ومن أهل العلم والدين والفن والعلوم .

(*) اسم الموضعين أخذهما بدرعة قرب تاكمذارت المتقدمة الذكر التي منها اصل السعديين ولعلها كانت مقرا لهم فيما سبق قبل الملك كما يفهم عن رسالة وجهها محمد الشيخ بن زيدان الى مولاي محمد بن الشريف السجلماسي العلوي تضمنت ما نصه : « وانا من تيدسى احد القصور بوادى درعة الخ » وقربها من تاكمذارت يؤكد ذلك وييدسى الاخرى توجد بالقطر السوسى قرب تارودانت ولا زال الموضعان يعرفان معا بهذا الاسم الى يومنا هذا وبالله التوفيق هـ

ولم يكن من بيت الرياسة ، وكان له اطلاع على تواريخ قطره وعوائد جيله وأخلاقهم وطبائعهم ، ورأى ما وصل إليه ملك المغرب من الانحطاط والضعف وتيقن أنه لا يصعب عليه تناوله ، فاعمل في ذلك فكره ومكره ، وصار يحض الناس على القيام بأمور دينهم والامتناع لها ، وكان قد بعث ثلاثة من أولاده ، وهم : عبد الكبير ، وأحمد ، ومحمد إلى الحجاز بقصد الحج ، وكانت لهم فصاحة ورجاحة ومعرفة بإدارة الكلام ، فظهر لهم ناموس في تلك البلاد ، وأحبه الناس لا سيما أحمد ومحمد ، ولما رجعا من مكة أقاما بقاس ، وهي يومئذ دار الملك ، وترتب أحمد في مجلس بالقرويين لتدريس العلم ، فاكسب بذلك مباحا ، وتقرب محمد إلى السلطان حتى صار مؤدبا لأولاده ، وبقي على ذلك مدة ، وهذا في ذلك كله يتحيان إلى الناس ويسعيان في مذاهب الشهرة ، والبرتقال في أثناء ذلك ملج على الثغور واستلابها من أهلها ، ولم تكن تقوم للمسلمين معه راية ، فدعا ذلك الاخوين أحمد ومحمدا إلى أن ندبا السلطان ، وهو أبو عبد الله البرتقالي ، إلى المداة في الناس بالجهاد اظهوا للنصح ، وهذا يسران حسوا في ارتقاء ، وقصدهما تفرقة الكلمة على السلطان لا غير فاعتر السلطان بنصحهما وقال لهما : « لا أحد أولى منكما بالقيام بهذه الوظيفة ، فاجاباه إلى ذلك عن توفر داعية وكمال رغبة ، فأرسلهما يناديان ويستفسران الناس في نواحي المغرب إلى الجهاد ويحضن الناس عليه ، ويخطبان بذلك في المحافل ، ويعظان وتتبع الحواضر والبوادي ، وتقربا الأحياء والمداشر والقرى ، إلى أن وصلا إلى درعة حيث أبوهما وأخوهما عبد الكبير فاجتعا بهما إذا كراهما في أمرهما ، وانهما قد أشرفا على المراد ، وكادا بلجان الملك من بابيه ، لأن أهل تلك البلاد كانوا سامعين لهم من قبل اليوم فكيف بهم اليوم ، فحينئذ أخذ الأب وأولاده في نشر معائب الدولة للعامة ، ويقررون ذلك بفصاحتهم وجاهتهم ، وما أوتوه من القبول ، وعضدهم على ذلك شيوخ البلد وتبعهم الناس ، واجتمعوا عليهم من كل جهة ، وصار حالهم ينمو شيئا فشيئا إلى أن استبدوا على السلطان ولم يرجعوا إليه بعد . »

وقال في «نشر المثاني» : « كان السبب في قيام التبرقاء الزيدانيين واستدادهم

بملك المغرب أن الحرب نشبت بين النصارى وأهل السوس ودامت ، وكان بنو وطاس يمدون أهل السوس بالمال والعدد . فاتفق أن خرج الشريفسان محمد الشيخ وأخوه أحمد الأعرج للجهاد مع أهل السوس فظهر مكانهما في الجهاد ، فلما وفد على الوطاسي تلقاهما بالرحب ، وأقبل عليهما لاجل قيامهما بالجهاد ، وأعطاهما عدة وخيولا كثيرة ، فرجعا الى جهادهما ، ثم عادا اليه مرة أخرى فأعطاهما مثل ذلك وكانت لهما وقائع في النصارى ونكاية وظهور ، وصارا يكتبان الى القبائل فيساعدونهما على ذلك حتى اجتمعت عليهم جموع عديدة ، فحينئذ خلعا طاعة الوطاسي ودعوا لانفسهما ، اه .

قال منويل : وكان أكثر شهرة أمرهم بالسوس الاقصى ودرعسة وأعمالهما ، وصاروا يرفعون اليهم زكواتهم وأعشارهم ، ثم بايموهم ونهض هؤلاء الاشراف الى تارودانت فاستولوا عليها وحصنوها ، ثم زحفوا الى آكادير لحرب البرتقال فقاتلوه مدة ولم يفتح لهم ، وكانوا يشيعون انهم لا قصد لهم الا في الجهاد ومحاربة عدو الدين ، ومن هو سلم له من المسلمين اذ لم يتأت لهم اذ ذاك التصريح بخلع السلطان .

وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة تجاوزوا جبل درن الى بلاد حاحة والشياطنة ، ثم دخلوا بسيط . عبدة ، وكان بأسفى رجل منتصر على اسمه يحيى ابن تافوت (*) ، احتفى بالبرتقال من السلطان ، وكان معروفا بالشجاعة واتصل خبره بطاغية البرتقال منويل فولاد على النصارى وعلى أتباعه ممن المسلمين تأليفا له .

ولما زحف الاشراف الى بلاد عبدة كان بينهم وبين يحيى المذكور نصاراهم معركتان شديتان ، كان الظهور فيهما ليحيى ، لكن أبو العباس أحمد الأعرج تدارك أمره فوراً وجمع عسكرياً آخر وخطبهم ووعظهم وزحف الى يحيى المذكور ففضد وفض نصاراه الى أن انجسروا بأسفى وأغلقوه عليهم وأتيح لأحمد عليهم ما لم يتقدم لغيره فيهم فبذلك تآتى له أن يتناول ملك المغرب . ولما اتصل خبر هذا الظهور له بالسلطان الوطاسي لم يعجبه ذلك ، وظهر

(*) صوابه تمفقت كما رأيت مکتوبا في إحدى رسائله المطبوعة أصول التاريخ المغربي .

له ان ما كان أخذ وأخوه يخاولانه من أمر الجهاد لم يكن ظاهره كباطنه ،
 وتحقق له ذلك ما فعلوه من تحصين تازودانت مع ما كان لا يهتم من نفوذ الكلمة
 بالسوس .

وكان في هذا التاريخ بمراكش وأعمالها عامل اسمه ناصر بوششوف
 وكان مستبدا على الوطاسي ويذل له شيئا تأفها بقيقه به ، ولما مرت به غزوة
 الاشراف في أول أمرهم ناعين الى الجهاد أحسن اليهم غاية ، ولما أوفعوا
 وقعة آسفى أيرموا أمرهم مع ناصر أبى شتوف وأطهروا له المنجة والمؤلاة
 وطلبوا منه أن يظاھرم على جهاد العدو وأن يكونوا يدا واحدة وجندا واحدا
 عليه فأسعفهم ، وقدموا مراكش فدخلوها مرة ثانية وأحسن اليهم ، وبعد أيام
 خرجوا به للصيد فسموه في خبز صغير يسنى : القرشبات فهلك للخبز
 وصفا للاشراف مراكش وأعمالها اذ كان أهلها قد أجوهم وشرهوا اليهم ،
 ولما تم لهم أمر درعة والسوس ومراكش تسمى أحمد باسم الامير واشتخلف
 أخاه محمدا الشيخ .

ولما اتصل الخبر بالوطاسي وانهم استولوا على مراكش . ألقبه ذلك ،
 ومن مكر أحمد انه بعث اليه يقول : ما أنا الا واحد من عمالك ، وما كان
 يعطيه أهل هذه البلاد أبذله لك مضاعفا ، ومع ذلك لم يطمئن اليه . ثم هلك
 الوطاسي وولى مكانه ابنه أبو العباس أحمد وانقسمت مملكة المغرب ، فصارت
 فاس للوطاسي ومراكش وأعمالها لأبى العباس الاعرج ، وتازودانت والسوس
 ودرعة لمحمد الشيخ ، وأما عبد الكبير فانه كان استشهد قبل هذا في حرب
 البرتغال قرب آسفى .

ولما رأى أبو العباس الوطاسي استفحال أمر الاشراف وانهم أمسكوا
 غنمه ما وعدوا بأدائه لايه عزم على حربهم ، فجمع عسكرا عظيما وزحف الى
 مراكش فتحصن أحمد الاعرج بها وقدم عليه أخوه فظاھره على غنوده ،
 وفي أثناء تحصار الوطاسي لمراكش اتصل به الخبر بان أهل فاس قد قاموا
 عليه وباعوا بعض اخوته فرجع الى فاس وقبض على أخيه الثائر عليه ثم كراى
 مراكش بعسكر أعظم من الاول ، وفي هذه المرة برز اليه الاشراف خارج

البلد ، ثم تقدموا اليه فكان اللقاء على أبي عقبة من تادلا ، ووفعت بينهم حرب هائلة ، لأن الوطاسيين كانوا يرون أن هذه الحرب هي الفصل بينهم وبين عدوهم والأشراف كذلك . وحضر هذا الحرب أبو عبد الله ابن الأحمر سلطان الأندلس المخلوع وأبلى بلاء حسنا حتى قتل ، وكان الظهور للأشراف يرجع انوطاسي مقلولا الى فاس وترك مجلته بما فيها من مدافع وغيرها بيد عدوه ، وبعد هذه الواقعة استولى الأشراف على تافيلالت ، وملكوا أكادير وآبجي وآزمور ، لأن اليرتقال كانوا قد تخلوا عنها ، ثم عن قريب حدث بين الأخوين للنفرة وحاول رجال دولتهما الوفاق بينهما فلم يتفقا ، وكانت الكرة على أحمد ، وفر ابنه زيدان الذي كان عضد أبيه في الحروب الى تافيلالت فاستولى عليها ، واقتلها عن عمه محمد الشيخ . ثم زحف الشيخ الى فاس فحاصرها الى أن قبض على الوطاسيين وغربهم الى درعة ، اه كلام منويل . ثم نرجع الى سيفة الخبر عن هذه الدولة حسبما عند اليفرنى وغيره .

اخبار الامير ابي عبد الله القائم في الجهاد وما هيا الله له من النصر فيه

لما استتب أمر الامير أبي عبد الله القائم واجتمعت كلمة القبائل البوسية عليه ندب الناس الى مقارعة البرتقال وجهاده ، ونفيه عن نفور المغرب وبلاده ، وكانت معه يومئذ جموع حافلة من المسلمين فصدوا معه الى النصارى وناوشوهم الحرب ، فأتاح الله للامير أبي عبدالله الفتح والنصر ، ونثر أشلاء الكفار بمخالب الظفر ، وأخرج حية الغي من جحرها ، وأعاد كلملة الإسلام الى مقرها ، فلما رأى المسلمون ذلك تيمنوا بطلعته وتفاءلوا بطايرهم الميمون وقيقته ، وزادهم ذلك محبة فسى جانبه وتعظيما في مكانته ، ولما فصل من جهاده عاد الى محله المذكور من تيدسى ، فوقع بينه وبين بعض الرؤساء هنالك منافرة أدت الى ارتحاله عنها وعوده الى درعة ، فلم يزل مقيما بها الى سنة ثمان عشرة وتسعمائة فرجع الى مكانه من تيدسى ، وأطمأنت به دارها

وأزال الله عنه ما كان أزعجه عنها ، والله غالب على أمره .

عقد الامير أبى عبد الله القائم ولاية العهد لابنه أبى العباس الاعرج
رحمهم الله تعالى



فد تقدم لنا ما كان من أمر الرؤيا التى رآها الامير أبو عبد الله القائم
فى شأن ولديه وانهما يملكان المغرب . وفى معنى ذلك أيضا ما يحكى شائعا أن
ولدى أبى عبد الله المذكور ، وهما أبو العباس الاعرج وأبو عبد الله الشيخ
كانا يقرآن فى مكتب ، وهما صبيان ، فدخل ديك فوثب على رأس كل
منهما وصرخ ، فأول ذلك مؤدبهما بانهما سيكون لهما شأن . فمضى أجل هذا
ونحوه كان والدتهما يعلنان بأن أمر المغرب صائر اليهما ، فلما قضى الله بيعته
واجتماع الناس عليه واطمأنت به فى البلاد السوسية الدار ، وطاب له بها المقام
والقرار ، ندب الناس الى بيعة أكبر ولديه وهو الامير أبو العباس أحمد
المعروف بالاعرج فبايعوه ، وكان ذلك مبدأ ظهور أمره على ما نذكره ان شاء
الله تعالى .



انتقال الامير ابى عبد الله القائم الى افعال من بلاد حاحة
ووفاته بها رحمه الله



ثم ان أبا عبد الله القائم وفد عليه أشياخ حاحة ولشياظمة لما بلغهم من
حسن سيرته ونصرة لوائه فشكوا اليه أمر البرتقال ببلادهم وشدة شوكه
واستطالته عليهم ، وطلبوا منه أن ينتقل اليهم هو وولده الى العهد المذكور ،
فأجابهم الى ذلك ونهض معهم هو وابنه أبو العباس الى الموضع المعروف بأفعال
من بلاد حاحة ، وترك ولده الاصغر أبا عبد الله الشيخ بالسوس يرتب الامور

٥. مجيء السلطان أبي عبد الله الوطاسي (*) الجندبى اركش

وحصاره للسلطان الاعرج بها ثم اقلعه عنها



لما استولى السلطان أبو العباس الاعرج على مراکش وصفا له أمرها اتصل خبره بصاحب فاس أبي عبد الله الوطاسي ، المعروف بالبرتقالى ، فأقبل فسي جموع عديدة مع وزيره ابن عمه المسعود بن الناصر ، ويقال مع أخيه الناصر فلما رأى السلطان أبو العباس ما لا قبل له به تخصص بمراكش وشحن أسوارها بالرماة والمقاتلة ، وزحف الوطاسي الى الحاضرة فغصب الانفاض عليها ووالى الرمي عليها أياما ، واشتد الامر على الناس فكان من ذهابهم الى الشيخ الغزواني ، وخروجه الى باب الخميس وقوله عند اصابة الرصاصة له انها خاتمة حربهم ما قدمناه فى أخبار الوطاسيين مستوفى . ثم كان اللقاء بعد ذلك بين الفريقين انما يكون فى تادلا وأعمالها على ما مر . والله أعلم .



خر آسفى والنغور



رأيت فى تواريخ الفرنج أن البرتقال خرجوا من آسفى سنة ألف (*) وخسمائة وثلاثين مسيحية ، وهذا التاريخ يوافقه من سنى الهجرة سنة

(*) الذى حاصر مراکش هو أبو العباس الوطاسي لأن اباه ابا عبد الله مات قبل هذا التاريخ على ما عند المؤرخ كمور فى تأليفه المعنون : « بتاريخ استيلاء الشرفاء على المغرب » . (*) قرر البرتقال اخلاء آسفى فى السنة التى ذكر المؤلف وقعه خلاف بينهم فى ذلك وبقي الامر موقوفا الى سنة ١٥٤١ ميلادية الموافقة لعام ٩٤٨ هـ فتم اخلاؤها حينئذ نهائيا لما افتح المسلمون حصن فونتي عنوة ولما اخلت امر السلطان أبو العباس الاعرج بحرستها وتحصينها راجع صفحة ٢٧٩ وصفحة ٢٨١ من كتاب تاريخ المغرب تأليف... كواساك دوشافريير HISTOIRE DU MAROC PAR COISSAC DE CHAVREBIERE

ثلاث وثلاثين وتسعمائة، وهى وسط دولة السلطان أبى العباس . وزعم هذا المؤرخ أنهم خرجوا منها من قبل أنفسهم ، وتقلوا جميع ما كان فيها من عدة وأثاث الى الجديدة بعد ما خربوها وأفسدوها وأوقدوا فيها النار ، قال: وبقيت اثني عشرة سنة وهى مخربة الى أن أصابها السلطان محمد الشيخ يعنى السعدى الآتى ذكره .

وفى «الزهوة» : ما يقرب من هذا فانه قال بعد ذكر إيقاع السلطان أبى العباس بنصارى السواحل ما نصه : ويقال ان انتصارى لما رأوا ما فعل بمن كان منهم بالسوس من القتل والسبى أخذوا ثغر آزموور ورباط آسفى وأصيلا من غير قتال . ثم نقل هذا الخبر فى محل آخر عن ابن القاضى منسوباً الى أبى عبد الله الشيخ وسيأتى ذكره فى محله . وأظن أن الاخلاء كان متكررا والله أعلم . وعلى كل حال ، فذكر أصيلا هنا غير مناسب اذ هى يومئذ فى جهة الوطاسيين وتخومهم فما بال نصاراها يخرجون فرارامنها خوفاً من السعدين وليسوا مجاورين لهم ولا متوقعين هجومهم عليهم ؟ ثم كان بعد هذا بين أبى العباس السعدى ، وأبى العباس الوطاسى من الحرب والسلام ما تقدم بيانه ، كوقعة آنماى : ووقعة أبى عقبة وغيرهما مما لا فائدة فى اعادته .

|||||

حدوث النفرة بين الاخوين السلطان ابى العباس الاعرج

ووزير ابى عبد الله الشيخ وماتشاعن ذلك



كان السلطان أبو العباس رحمه الله من الشهامة والصرامة واستفحال الامر بالمحل الذى وصفناه قبل ، وكان أخوه أبو عبد الله الشيخ أصغر سنا منه وكان تحت طاعته وإقفا عند اشارته ، وكان السلطان أبو العباس يستشيرهم فى أموره ، وبفاوضه فى مهماته ، ويستعين بنجدته فى الزحوف والمعارك ، ويستضىء برأيه فى الحوادث والحوالك ، وكان الشيخ ثاقب الذهن نافذ البصيرة مصيب الرأى حازما شهما ، فكانت كلمتهما واحدة ، وأمرهما جميعا (الاستمعا . خامس - 2)

إلى أن دخل الوشاة بينهما فافسدا قلوبهما وأنضى الحال إلى المصافاة والمقاتلة، وانقسم الجند حزبين، وانصرفت كل طائفة إلى متبوعها وصاحب أمرها، وتقاتلا مدة، وكانت جل القبائل السوسية صاغية إلى الشيخ لما كان نشأ بين أظهرهم وسبروه من نجاته وكفائته منذ تركه أبوه عندهم عند انتقاله إلى آفقال حسبما مر، فاستفحل أمره وغلب على أخيه أبي العباس فقبض عليه واستولى على ما بيده واجتمعت كلمة أهل السوس عليه، ثم أودع أخاه وأولاده السجن ووسع عليهم في الجرايات والنفقات، وأصبح ملكا مستقلا بعد أن كان وزيراً، وكان ذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة.

وفي «نشر المثنائي»: أن قبض الشيخ على أخيه أبي العباس الأعرج كان سنة إحدى وخمسين وتسعمائة والاول أصبح. ولم يزل السلطان أبو العباس وأولاده في حكم التقاف إلى أن قتل (*) يوم مقتل أخيه الشيخ بعد ثمان عشرة سنة أو نحوها حسبما يأتي إن شاء الله. وكانت دولته من يوم يوبع إلى أن قبض عليه أخوه ثلاثاً وعشرين سنة، وكان من حجابيه: محمد بن علي الانكراطي اليملائي، ومحمد بن أبي زيد المنزاري، ومن كتابه: سعيد بن علي الحامدي رحمهم الله.



امر زيدان ابن السلطان ابي العباس وما كان منه



قال صاحب «درة الحجال»: اختلف الناس هل يوبع لزيدان بن الاعرج بعد وفاة أبيه أم لا وقال شارح «زهرة الشماريق»: كان زيدان بن أبي العباس بسجلماسة ويوبع له بها فلم يتم أمره وقضى إلى أن توفي سنة ستين وتسعمائة.



(*) بل بعد قتل أخيه بثلاثة أيام لما وصل الخبر بذلك لمراكش.

الحبر عن دولة السلطان أبى عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ
ابن الامير أبى عبد الله القائم بامر الله



كانت ولادة السلطان أبى عبد الله محمد الشيخ سنة ست وتسعين
وثمانمائة، ويلقب بالشيخ وبأفغار، وهو الشيخ بالبربرية، ويلقب من الألقاب
السلطانية: بالمهدي. لقبه به غير واحد من أئمة عصره، ونشأ في عفاف وصيانة،
وعنى بالعلم في صغره، وتعلق بأهدابه، فاخذ عن جماعة من الشيوخ، وبلغ
فيه الى درجة الرسوخ.

❦

فتح حصن فوثنى وآسفى وآزمور وما قيل في ذلك



لما استقل السلطان أبو عبد الله الشيخ بأمر السوس واجتمعت كلمته
عليه صرف عزمه الى جهاد العدو الذى بثغوره وحصونه، وأرهف حده
لتطهيرها من بقايا شعبة وزبونه، فانتصر عليهم واستأصل شأفتهم وقطع من تلك
النواحى دابرهم وحسم آفتهم.

قال ابن القاضى : « كان الشيخ رحمه الله ماضى العزيمة قوى الشكيمة
عظيم الهية، كثير الغزوات ذا هممة عالية وشهامة غالية، فعد قواعد الملك وأسس
مبانيه، وأحى مراسم الخلافة الدارسة ومعالمها الطامسة، وكان له سعد وبخت
عظيم فى الجهاد ويد يضاء فى الاسلام، فتح حصن النصارى بالسوس يعنى :
حصن فوثنى، بعد أن أقاموا فيه اثنتين وسبعين سنة، وكان منصورا بالرعب حتى
تركوا له آسفى وآزمور وآصيل من غير قتال ولا إيجاف عليهم، اهـ . ونحوه
فى تاريخ البرتقالين، زاد مؤرخهم أن ذلك كان باذن طاعتهم صاحب أشبونة
وقد تقدم نحو هذا فى أخبار الاعرج والجواب عنه، وكان فتح فوثنى سنة
سبع وأربعين وتسعمائة كما فى النزهة، وفتح آسفى سنة ثمان وأربعين

بعدها كما فى المرأة ، وعند البرتقالين أن ذلك كان سنة ألف وخمسمائة
واثنتين وأربعين مسيحية وهو موافق لهذا التاريخ الهجرى .
وفى «الدوحة» (*) «لما أخلى النصارى آزمور تسارع إليها جماعة من
الفقراء منهم الشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفين جبل العرض من فاس ،
والشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسى دفين تانسيفت قرب مراكش ، فعدوا
بها يحرسونها حتى يأتى مدد المسلمين ومن يعمرها منهم مخافة أن يرجع
إليها العدو فإذا به قد رجع واقتحمها عليهم وأسروهم إلى أن افكهم المسلمون .»
قال منويل : « كان فداؤهما بالفى ريال ومائتى ريال بالثنية فيهما » ،
ولما أئدى الشيخ الكوش وعزم على الخروج ، وكان أسيرا عند امسرة
نصرانية ، ناولته كبا للمسلمين وقالت له : « هذه كنب كانت عندى ولا حاجة
لى بها فخذها اليك » ، فأخذها وخرج بها فى قفة على رأسه فكان من جملتها .
كتاب «تنبيه الانام» الموضوع فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فكان ذلك
أول دخوله لهذه البلاد على يد الشيخ المذكور ، اه .

بناء حصن أكادير

قال الشيخ أبو العباس ابن القاضى « فى كتابه : «المنتقى المقصور» : كانت
للأمير السلطان أبى عبد الله الشيخ مآثر حسنة منها أنه أول من اختط مرسى
أكادير بالسوس الأقصى سنة سبع وأربعين وتسعمائة لما أجلى النصارى من
الموضع المعروف بفوتتى على مقربة من أكادير المذكور وكان له فى اختطاطه
رأى مصيب وفراسة تامة ، اه .

استيلاء السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ على مراكش وتجديد البيعة له بها



كان السلطان أبو عبد الله الشيخ بعد القبض على أخيه واستقلاله بالامر قد أقام بالبلاد السوسية مثابرا على جهاد العدو الى أن قلع عروق مفسدته منها ، وكانت مراكش في هذه المدة قد توقفت عن بيعته وتربصت عن الدخول في دعوته ، اتقاء للوطاسيين وارتياء في أمره الى ماذا يأول ، واستمر الحال الى سنة احدى وخمسين وتسعمائة فانقادت له حينئذ وبايعه أهلها فقدمها واستولى عليها وخلص له جميع ما كان بيد أخيه المخلوع من تادلا الى وادي نول . والله غالب على أمره .



نهوض السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ لحرب بنى وطاس واستيلاؤها على مكناسة وما اتفق له في ذلك



لما استولى السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ على مراكش وصفت له أعمالها طمحت نفسه للاستيلاء على بقية بلاد المغرب وأمصاره . وقطع جرنومة الوطاسيين من سائر أقطاره . فجمع الجموع وتقدم بها الى أعمال فاس فلم يزل يستفتحها بلدا بلدا ومصرأ مصرأ الى أن أتى عليها أجمع وكان أول ما ملك منها مكناسة الزيتون فانه افتتحها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار وقتال كبير .



حصار السلطان ابي عبد الله الشيخ حضرة فاس ومقتل الشيخ عبد الواحد الوائشري رحمه الله

كان السلطان أبو عبد الله الشيخ قد ألح على فاس بالقتال وحاصرها حصارا طويلا، ولما عسر عليه أمرها بحث عن ذلك ف قيل له : لا سبيل لك اليها ولا يبايعك أهلها الا اذا بايعك ابن الوائشري يعنون : الشيخ الفقيه أبا محمد عبد الواحد بن أحمد الوائشري رحمه الله ، فبعث اليه السلطان المذكور سرا ووعدته ومناه ، فقال له الشيخ عبد الواحد : «بئس هذا السلطان ، يعنى أبا العباس الوطاسي ، في رقبتي ولا يحل لي خلعها الا لموجب شرعي ، وهو غير موجوده ، وزعم بعضهم أن السلطان المذكور كتب إلى أهل فاس يقول لهم : « اني ان دخلت فاسا صلحا ملائمتها عدلا وإن دخلتها عنوة ملائمتها قتلًا » . فاجابه ابن الوائشري بآيات أغلظ له فيها منها قوله :

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا خصك المولى بفضل ولا أولى
كذا في «النزهة» . قلت : وهذا البيت من آيات قديمة والوائشريسي انما
تمثل به لا غير . فقد ذكر العلامة (*) ابن خلدون في أخبار بني صالح بن
منصور الحميري أصحاب قلعة نكور لاول الفتح أن عبيد الله المهدي العبيدي
صاحب افريقية لما تغلب على المغرب خاطب سعيد بن صالح منهم يدعوه الى
أمره وكتب له في أسفل كتابه :

فان تستقيموا استقم لصلاحكم وان تعدلوا عني أرى قتلكم عدلا
وأعلموا بسيفي قاهرا لسيوفكم وأدخلها عنوا وأملأها قتلا

فاجابه سعيد بن صالح بآيات من نظم شاعره الطليطلي نصها :

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصل
وما أنت الا جاهل ومناقق تمثل للجهال في السنة المثلى

(*) اصل ما ذكره ابن خلدون في « مسالك البكري » فقد ذكر القصة والشعر عند
كلامه على قلعة نكور .

وسمنا العلياً بدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى
فلعل الشيخ كتب لاهل فاس باليتين الاولين والواشرينى كان مطلعا على
القضية فأجابه بجوابهما .

ولما بلغ ذلك السلطان الشيخ حقد على الواشرينى ودس الى جماعة من
المتلصصة بان يأخذوه ويأتوا به الى محلته محبوسا من غير قتل ، وكان الشيخ
عبد الواحد يقرأ صحيح البخارى بجامع القرويين بين العشامين وينقل عليه
كلام ابن حجر فى «فتح البارى» ويستوفيه لانه شرط المحبس ، فقال له «بئنه» ياأبت
انى قد سمعت أن اللصوص أرادوا القتل بك فى هذه الليلة فلو تأخرت عن
القراءة . فقال له الشيخ: «أين وقفنا البارحة؟» ذال «على كتاب القدر!» قال «فكيف
نفر من القدر؟» اذا اذهب بنا الى المجلس ، فلما افترق المجلس خرج الشيخ عبد
الواحد من باب الشماخين ، أحد أبواب المسجد المذكور ، فثار به اللصوص
وأرادوا حمله فأخذ باحدى عضادتى الباب ففرب أحدهم يده فقطعها ، وأجهز
عليه الباقون فقتلوه باب المسجد المذكور فى السابع والعشرين من ذى الحجة
سنة خمس وخمسين وتسعمائة .

قال الشيخ المنجور فى فهرسته : واشتهر عن الفقيه الصالح أبى عبد الله محمد
ابن ابراهيم المدعو بأبى شامة أنه رأى الشيخ عبد الواحد فى المنام بعد مقتله فسأله
عن حاله فأنشأ يقول :

لقد عمنى رضوان ربى وفضله	ولم أر الا الخير فى وحشة القبر
وانى أسأل الاله بفضله	ليحفظنى يوم الخروج الى الحشر
وما بعد ذاك من أمور عسيرة	كشكر الكتاب والمروور على الجسر



استيلاء السلطان ابي عبد الله الشيخ على فاس وقبضه على الوطاسيين وتغريبهم الى مراكش



ثم ان السلطان ابا عبد الله الشيخ جد في حصار فاس وألح عليها بالقتال الى أن ملكها واحتوى عليها .

قال في «الدوحة»: «لما ألح السلطان الشيخ بالحصار على فاس جاءه الشيخ أبو الرواين المحجوب وقال له : « اشتري مني فاسا بخمسمائة دينار » فقال له السلطان : « ما أنزل الله بهذا من سلطان هذا شيء لم تأت به الشريعة » فقال: « والله لا دخلتها هذه السنة » فبقى أشهراً والامر لا يزداد الا شدة ، فقال ابن السلطان ، وهو الامير أبو محمد عبد القادر ابن الشيخ لايه : « يا أبت افعل ما قال لك الشيخ أبو الرواين ، فانه رجل مبارك من أولياء الله تعالى . » ولم يزل به حتى أذن له في الكلام معه ، فكلمه الامير عبد القادر ، فقال له : « ادفع للمال » فدفعه اليه ، فقال له : « عند تمام السنة يقضى الله الحاجة وأمرى بامرء سبحانه . » ثم ان الشيخ أبا الرواين فرق المال من يومه ولم يمسك منه لنفسه حبة ، ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور في الظهور الى أن انقضت السنة فدخل فاساً كما قال « اه .

وقال صاحب «المتع»: «والشيخ أبو الرواين هو كان أحد الاسباب في تمكن السلطان المذكور من الملك واخراج بنى وطاس عنه ، فانه لما رأى اضطراب أمر الناس وهيجان التصارى على المسلمين جعل ينادى : « يا حيران جىء . » فاني قد أعطيتك الغرب!» وذلك قبل ظهور السعديين ، ولم يكن الناس يدرون ما يقول حتى ظهر الحيران . وهو : أحد أولاد السلطان ابي عبد الله الشيخ ،وهو الذى كان يتقدم للحرب ولم يفتح والده من البلاد الا ما فتح له على يده .

وكان دخول السلطان الشيخ الى فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة ، ولما دخلها قبض على الوطاسيين أجمع وبعث بهم مصفدين الى مراكش عدا

أبا حسون منهم فانه فر الى الجزائر مستجيرا بتركها حسبما مر .
وقال اليفرنى : « لما دخل الشيخ حضرة فاس دخلها عليه وعلى أصحابه
الدراعات الصفر وسمة البداوة لائحة عليهم ، فحملوا أنفسهم على التسادب
با داب الحاضرة والتخلق بأخلاقهم يعنى حتى رسخ فيهم ذلك ، والله أعلم .

ﷺ

نهوض السلطان ابي عبد الله الشيخ الى تلمسان واستيلاؤه عليها



قد قدمنا ما كان من استيلاء حسن بن خير الدين التركى على تلمسان ،
وانقراض دولة بنى زيان منها سنة ائتين وخمسين وتسعمائة ، فلما فتح أبو
عبد الله الشيخ حضرة فاس فى التاريخ المتقدم تافت نفسه الى الاستيلاء على
المغرب الاوسط ، وكان يعز عليه استيلاء الترك عليه مع انهم أجانب من هذا
الاقليم ودخلاء فيه ، فيقبح بأهله وملوكه أن يتركهم يغلبون على بلادهم ، لا
سيما وقد فر اليهم عدو من أعدائه وعيص من أعياص أقتاله ، وهو أبو حسون
الوطاسى ، فرأى الشيخ من الرأى واطهار القوة فى الحرب أن يبدأهم قبل أن يبدأوه
فنهض من فاس قاصدا تلمسان فى جموعه الى أن نزل عليها وحاصرها تسعة
أشهر ، وقتل فى محاصرتها ولده الحران ، وكان نابا من أنيابه وسيفا من
سيوفه ، ثم استولى الشيخ على تلمسان ودخلها يوم الاثنين الثالث والعشرين
من جمدى الاولى سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، ونفى الترك عنها ، وامتشر
حكيمه فى أعمالها الى وادى شلف ، واتسعت خطة مملكته بالمغرب ، ودانت له
البلاد ، ثم كرت عليه الاتراك وأخرجوه من تلمسان ، فعاد الى مقره من فاس ،
ثم عاود غزو تلمسان حين بلغه قيام رعاياها على الترك وانحصار الترك بقصبتها ،
فأقام مرابطا عليها أياما فامتعت عليه ، وأقلع عنها ولم يعاود غزوها بعد ذلك
وخلص أمرها الى الترك على ما ذكره .

امتحان السلطان أبى عبد الله الشيخ أرباب الزوايا والمنتسبين والسبب في ذلك

السلامة

لما كانت سنة ثمان وخمسين وتسعمائة أمر السلطان أبو عبد الله الشيخ بامتحان أرباب الزوايا والمتصدين للمشيخة خوفا على ملكه منهم لما كان للعامة فيهم من الاعتقاد والمحبة والوقوف عند اشاراتهم، والتعبد بما يتأولونه من عباراتهم، ألا ترى أن بيعة والده أبى عبد الله القائم لم تنعقد إلا بهم، ولا ولجيت الملك الامن بابهم، فامتنح جماعة منهم كالشيخ أبى محمد الكوش، فاخلى زاويته بمراكش وأمر برحيله الى فاس .

وفى «الدوحة» : «لما امتحن السلطان أبو عبد الله الشيخ زوايا المغرب قيل لابی على الحسن بن عيسى الصباحى دفين الدعاع التى على وادى مضى . من عمل القصر : «ألا تخشى من هذا السلطان؟» فقال : «انما الخشية من الله ومع هذا فالماء والقبلة لا يقدر أحد على نزعهما ، والباقى متروك لمن طلبه . » وكان السلطان المذكور يطالب أرباب الزوايا بودائع أمراء بنى مريـن ويتهمهم بها . وبعث خديمه يوما الى الشيخ أبى عثمان سعيد بن أبى بكر المشتركى دفين مكناسة يطالبه بشيء من ذلك فوجده جالسا بناحية زاويته يضفر الدوم واذا بطائر، لعله اللقلاق سلخ أمامه فما رفع أبو عثمان بصره حتى سقط الطائر ميتا متطاير اليريش ، فلما رأى الخديم ذلك فزع وولى هاربا . قاله فى «المتع» والله تعالى أعلم :



وفادة الامام ابى عبد الله الخروبى من جانب دولة الترك فى شأن قسم البلاد وتحديدها



لما كان من السلطان أبى عبد الله الشيخ ما كان من غزوه تلمسان مرتين وكان يحدث نفسه بمعاودة غزو تلك البلاد عيئت دولة الترك من جانبها الفقيه الصالح أبى عبد الله محمد بن على الخروبى الطرابلسى نزيل الجزائر ودفنيتها للوفادة على السلطان المذكور فى شأن عقد المهادنة وتحديد البلاد ، فقدم عليه الفقيه المذكور وهو بمراكش سنة احدى (*) وستين وتسعمائة فى هذا الغرض ، فآكرم السلطان أبى عبد الله وفادته ، الا أنه لم تظهر ثمرة لمقدمه .

وفى «المرآة» : «أن أبى عبد الله الخروبى قدم المغرب الاقصى مرتين فى سبيل السفارة بين ملوك المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، فآخذ عنه كثير من أهل المغرب الأقصى ، وأخذ هو عن الشيخ زروق رحمه الله ، وفى مقدمة الخروبى هذه الى مراكش أنكر على الشيخ أبى عمرو القسطلى دفين رياض العروس من مراكش حلق شعر التائب الذى يريد الدخول فى طريق القوم ، وقال : «انه بدعة» (*) فقالوا له : «ان الشيخ الجزولى كان يفعل به » فقال لهم : «لعله باذن ، والاذن له لا يعمكم ، فان الاذن للنبي يعم أتباعه ، والاذن للولى لا يعم أتباعه » وأنكر عليه مسائل كثيرة ، وبعث اليه رسالة أقذع له فيها وقد وقعت عليها * رحم الله الجميع بمنه . وتوفى الخروبى هذا سنة ثلاث وستين وتسعمائة ودفن بخارج الجزائر والله أعلم .

(*) الذى فى «النزهة» سنة تسع وخمسين وهو الصواب .

(*) انظر «ممتع الاسماع» فقد اشبع القول فى مسألة حلق شعر التائب .

* راجع فهرسة المرغشى تجددها هناك . قال فى «الممتع» وقد اجاب ابو محلى النائر الشهير الخروبى عن رسالته منتصرا للشيخة القسطلى اه .

قدوم ابي حسون الوطاسى بجيش الترك واستيلاؤه على فاس ونفيه الشيخ عنها



قد قدما ما كان من استيلاء السلطان أبى عبد الله الشيخ على فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة وقبضه على بنى وطاس وفرار أبى حسون الى الجزائر فلم يزل أبو حسون عند تركها الى أن قدم بهم مع باشاهم صالح التركمانى ، فاستولى على فاس ثالث صفر سنة احدى وستين وتسعمائة ، ونفى أبى عبد الله الشيخ عنها حسبما مر الخبر عنه مستوفى .



عود السلطان ابي عبد الله الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها



لما فر السلطان أبو عبد الله الشيخ من وقعة الترك بفاس ووصل الى مراکش صرف عزمه لقتال أبى حسون ، فاستنفر قبائل السوس ، وجمع النجموع ، وزحف الى فاس فدارت بينه وبين سلطانها أبى حسون حروب شديدة كان فى آخرها الظفر للشيخ ، فقتل أبى حسون واستولى على فاس ، وصفا له أمر المغرب ، وقد تقدمت هذه الاخبار مستوفاة فى محلها ، وكان استيلاء السلطان الشيخ على فاس يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة احدى وستين وتسعمائة .

وفى «الدوحة» : أن دخول أبى حسون لفاس كان سنة ستين وتسعمائة ، وعود السلطان الشيخ اليها واستيلاؤه عليها كان فى ذى القعدة سنة ستين أيضا ، والله تعالى أعلم .



مقتل الفقيهين ابى محمد الزقاق وابى على حرزوز والسبب فى ذلك



لما استولى السلطان أبو عبد الله الشيخ على فاس فى هذه المرة أمر بقتل الفقيه الصالح قاضى الجماعة بفاس أبى محمد عبد الوهاب بن محمد بن على الزقاق لانه اتهمه بالميل الى أبى حسون .

ويحكى أنه لما مثل بين يديه قال له : « اختر بأى شىء تموت » فقال له الفقيه : « اختر أنت لنفسك » فان المرء مقتول بما قتل به « فقال لهم السلطان : « افطعوا رأسه بشاقور » فكان من حكمة الله وعدله فى خلقه أن السلطان المذكور قتل به أيضا كما سيأتى .

وفى كتاب « خلاصة الانر » : أن الشيخ الزقاق كان يقول : « من قتل سوسيا كان كمن قتل مجوسيا » فلما قبض عليه الشيخ قال له : « أنت زق الضلال » فقال له : « لا والله » بل أنا زق العلم والهداية » ثم قتله .

وأمر أيضا بقتل خطيب مكناسة الزيتون الشيخ أبى على حرزوز المكناسى لكلام بلغه عنه ، وانه كان يذكره فى خطبه ويحذر الناس من اتباعه والانقياد اليه ، ويقول فى خطبته : « جاءكم أهل السوس الأقصى البعاد » ثم يذكر الشيخ ويقول : « واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل » والله لا يحب الفساد ، واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ، ولبس المهاد . فى كلام غير هذا . وكان مقتل الفقيهين المذكورين فى ذى القعدة سنة احدى وستين وتسعمائة .



ترتيب السلطان ابي عبد الله الشيخ امر دولته وما قيل في ذلك



قال اليفرنى : « كان السلطان أبو عبد الله الشيخ مولعا بتدبير أمر الرعية مستيقظا في أموره حازما غير متوقف في سفك الدماء » قال : « ويحكى أنه لما دخل فاسا دخلها وعليه وعلى أصحابه سمة البداوة فحملوا أنفسهم على التأدب بآداب أهل الحاضرة والتخلق باخلاقهم . » وذكر ان ملك السعديين انما تأنق على يد رجل وامرأة ، فاما الرجل : فقامم الزرهونى ، فانه رتب للسلطان أبى عبد الله الشيخ هيئة السلاطين في ملابسهم ودخولهم وخروجهم وآداب أصحابهم ، وكيفية منولهم بين أيديهم وأما المرأة : فالعريفة بنت خجوفانها علمته سيرة الملوك في منازلهم وحالاتهم في الطعام واللباس وعاداتهم مع النساء وغير ذلك ، فأكسى ملك الشيخ بذلك طلاوة ، وازداد في عيون العامة رونقا وحلاوة بسبب جريانه على العوائد الحضريّة ، لان أهل البادية مسترذلون في عيون أهل الحاضرة ، قالوا : ولم يزل السلطان أبو عبد الله الشيخ يدور على مدن المغرب وأمصاره ويطليل الإقامة بفاس .

قال في المنتقى : ومن مآثره : أنه بنى جسر وادى سبوء وجسر وادى أم الربيع . وتقدم بناؤه حصن آكادير . والله تعالى أعلم .



وضع الوظيف المسمى في لسان العامة بالنائبة



قد تقدم لنا في صدر هذا الكتاب اختلاف العلماء في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحا أو غير ذلك ، وعلى القول بأنها فتحت عنوة فهي خراجية كما هو مقرر في كتب الفقه ، وتقدم لنا أيضا أن أول من وظف الخراج على أرض المغرب عبد المؤمن بن علي ، وتبعه بنوه على ذلك . وفقا نهجهم بنو مرين وفي الظهير الذى كنبه السلطان أبو زيان المرينى لابن الخطاب أيام مقامه بسلا شاهد بذلك . ولما جاء السعديون من بعدهم سلكوا هذا السبيل أيضا .

وفول اليفرنى : ان أبا عبد الله الشيخ أول من أحدث النائبة بالمغرب يحمل على أنه أول من أحدثها على الوجه الاتى بيانه ، وذلك أنه لما صفا للسلطان أبى عبد الله الشيخ أمر المغرب واستأصل جرنومة بنى وطاس منه التفت الى ترتيب ملكه وتهذيب أعطافه وتأسيس أمور دولته كما قلنا ، فمن ذلك : أنه فرض على قبائل المغرب الضريبة المسماة فى لسان العامة بالنائبة ، ولم ينزه عنها شريفا ولا مشروفا ، حتى أرباب الزوايا و المنتسبين ، ومنهم أولاد الشيخ أبى البقامخالد المصمودى ، مع ما كان لايهم من الشهرة بالولاية والصيت فى بلاده . وكان قدر هذه النائبة صحيفة من الشعر وعشرين مدا من القمح لكل نائبة . وصاعا من السمن وكبشا لكل أربع نواثب ، وكانت تفرض فى زمان الشيخ على الكوئين ، وتوظف على حسب السكان ، وتدفع باعيانها ، وجرى على ذلك ولده الغالب بالله وأخوه المعتصم ، ولما جاء المنصور من بعدهم قوم تلك الاعيان بسعر الوقت وصارت تدفع دراهم ، ثم ازداد ذلك الى أن خرج الامر عن القياس واتسع الخرق على الراقع ، والله لا يظلم متقال ذرة .

مزاولة السلطان سليمان العثمانى للسلطان أبى عبد الله الشيخ

وما نشأ عن ذلك

قد قدمنا ما كان من غص السلطان أبى عبد الله الشيخ بمكان الترك من تلمسان والمغرب الاوسط ، وانه غزاهم مرتين ، وقدم الامام أبو عبد الله الخروبى ساعيا فى الهدنة فلم يرجع بطائل . وكان السلطان الشيخ يقول فيما زعموا : لا بدلى أن أغزو مصر وأخرج الترك من أجارها ، وكان يطلق لسانه فى السلطان سليمان العثمانى ويسميه بسلاطان الحواتة . يعنى لان الترك كانوا أصحاب أساطيل وسفر فى البحر ، فأنهى ذلك الى السلطان سليمان فبعث اليه رسلة فهذا سبب المراسلة على ما فى «النزهة» .

وأشبه منه بالصواب ما حكاه بعضهم قال : لما بلغ خبر انقراض الدولسة الوطاسية الى السلطان سليمان العثمانى واستيلاء السعديين على ملك المغرب

الاقصى كتب الى الشيخ يهنئه بالملك ، ويلمس منه الدعاء له على منابر المغرب ،
وبعث اليه بذلك رسولا في البحر ، فاتهى الى الجزائر ومنها قدم الى مراکش
فى البر . ولما وصل الى السلطان أبى عبد الله الشيخ أنزله على كبير الاتراك فى
محلته صالح باى المعروف بالكاهية ، وكان هؤلاء الاتراك قد انحاشوا الى
الشيخ من بقايا القادمين مع أبى حسون ، فضمهم اليه وجعلهم جندا على حدة ،
وسماهم اليكشارية بالياء ثم الكاف ثم الشين ، وهو لفظ تركى معناه العسكر
الجديد . ولما قرأ السلطان أبو عبد الله الشيخ كتاب السلطان سليمان ووجد فيه
أنه يدعو له على منابر المغرب ويكتب اسمه على سكتة كما كان بنو وطاس حمى
أنفه وبارق وأرعا . وأحضر الرسول وأزعجه ، فطلب منه الجواب ،
فقال : « لا جواب لك عندى حتى أكون بمصر ان شاء الله وحينئذ أكتب
لسلطان القوارب » فخرج الرسول من عنده مذعورا يلتفت وراءه الى أن وصل
الى سلطانه وكان من أمره ما نذكره .

|||||

قدوم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثمانى

وأغتيالهم للسلطان أبى عبد الله الشيخ رحمه الله



لما خرج رسول السلطان سليمان العثمانى من عند السلطان أبى عبد الله
الشيخ ووصل الى الجزائر ركب البحر الى القسطنطينية فاتهى اليها ، واجتمع
بالوزير المعروف عندهم بالصدر الاعظم ، وأخبره بما لقي من سلطان المغرب ،
فانهى الوزير : ذلك الى السلطان سليمان فأمره أن يهى العمارة والعساكر لغزو المغرب
فاجتمع أهل الديوان وكرهوا توجيهها ، واتفق رأيهم على أن عينوا اثنى عشر
رجلا من فناء الترك وبذلوا لهم اثنى عشر ألف دينار ، وكبوا لهم كتابا
الى صالح الكاهية كبير عسكر الشيخ ، ووعده بالمال والمنصب ان هو نصح
فى اغتيال الشيخ وتوجيه رأسه مع القادمين عليه .

وفى «الزهره» : « أن صالحا هذا كان من ترك الجزائر جاء فى جملة الطائفة الموجهين لاغتيا لالشيخ ، والله أعلم . ثم دخل اللوزير على السلطان سليمان واعتذر اليه عن توجيه العمارة ، وقال : « هذا أمر سهل لا يحتاج فيه الى تقويم عمارة ، وهذا المغربى الذى أساء الادب على السلطان يأتى رأسه الى بين يديك » فاستصوب رأيهم وشكر سعيهم وأمر بتوجيه الجماعة المعينة فى البحر الى الجزائر ، ومنها يتوجهون الى مراكش فى البر ؟ ففعلوا ، ولما وصلوا الى الجزائر هياؤا أسبأبا واشتروا بغالا وساروا الى فاس فى هيئة التجار فباعوا بها أسبأبهم ، وتوجهوا الى مراكش ، ولما اجتمعوا بصالح الكاهية أنزلهم عنده ودبر الحيلة فى أمرهم الى أن توجهت له .

وفى «الزهره» : « أن هؤلاء الاتراك خرجوا من الجزائر الى مراكش مظهرين أنهم فروا من سلطانهم ، ورغبوا فى خدمة الشيخ والاستبحار به . ثم ان صالحا الكاهية دخل على السلطان أبى عبد الله الشيخ وقال يامولاي : « ان جماعة من أعيان جندالجزائر سمعوا بمقامنا عندك ومنزلتنا منك فرغبوا فى جوارك والتشرف بخدمتك وليس فوقهم من جند الجزائر أحد وهم ان شاء الله السبب فى تملكها » فامرء بادخالهم عليه ولما مثلوا بين يديه رأى وجوها حسنا وأجساما عظاما فكبرهم ، ثم ترجم له صالح كلامهم ، فافرغ فى قلب المحبة والنصح والاجتهاد فى الطاعة والخدمة ، حتى خيل الى الشيخ أنه قد حصل على ملك الجزائر ، فامرء باكرامهم وان يعطيهم الخيل والسلاح ، ويكونوا يدخلون عليه مع الكاهية كلما دخل ، فكانوا يدخلون عليه كل صباح لتقيل يده على عادة الترك فى ذلك .

وصار الشيخ يعث بهم الى أشياخ السوس مناوبة فى الامور المهمة ليتصرفوا فى البلاد ويعرفوا الناس . وكان يوصى الاشياخ باكرام من قدم عليهم منهم ، واستمر الحال الى أن أمكنتهم فيه الفرصة وهو فى بعض حركاته بجبل دون بموضع يقال له : آلكلال بظاهر تارودانت ، فولجوا عليه خياه ليلا على حين غفلة من العسس ، فضربوا عنقه بشاقور ضربة أبانوا بها رأسه ، واحتملوه فى مخلاة ملاؤها نخالة وملحا وخاضوا به أحشاء الظلماء وسلكوا طريق درعة

وسجلهماسة كأنهم ارسال تلمسان لثلا يظفن بهم أحد من أهل تلك البلاد ، ثم أدركوا ببعض الطريق فقاتلت طائفة منهم حتى قتلوا ونجا الباقون بالرأس ، وقتل مع الشيخ تلك الليلة الفقيه مفتى مراکش أبو الحسن على بن أبي بكر السكتاني . والكاتب أبو عمران الوجاني .

ولما شاع الخبر بان الترك قتلوا السلطان والاستراب الناس بجميع من بقى منهم بالمغرب أغلق اخوانهم الذين كانوا بتارودانت أبوابها واقتسموا الاموال واستعدوا للحصار ، ولما بويح لابنه الغالب بالله وقدم من فاس نهض في العساكر الى تارودانت للاخذ بنار أبيه من الترك الذين بها فحاصروهم مدة ، ولما لم يقدر منهم على شيء أعمل الحيلة بان أظهر الرحلة عنهم وأشاع أنه راجع الى فاس لثائر قام بها . ولما أبعد عنهم مسيرة يوم خرجوا في اتباعه ليلا والعيون موضوعة عليهم بكل جهة الى ان شارفوا محلة السلطان الغالب بالله فعطف عليهم ، ولما لم يمكنهم الرجوع الى تارودانت تحيزوا الى الجبل وبنوا به قباظهم ، وجعلوا عليها المنارزات من الاحجار وتحصنوا بها وأحاطت بهم العساكر من كل جهة ، فقاتلوا الى أن فنوا عن آخرهم ولم يؤخذ منهم أسير ، وقتلوا من محلة الغالب بالله ألفا ومائتين . وأما الذين نجوا بالرأس فانهضوا الى الجزائر وركبوا البحر منها الى القسطنطينية ، فواصلوا الرأس الى الصدر الاعظم ، وأدخله على السلطان سليمان فامر به أن يجعل في شبكة نحاس ، ويعلق على باب القلعة فبقى هنالك الى أن شفّع في انزاله ودفنه ابنه عبد الملك المعتصم ، وأحمد المنصور حين قدما القسطنطينية على السلطان سليم بن سليمان مستعدين له على ابن أخيهما المسلوخ كما يأتي . وكان مقتل للشيخ رحمه الله يوم الاربعاء التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة أربع وستين وتسعمائة . ولما بلغ خبر مقتله الى خليفته بمراكش القائد أبي الحسن على بن أبي بكر آزرناك بادر بقتل أبي العباس الاعرج المخلوع وأولاده ذكورا واناثا كبارا وصغارا خشية أن يخرجهم أهل مراكش فيايعوه . ولما قتلوا لم يتجرأ أحد على دفنهم فبقوا مصرعين حتى دفنهم الشيخ أبو عمرو القسطلي الولي الشهير بمقرية من ضريح الشيخ الجزولي وهي القبة التي قرب الضريح المذكور تسمى قبور

الاشراف ، وأما السلطان أبو عبد الله الشيخ فأنهم حملوا جثته الى مراكش
فدفنت بها قبلى جامع المنصور بروضة السعدين وقبره شهير بها الى الآن
ومما نقش على رخامة قبره هذه الايات :

وطللت لحدته منها غمامات	حتى ضريحا تغمدته رحمانات
هبت من الخلد لى منها نسيمات	واستشقن نفحة التقديس منه فقد
من أجلها السبعة الارضين ظلمات	بحر به كورت شمس الهدى فكست
وأثبتت سهمها فيها المنيات	يا مهجة غالها غول الردى قنصا
وارتج من بعدك السبع السموات	دكت لموتك أطواد العلا صعقا
من الملائك ألحان وأصوات	وشيعت نعثك المزجى الى عدن
تدور منها عليه الدهر كاسات	يا رحمة الله عاطيه سلاف رضا
دار لعام الهدى المهدي جنات	قضى فوافق فى التاريخ منه حلى

|||

بقية أخبار السلطان أبى عبد الله الشيخ وسيرته

|||

كان السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ يلقب من الالقاب السلطانية
بالمهدى ونشأ فى عفاف وصيانة وعنى بالعلم فى صغره وتعلق باهلادبه ، فأخذ
عن جماعة من الشيوخ ، وبلغ فيه درجة الرسوخ ، حتى كان يخالف القضاة
فى الاحكام ، ويرد عليهم فتاويهم فيجدون الصواب معه ، وقع ذلك منه مرارا ،
وله حواش على التفسير وذلك مما يدل على غزارة علمه .

وقال فى «المتقى» : « كان السلطان أبو عبد الله الشيخ رحمه الله أديبا
متفنا حافظا حدثنى شيخنا أبو راشد أنه كان ممتع المجلسة والمذاكرة نفى
الشبهة عظيم الهية ما رأيت بعد شيخى أبى الحسن على بن هرون أحفظ منه
للمقطعات الشعرية وكثيرا ما ينشد :

الناس كالناس والايام واحدة والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

وكان حافظا للقرآن فهما جدا ، حافظا لصحيح البخارى ، ويستحضر ما للناس عليه ، ويقول فى شرح ابن حجر : « ما صنف فى الاسلام مثله » عارفا بالتفسير وغيره ، وكان يحفظ ديوان المتنبى عن ظهر قلب ، وكان يحض على المشاورة ويقول : « لا سيما فى حق الملوك » وينشد قول المتنبى :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وكان يقول : « ينبغي للملك أن يكون طويل الامل فان طول الامل وان كان لا يحسن من غيره فهو منه صالح لان الرعية تصلح بطول أمله » وكان يقول : « من طول أمله أخذ تلمسان وسبته وغيرهما » انتهى .

وقوله انه كان يحفظ ديوان المتنبى ، سببه ما ذكره فى الدوحة قال : أخبرنى الوزير اعظم أبو عبد الله محمد بن الأمير أبى محمد عبد القادر بن السلطان أبى عبد الله محمد الشيخ الشريف قال : « لما غدرت قبيلة المنابهة بجدة السلطان المذكور وأنجاه الله من غدرتهم عرف الشيخ أبا محمد عبد الله ابن عمر بذلك فكتب اليه يقول : « أين أنت ، من قول أبى الطيب المتنبى : غاض الوفاء فما تلقاه فى عدة وأعوز الصدق فى الاخبار والقسم »

قال : « فعكف السلطان المذكور على ديوان المتنبى حتى حفظه كله ولم يعزب عنه بيت ولاحد » اه . وابن عمر المذكور هو أحد أشياخ السلطان المذكور وهو أبو محمد عبد الله بن عمر المضرى الفقيه الفرضى الحاسب ، فقيه درعة وعالمها ، وكان قد وفد على السلطان المذكور أيام كونه بالسوس ، ولما عاد الى درعة سألته فقهاؤها كيف وجدت أهل السوس ؟ فقال : « وجدت فقهاءهم على ضعيف الفتاوى ، وقراءهم على عظيم الدعاوى ، وعامتهم على كثير المساوى » .

ومن أشياخ السلطان المذكور : الامام الشهير شيخ الجماعة بالهققم السوسى أبو الحسن (*) على بن عثمان التاملى ذكره فى «المنتقى» وأثنى عليه ، ومن أشياخه : علامة فاس ومحققها أبو عبد الله محمد بن أحمد اليستى ، أخذ عنه علوما منها التفسير . قال المنجور : « وكنت أنا قارئه بين يدى أمير

المؤمنين أبى عبد الله الشيخ المذكور وكان شديد المحبة له ، قال : « ولما توفى
الافقيه المذكور وذهبت مع ولده صبيحة تلك الليلة التى توفى بها لنخبس
السلطان بوفاته وجدناه يقرأ ورده بحمام المرنى ، فخرج السلطان بنا وهو
يكى بصوت عال يفزع من سمعه ، حتى رأينا منه العجب وما سكت الا بعد
مدة ، لما كان يعلم منه من صحة الدين والنصح لخاصة المسلمين وعامةهم ،
وحضر جنازته ، ، وكانت وفاته رحمه الله سنة تسع وخمسين وتسعمائة ،
وللسلطان المذكور عدة أشياخ غير هؤلاء .

ومن وزرائه : الرئيس أبو الحسن على بن أبى بكر أصناك الحاجى ،
وأبو عمران موسى بن أبى جمدى العمرى وغيرهم .

ومن قفاته بفاس : أبو الحسن على بن أحمد الخصاصى ، وبمراكش :
أبو الحسن على بن أبى بكر السكتانى رحم الله الجميع .

وكان للسلطان أبى عبد الله الشيخ عدة أولاد نجباء ، ومن أنجبهم أبو
عبد الله محمد المعروف بالحران القليل على تلمسان ، ومنهم أبو محمد عبد
الله الغالب بالله ، وأبو مروان عبد الملك الغازى ، وأبو العباس أحمد المنصور
وهؤلاء الثلاثة ولوا الامر بعد أبيهم ، ومنهم : الوزير أبو محمد عبد القادر
وتوفى فى حياة أبيه سنة تسع وخمسين وتسعمائة .

وفى «نشر المثاني» : أنه قتل مخنوقاً بأمر أخيه عبد الله الغالب بالله سنة خمس
وسبعين وتسعمائة فالله أعلم . ومنهم عثمان وعبد المؤمن ، وعمر وغيرهم .

قال المتجور فى فهرسته : « حضرت يوما مجلس أمير المؤمنين أبى عبد
الله الشيخ ، وقد حضر عنده أولاده الصناديد الامراء : المولى محمد الحران ،
والمولى عبد القادر ، والمولى عبد الله ، فدخل شيخنا الامام أبو عبد الله يستنى
فلما نظر اليهم حول أبيهم أشد بيت تلخيص المفتاح :

فقلت عسى أن تبصرنى كأنما بنى حوالى الاسود الحوارد

فأعجب ذلك السلطان وأولاده رحمة الله عليهم .

الحبر عن دولة السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله

ابن السلطان محمد الشيخ رحمه الله



كانت ولادة السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله كما رأيته مرقوما على الرخامة التي على قبره في رمضان سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ، وكسان رحمه الله أدعج العينين ، مستدير الوجه عريضه ، أسيل الخدين ، مشرف الوجنتين ، ربة للقصر ، ونشأ في عفاف وصيانة ، وحفظ القرآن ، وأخذ بطرف صالح من العلم ، وكان ولي عهد أبيه ، وكان يلقب من الألقاب السلطانية : بالغالب بالله لقبه به غير واحد من الأئمة . ولما واقته الانباء بمقتل أبيه وهو بفاس بايعه أهلها ولم يتخلف عن بيعته منهم أحد .

وذكر صاحب «زهرة السماريخ» : أن الفقيه الميقاتي المعدل بمنار القرويين أبا عبد الله المزوار ، وكان بصيرا بعلم الأحكام والحدثان ، بينما هو ذات ليلة يرقب الطالع والغارب ، وقد ابهار الليل واسود ديجوره ، رأى طالع السلطان الشيخ قد سقط ، وكانت بينه وبين ابنه أبي محمد عبد الله وصلة ، فأسرع في الذهاب اليه ليخبره بما رأى فلما بلغ باب فاس الجديد وجده مغلقا فاستأذن الموكلين به في فتحه فأبوا ، فقال لهم : « اني جئت الى الخليفة ، يعني خليفة السلطان ، في أمر مهم عنده ، وان لم تعلموه بمكانتي الساعة لحقكم منه غدا ما تكرهون ، فأنذروا الخليفة المذكور به فحمل اليه ، وسأله عن قضيتيه ، فاجبره بما رأى ونعى اليه أباه ، فلم يكذب في ذلك وتهايا واستعد ، فلم تمض الا أيام فلائل حتى واقته الانباء بمقتل أبيه في تلك الساعة التي قال له المعدل المذكور ، فصادفه الحال على أهبة واستعداد ولما بلغ أهل مراكش مبايعة أهل فاس له وافقوا عليها ، فستوسق له الامر وتمهد له ملك أبيه . وكان ذلك كله في المحرم سنة خمس وستين وتسعمائة .

محيى حسن بن خير الدين التركي الى فاس ورجوعه منهزما عنها

قال ابن القاضي : لما ولي السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله الخلافة اشتغل بتأسيس ما بيده وتحصينه بالعدد والعدة ولم تطمع نفسه الى الزيادة على ما ملك أبوه من قبله .

وفى سنة خمس وستين وتسعمائة ، فى جمدى الاولى منها ، غزاه حسن بن خير الدين باشا التركي صاحب تلمسان فى جيش كثيف من الاتراك ، وخرج اليه السلطان الغالب بالله فالتقيا بمقرية من وادى اللبن من عمالة فاس ، فهكأت الدبرة على حسن ، فرجع منهزما يطلب صياصي النجبال الى أن بلغ الى باديس ، وكانت يومئذ للترك ، ورجع الغالب بالله الى فاس لكنه لم يدخلها لوباء كان بها يومئذ ، ولما رجع من حركته هذه أمر بقتل أخيه عثمان لآمر نقمه عليه فقتل فى السنة المذكورة . والله تعالى أعلم .

بناء جامع المواسين بحضرة مراکش والبركة المتصلة به والمارستان

وغير ذلك

قال اليفرنى : « وفى عشرة السبعين وتسعمائة أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الأشراف بحومة المواسين من مراکش ، والسقاية المتصلة به التى عليها مدار المدينة المذكور ، والمارستان الذى ظهر نفعه ووقف عليه أوقافا عظيمة ، قلت : وهذا المارستان هو الذى بحومة الطالعة قرب السجن ، وقد اتخذ اليوم سجنا للنساء ، قال : وهذا السلطان هو الذى جدد أيضا بناء المدرسة التى بجوار جامع ابن يوسف اللمتونى ، وليس هو الذى أنشأها كما يعتقد كثير من الناس بل الذى أنشأها أولا هو السلطان أبو الحسن المرينى رحمه الله حسبا ذكره ابن بطوطة فى رحلته ، وشاع على اللسان أن السلطان الغالب بالله توصل الى بنائها بصناعة الكيمياء ، وإن الشيخ أبا العباس أحمد بن موسى السملالى علمه

اياها حين تلعذله كما سيأتى .

قال البقرى : « وهو كذب ، فان المنقول عن الشيخ المذكور انكارها وما كان ليفتح على مسلم بابا عظيما من أبواب الفتنة وسببا بليغا من أسبأء المحنة ، لان هذه الحرفة من أعظم أبواب الفتن ، وقد أجمع أرباب البصاء على التحذير من تعاطيها لوجوه ثلاثة ؛ أولها : انها من المستحيلات كما ذكر ابن سينا مستدلا عليه بقوله تعالى : « لا تبدل لخلق الله ، وكما انه ليس في قدرة المخلوق أن يحول القرد انسانا والذئب غزالا كذلك ليس في قدرته أن يصير الرصاص فضة ، والنحاس ذهابا يعنى ، لان ذلك من باب قلب الحقائق وهو محال . ولقد تناظر رجلان فيها فقال مجوزها : « أتنكر ما تشاهده في الصب وتصير الجسد الاحمر أصفر والابيض أسود ؟ فقال مانعها : « لا أنكر ذلك لان الصبغ ليس بتفسير أصل ، وانما أنكر أن ثوب الصوف الابيض ترده صناع الصبغ قطنا أو حريرا أحمر أو أخضر ، وأما الصبغ فلا شك أن النحاس يصير أبيض ولا يخرج منه ذلك عن أصله ولا يسلب عنه اسم النحاس بل يقال في نحاس أبيض كما لا يسلب صبغ الصوف عنه اسم الصوف . ثانيها : سلمنا أنه جائزة الوجود لكنها معدومة في الخارج كما ذهب اليه أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله اذ قال : « ثلاث متفق على وجودها في الغالب ، وقد اتفق على عدم رؤيتها أهل المشارق والمغرب : الكيمياء ، والعقلاء ، والعول . وأخبارها كله على وجه السماع والاسنادات وحكايتها كالموضوعات عن العجماء والجمادات . ثالثها : سلمنا أنها موجودة في الخارج لكنه يحرم تناولها والبيع والشراء بها .

وقد سئل عنها الشيخ أبو اسحق التونسي رحمه الله فقيل له : « أحلال هي اذا كانت خالصة ؟ » فقال : « لو دبر النحاس أو غيره من الاجساد حتى صار ذهابا خالصا لاشك فيه فمتى لم يقل بائعه لمبتاعه هذا كان نحاسا أو جسدا من الاجساد فدبرته حتى صار ذهابا كما ترى لكان غاشا مدلسا . » قال : « ومتى ذكره لم يشتد أحد منه ذلك بفلس ، ويقول : فكما دبرته حتى صار ذهابا فكذلك يدبره غيرك حتى يرجع الى أصله . فمن لم يبين فيها فهو داخل في قوله عليه

الصلاة والسلام : « من غشنا فليس منا » فتكون صناعتها حراما ، وقيل لبعض الفضلاء : « لم لم تعمل بهذه الصناعة فانها تسلي خاطر ؟ » فقال : « قيل للحمار : لم لم تجتر ؟ » فقال : « أكره مضغ الباطل » وانشد :

فقلت لأصحابي هي الشمس ضوءها قريب ولكن في تناولها بعد ،
 اه ما نقله اليفرنى ملخصا مهذبا ، وهو الحق الذي لا عوج فيه ولا
 أمت . ثم قال : وبالجمل فماشاع عن السلطان الغالب بالله من ذلك لأصل له ،
 ولقد كان أهل الورع يجتنبون الصلاة في جامع الاشراف بعد ما بنى مدة
 ويقال : ان موضع ذلك الجامع كان مقبرة لليهود والله تعالى أعلم .



فتح مدينة شفشاون وانقراض أمر بني راشد منها



تقدم أن مدينة شفشاون حرسها الله بناها بنو راشد من شرفاء العلم ،
 وكانوا أهل جهاد ومراطة على العدو ببلاد غمارة والهبط ، ولما توفي مختطها
 الامير أبو الحسن على بن موسى بن راشد بقيت بيد أولاده يتولون رياستها .
 قال في « المرأة » : ولم يزلوا فيها بين سلم وحرب الى أن حاصرهم بها الوزير
 أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ السعدى بجيوش
 عمه السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله ، وصاحب شفشاون يومئذ
 الامير الفاضل أبو عبد الله محمد بن الامير أبي الحسن على بن موسى بن
 راشد ، فلما اشتد عليه الحصار خرج فيمن اليه من أهله وولده وقرابته
 وصعدوا الجبل المطل على شفشاون في مسلك وعر صحتهم فيه السلامة وذلك
 ليلة الجمعة الثاني من صفر سنة تسع وستين وتسعمائة ، وساروا الى ترغنة
 فركبوا منها البحر يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور . واستقر الامير أبو عبد
 الله بالمدينة المنورة الى أن مات بها رحمه الله .



حصار البريجة المسماة اليوم بالجديدة



قد قدمنا ما كان من بناء البرتقال لمدينة الجديدة وتحصينهم لها بما فيه كفاية ، وكانت غارات المسلمين المجاورين لهم لا تنقطع عنهم وكذلك هم سائر مقامهم بها ولما كانت سنة سبع وستين وتسعمائة جهز اليها السلطان الغالب بالله جيشا كشيئا ، واستنفر لها قبائل الحوز ، وعقد عليهم لابنه محمد المعروف بالسلوخ قبيل وادى المخازن ، وكان يومئذ ابن عشرين سنة على ما قيل ، واستوزر له القائد المجاهد الشاعر الفاضل أبا زيد عبد الرحمن بن تودة العمراني ، وجعل اليه أمر الحرب ، وابن السلطان صورة ، فزحف اليها وحاصرها أربعة وستين يوما وملك بعض أسوارها ولم يقض الله بفتحها . وفي «الزهره» : « ذكر أن القائد ابن تودة دخل البريجة التي فرب آزموور وأخذ أسوارها وعزم على أن يستأصل في الغد بقيتها ولا يبقى للكفر بها أثرا فكتب اليه السلطان الغالب بالله ينهاء عنها ، فتراجع النصاري اليها بعد أن ركبوا البحر عازمين على الجلاء عنها » ٥١.

وقد وقفت في التاريخ البرتغالي الموضوع في أخبار الجديدة، واسم مؤلفه لويز مارية ، على أخبار هذا الحصار وقد استوعبها وبسطها، وتتبع الوقائع فصلا فصلا ويوما يوما ، وأتى من ذلك بما يزيد على الكراسة ، فكان من جملة ما قال : « دانه لما عزم السلطان الغالب بالله على غزوهم وأخذ في تجهيز الجيوش اليهم أتاهم بعض المنتصرة » قال : « وهو عبد أسود فأخبرهم بأن السلطان مستعد للحرب بهم ، وكانوا عازمين على التوثق من هذا التجاسوس فألفت منهم فعملوا انظهاره للتصحر كان مكيدة ، ثم أخذوا في الاستعداد واشتروا من عند قائد آزموور ألفي سيف هكذا زعم » قال : « وفي اليوم الرابع من مارس سنة ألف وخمسمائة واثنين وستين مسيحية وصلت جموع المسلمين الى حوز الجديدة ، وهذا التاريخ موافق للتاريخ العربي الذي قدمناه قال : « فكانت خيل المسلمين نحو ثلاثين ألفا والرماة ضعف ذلك وكان فيهم عسكر الترك المعروف

بالبليدروس وكانوا يومئذ جندا للسعدين ، وكان معهم عشرون مدفعا عشرة كبيرة ، وعشرة صغيرة ، وفيها واحد أعظم من الجميع يسمى ميمونا ، وكان معهم العلم الكبير الأبيض ورايات أخر ملونة ، وتقدموا الى الجديدة فحاصروها حصارا شديدا وحاربوها حربا هائلة ، وصف هذا المؤرخ ذلك كله وصفا كاشفا . وكانت الجديدة يومئذ فى غاية الحصانة والمناعة فلم يتمكن المسلمون من النصارى على ما ينبغي وأرسل الترك عليهم أنواع الحراقات ، وملكوا المآرازات التى كانت حول السور بعد أن هلكت عليها نفوس من الفريشين ، ثم صنع النصارى للمسلمين عندها مينا البارود مرتين ، ففسى الاولى كانت المينا تسعة براميل نفط منهون سبعة فأهلك خلقا من المسلمين والنصارى وفى الثانية كانت تسعة عشر برميلا أمام السور ففطت بالمسلمين وأتلفت منهم عددا فبعضهم طار فى الهواء وبعضهم ارتطم تحت التراب .

وكان رماة المسلمين ينالون منهم نيلا عظيما واعترف النصارى لهم بجودة الرمى بحيث كانوا كلما ظهر منهم عسكرى على السور اختطفته رصاصة فى أخير موضع من بدنه من الرأس أو الصدر .

قال لويز المؤرخ : « ولقد قدم فى بعض الايام من أشونة كبير من كبراء جندهم فقال لهم : أرونى كيف قتالكم لهؤلاء المسلمين وكيف مصافكم لهم ، قال : فما ظهر برأسه على السور ليرى محلة المسلمين حتى أصابته رصاصة نثرت دماغه كان صاحبها كان ينتظره ، وكان ذلك بنفس نزوله من البحر قبل أن يذهب الى منزله ، فعوضه منه المسلمون القبر » قال : « فما كان النصارى بعدها يقدرون أن يظهروا على السور الا فى النداء ، ولما طال عليهم الحصار ندب كبيرهم جماعة منهم للخروج الى السواحل البعيدة عن محلة المسلمين لعلهم ينظفرون بأسير منهم يستكشفونه عن خبر الجيش المحاصر لهم هل هو مرتحل أو مقيم وما مدة الإقامة » قال : « فخرجوا فى فلك لهم ليلا وساروا حتى بلغوا ساحل طيط ، وهى يومئذ خالية ، وكان بقرىها محلة لقائد أسفى فلما طلع الفجر تقدموا الى البر وأرسلوا فلكهم الى جانب بعض الاحجار هنالك بحيث يخفى على المارين بالساحل ثم كمنوا هنالك فلما كان وقت الاسفار اذا برجل

من محلة آسفى أنى على فرسه الى شاطئ البحر لبعض حاجاته فلم يرعه الا
النصارى قد أصدقوا به وأخذوا بلباس فرسه ، وجعل بعضهم فم مكحلته فى
صدوه ، فلم يملك المسلم من نفسه شيئا ، ثم أنزلوه عن الفرس وساقوه الى القلک
أسيرا ، ولججوا به فى البحر ، ولا بعدوا عن البر شيئا ما رمى أحدهم الفرس
برصاصة فقتله ، ثم أسرعوا الى الجديدة فدخلوها واجتمع النصارى على المسلم
وهو كالمبهور بينهم ثم سألوه عن خبر الجيش المحاصر لهم فأخبرهم بانهم
يناجزونهم بعد هذا مرة أخرى أو مرتين فان لم يظفروا بهم ارتحلوا عنهم فكان
كذلك . قال : « وكان ارتحال المسلمين من الجديدة فى سابع ما به العجى من
السنة المذكورة فعمل النصارى لذلك عيدا وأحدثوا فى كنائسهم صلوات لم
تكن قبل وذلك بأشارة باباهم صاحب رومة » .

ومما حكاه هذا البرتقالى فيما كان يجرى بين أهل آزمور وبينهم من
الحرب ، وذلك بعد هذا الحصار بمدة يسيرة : أنه كان بآزمور امرأة حسناء
وخطيها رجل من أهل البلد سماء لوزى الا أنه لم يحسن النطق به لعجمته
وأظنه اسمه الميلودى (*) لان الحروف التى ذكر تقرب منه ، قال : فامتعت عليه
فراودها أياما واشتد كلفه بها فلم تزدد عليه الا تمنعا فبعث اليها ذات يوم يرغبها
فى نفسه ، ويدلى عليها بماثره التى من جملة الشجاعة . حتى قال لها :
« وان شئت أن آتيك برأس أعظم نصرانى بالجديدة وأشجعه فعلت ، ولعلها كانت
متورة لهم فقالت له : « ان أتيتنى به تزوجتك » فذهب الرجل المذكور الى قائد
آزمور ولم يسمه لوزى وعرض عليه أن يكتب الى كبير نصارى الجديدة
وصاحب رأيهم بان يعين من جانبه رجلا من شجعانهم ليبارزه ان شاء ، فاجابه

(*) الذى فى الترجمة الافرنسية مولاي حدو ولعل المترجم هنا رأى كلمتى مولاي ،
وحده متصلتين خطأ فظنهما كلمة واحدة مستقلة وتوهم ان المؤرخ البرتقالى لم يحسن
النطق بها وأن أصل الكلمة الحقيقى ميلودى والعذر له فى ذلك لان الحروف التى فى
مجموع مولاي وحدو قريبة من لفظة ميلودى مع انها كلمتان مستقلتان فى الحقيقة احدهما
مولاي والثانية حدو .

القائد الى مراده ، وذهب الرسول بالكتاب حتى وقف على نحو غلوة من المدينة ، وهذا الموضع هو الذى كانت تقف فيه رسل آرمور اذا قدمت لغرض ، فخرج اليه البريد من عند صاحب الجديدة وحاز الكتاب ورجع به الى صاحبه ، فلما قرأه أحضر جماعة من وجوه جنده وعرض عليهم ما فيه فقام رجل منهم وقال : «أنا صاحبه» وهذا الرجل سماه لوزير ، وقال « كان ابن ثلاثين سنة كامل القامة ممتلئ الاعضاء أسمر اللون كثير شعر البدن أسود اللحية وكان برأسه جرح لم يندمل من وقعة كانت بينهم وبين أهل آرمور قبل ذلك فكتب صاحب الجديدة الى قائد آرمور انا قد أجبتك الى ما دعوت ، وقد أعجبنا ذلك ، وها نحن قد عينا لصاحبك قرنه فلتعينوا لنا اليوم والساعة التى تكون فيها الملاقاة ، فاتفقا على يوم معلوم ، وفى ذلك اليوم سار قائد آرمور فى أصحابه ووجوه أهل بلده ومعهم الرجل المذكور الى الجديدة ، فاتتهوا الى الموضع الذى جرت العادة أن يقف فيه المسلمون ، وخرج قائد النصارى فى جماعته ، وشرطوا للمبارزة وكيفتها شروطا منها : أن تبعد كل جماعة من صاحبا بخمسين خطوة ولا يلتقى الا المتبارزان وحدهما بمرأى من الفريقين ، ومنها أن مساحة الموضع الذى يكون فيه مجالهما خمسون شبرا وسطا من الفريقين ، وان من خرج عن هذا المحل منهما ولو قيد شبر كان رقا للآخر ، وأعطوا خطوطهم بذلك . ولما حان وقت البراز خرج عدلان من جانب المسلمين حتى انتهيا الى النصرانى ففتشاه لينظرا ما عليه من السلاح وما معه ، لان من جملة الشروط أن لا يتبارزا الا بالسيف والرمح فقط فلم يجدا مع النصرانى سواهما « قال لوزير : « وكان صاحبه المذكور يحسن الضرب بكتايديه فشرط عليه العدلان أن لا يقاتل الا باليمين فرضى ، ثم خرج شاهدان من جانب النصارى حتى انتهيا الى المسلم ففتشاه فلم يجدا عنده سوى السيف والرمح أيضا غير أنه قد علق على ذراعه ثمائم كثيرة مخروزة فى الجلد فقال له الشاهدان : « لا بد أن تزع هذه الثمائم لان صاحبنا ليس عنده شئ من هذا ، وأيضا فيمكن أن تتيك هذه الثمائم بعض الوفاة » فقال لهم : « لا أنزعها لان مثل هذا لا يتقى به فى الحرب ، ولا يغنى فى الظاهر من السيف والرمح شيئا وانما فيها أسماء الله ولا يحسن بسى أن

أطرحها في هذه الحالة التي أنا مشرف فيها على الموت فيكون ذلك سوء أدب مني مع اسم الله تعالى وربما يكون سببا في خذلاني « فرجع النصرانيان الى قائدهما وأخبراه بالقضية فقال: «لابد من نزعه» فعادا اليه، وزعم لويز أن المسلمين وافقوا على نزعه وقال له العدلان: « ان الحق مع النصارى لانا كشفنا صاحبهم .كشفا تاما ، وراوده القائد أيضا ، فاصر على الامتناع معتذرا بما سلف ، ولما لم يحصلوا على طائل رجع المسلمون الى بلدهم ولم يكن براز » قال لويز : « وعد النصارى ذلك غلبا وجعلوا يصيحون ويخرجون البارود » قال : « وكان سور الجديدة مكسوا بالنساء والعصيان واغتاز قائد آزموور فسجن المسلم المذكور لكونه جر هذه المذلة على المسلمين » .

قلت : من تأمل وأنصف علم أن الفشل انما هو من جانب النصارى لان تلك التعمائم من حيث الظاهر لا تغني شيئا ، وكون بركتها تقيه من ضربات السيف وطعنات الرمح فهذا لا يعتقده النصارى ، بل ولا يسلمونه ، فلم يبق الا الفشل والتعلل بما لا اعتبار به عند العقلاء . ثم قال لويز : « وقد كانت بين المسلمين والنصارى بعد ذلك وقائع فأبلى فيها ذلك المسلم البلاء الحسن وعرف محابه من الشجاعة » اه ، « والحق ما شهدت به الاعداء » وانما أثبت هذه الحكاية بطولها لغرابتها ، ولما اشتملت عليه من خلال الفتوة ومنازع النخوة الايمانية فنسأله سبحانه وتعالى أن يعلى منار الدين ويكبت كيد الجاحدين والمعتدين آمين .

وفى سنة سبعين وتسعمائة ولى السلطان الغالب بالله الفقيه أبا مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدى قضاء فاس فطالت مدته .



وفادة السلطان الغالب بالله على الشيخ أبي العباس أحمد بن موسى السملاي رضى عنه الله



حكى صاحب «المتع»: «أن السلطان أبا محمد عبد الله الغالب بالله قال للاستاذ أبي عبد الله الترغى(*)»: «إني أجد في نفسي ارادة وطلبا للشيخ فأمض فاطلب لى شيخا فذهب يطوف على مشايخ المغرب ، وكانوا اذ ذاك متوافرين ، حتى أتى على الشيخ أبي العباس أحمد بن موسى الجزولى ، ثم السملاي ، فوجده شيخا جليلا سنيا متواضعا زاهدا ظاهر الورع ، حسن الاخلاق ، باهر الكرامات ، واضح الطريقة ، جامعا لمحاسن الخلال والاصاف ، فرجع اليه وجعل يصف له كل من رأى من المشايخ بما ظهر له فيه ، حتى أتى على الشيخ المذكور ، فقال : «وهو ولى ، ثم ولى ، ثم ولى ، ثم ولى ، سبعا فقال له : «كانك تدلنى عليه ، وانه مطلوبى ، وأنه المقدم على غيره» فقال له : «لا أدلك عليه ولا عندى ما أعرف به تقديمه» غير أن هذا الذى ظهر لى ، فازمع السلطان الغالب بالله الرحلة اليه ، فلما بلغ الشيخ المذكور مجيئ السلطان اليه خرج يتلقاه ، وقد هيا له النزل وما يصلحه ، وأعد له ما يناسبه من الاطعمة الرفيعة النفيسة ، وقدم اليه الشعر الجيد واللبن الحليب ، ولما خرج للقائه أتاه بعضهم بفرس ، وكان من عادته أن لا يركب ، واذا أتاه أحد بمركوب لا يرده عليه ، بل يستصحبه معه ويعلقه له حتى يرجع ، ففعل ذلك . ولقى السلطان ورجع به معه وأنزله عنده فمكث فى ضيافته ثلاثة أيام ، ثم طلب منه أن يتخذ وسيلة الى الله تعالى ، وسأله مع ذلك تهديد الملك ، واعتذر اليه بانه لا يمكنه العيش بدونه ، ولا يأمن على نفسه ولا تؤويه أرض اذا هو تخلى عنه ، فقال الشيخ: «يا عرب ، يا بربر ، يا سهل ، يا جبل ، أطيعوا السلطان مولاي عبد الله ، ولا تختلفوا عليه» . ثم بعد الثلاث انصرف السلطان الى محله ، فبقى مدة وهو مسكن مههد الملك فى عافية .

(*) الترغى بالتاء المثناة ثم الراء والغين نسبة الى ترغية مرسى قديمة على نحو اربعين كيلومترا من تطوان. انظر ترجمته فى «المتع» صفحة ١٣٠

ثم أتى الترك الى بوغاز طنجة وسبته فخافهم وتشوش منهم كثيرا ، ولم يهنا له عيش ، فجعلت حاشيته يهونون عليه أمرهم . فقال : « دعوني منكم حتى أستقي من رأس العين » ثم ابرد بريدا الى الشيخ . فلما انتهى اليه سمعه يقول : « ياترك ارجعوا الى بلادكم ، وبامولاي عبد الله هناك الله في بلادك بالعافية » فتقدم الرسول وسلم على الشيخ ، وبلغه سلام السلطان ، ثم انقلب من فوره بعد ما ورخ وقت سماع مقاله . فلما بلغ الى السلطان أخبره بما كان من الشيخ من تلك المقالة وما كان منه من التاريخ وأقاموا ينتظرون ما يكون فاذا الخبر قد ورد على السلطان بان الترك قد ارتحلوا وانصرفوا الى بلادهم ، واذا ارتحالهم كان وقت مقالة الشيخ المذكورة .

ثم ان الشيخ قدم مراکش في بعض الايام زائرا من كان بها من أهل الله تعالى فرغب اليه السلطان الغالب بالله أن يدخل داره هو وأصحابه ، ويصنع لهما طعاما وشرط على نفسه أن لا يطعمهم الا الحلال ، ولا يطعمهم ما فيه شبهة ، وحلف للشيخ على ذلك فأسغفه ، ولا حضر الطعام وضع الشيخ يده عليه ولم يصب منه ، فلما خرج قيل له : « ما لك لا تتناول من طعام السلطان وقد حلف ان لا يطعمكم الا الحلال ؟ » فقال له : « من أكل طعام السلطان وهو حلال أظلم قلبه أربعين يوما ، ومن أكله وفيه شبهة مات قلبه أربعين سنة » اه .

ومما ينخرط في هذا السلك : أن السلطان المذكور كان له اعتقاد في الشيخ أبي عمرو القسطلی ، وكان يعظمه غاية ، وكانت عنده مظلة له من سعف النخل يتقي بها الحر تبركا بها ، ولما توفي الشيخ أبو عمرو المذكور ، وذلك يوم الجمعة منتصف شوال سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، حضر السلطان المذكور جنازته وحنأ التراب على قبره بيده .

ومن أخبار السلطان المذكور : أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن حسين المغاري كان ظهر بمراكش وكثرت الجموع عليه وقصده الناس من كل جهة فأرسل اليه السلطان المذكور : « اما أن تخرج عنى أو أخرج عنك » فقال للشيخ ابن حسين : « بل أنا أخرج » وخرج من فوره الى تامصلوحت فكان من أمره ما كان .

استيلاء النصارى على حجر باديس والسبب في ذلك



قد تقدم لنا فى أخبار الوطاسيين أن النصارى بنوا حجر باديس واستولوا على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة ، واستعروا بهما إلى أن انتزعهما الترك من أيديهم . ولما كانت دولة السلطان الغالب بالله وطمع الترك فى الاستيلاء على المغرب الأقصى أغرى السلطان المذكور النصارى بالاستيلاء على الثغور الهبطية وسد أنقابها دونه .

قال فى «التزعة» : ذكر بعضهم أن السلطان الغالب بالله لما رأى عمارة ترك الجزائر وأساطيلهم لا يقطع تردها عن حجر باديس ومرسى طنجة ، يعنى البوغاز ، وتخوف منهم اتفق مع الطاغية أن يعطيه حجر باديس ، ويخليها لهم من المسلمين ، فتقطع بذلك مادة الترك عن المغرب ، ولا يجدوا سبيلا إليه ، فنزل النصارى على حجر باديس وأخرجوا المسلمين منها ، ونشوا قبسور الاموات وحرقوها ، وأهانوا المسلمين كل الأهانة ، ولما بلغ خبر نزولهم عليها لولده محمد ، وكان خليفته على فاس خرج بجيوشه لاغاة المسلمين ، فلما كان بوادى اللبن بلنه استيلاؤهم عليها فرجع وتركها لهم ، اه .

وذكر اليفرنى انه وجد هذه الاخبار فى أوراق مجهولة والله تعالى أعلم .



فتنة الفقيه أبى عبد الله الاندلسى ومقتله



كان الفقيه أبو عبد الله محمد الاندلسى ، نزىل مراكش ، متظاهرا بالزهد والصلاح حتى استهوى كثيرا من العامة فتبعوه ، وكانت تصدر عنه مقالات قيحة من الطعن على أئمة المذاهب رضى الله عنهم ينحرف فيها منحى ابن حزم الظاهرى ، ويتفوه بمقالات شنيعة فى الدين ، فأمر السلطان الغالب بالله بقتله : فاستغاث العامة من أتباعه واعصوبوا عليه ، ووقعت فتنة عظيمة بمراكش بسببه الى أن قتل وصلب على باب داره برياض الزيتون من المدينة المذكورة . وكان ذلك أواسط ذى الحجة من سنة ثمانين وتسعمائة (*) .



ظهور بدعة الشرقة من الطائفة اليوسفية وما قيل فيهم



قال فى «الدوحة» : « كان الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدى نزىل مليانة تظهر على يده الكرامات وأنواع الانفعالات فبعد صيته وكسرت أتباعه فغلوا فى محبته وأفرطوا فيها حتى نسبته بعضهم الى النبوة ، قال : « وفشا ذلك الغلو على يد رجل ممن صحب أصحابه يقال له : ابن عبد الله فأنه تزندق وذهب مذهب الاباضية على ما حكى عنه ، واعتقد هذا المذهب للخسيس كثير من الغوغاء وأجلاف العرب وأهل الاهواء من الحواضر ، وتعرف هذه الطائفة باليوسفية » قال : « ولم يكن اليوم بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة » وسمعت بعض الفضلاء يقول : انه قد ظهر ذلك فى حياة الشيخ

(*) الصواب ان ذلك وقع سنة ٩٨٤ انظر « درة الحجال » فى ترجمة أبى عبد الله الاندلسى ص ١٦٧ وفى « الدوحة » ص ٨١ : وكان قتله بأمر من السلطان محمد المتوكل بن الغالب لا من الغالب كما عند المؤلف .

أبى العباس المذكور فلما بلغه ذلك قال : « من قال عنا ما لم تقله يتبليه الله بالعلة والقلة ، والموت على غير ملة » .

قال صاحب «الدوحة» : «ولقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب بالله بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة فسجن جماعة منهم وقتل آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من أحوال الشيخ فى شىء ، وإنما فعلوا كفعل الروافض والشيعة فى أئمتهم ، وإنما أصحاب الشيخ كابى محمد الخياط ، والشيخ الشطيبى ، وأبى الحسن على بن عبد الله دفين تافلات وأنظارهم من أهل الفضل والدين ، والا فالائمة المقتدى بهم كلهم يعظم الشيخ ويعترف له بالولاية والعلم والمعرفة » اهـ .

وقال فى «المرآة» ما نصه : والشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدى المليانى من كبار المشايخ أهل العلم والولاية وعموم البركات والهداية ، وكان كثير التلقين ، فقال له الشيخ أبو عبد الله الخروبى : «أهنت الحكمة فى تلقينك الاسماء للعامة حتى النساء» فقال له : « قد دعونا الخلق الى الله فأبوا فقتلنا منهم بأن تشغل جارحة من جوارحهم بالذكر» قال الشيخ الخروبى : «فوجدته أوسع منى دائرة» . .

قال صاحب «المرآة» : « وانتسبت اليه الطائفة المعروفة بالشراقة بتشديد الراء وهو يرى من بدعتهم فما كان الا امام سنة وهدى مقتدى به فى العلم والدين قد نزهه الله وطهر جانبه ، وقد أظهروا شيئا من ذلك فى حياته فترا منهم ، وقاتلهم وبلغ المجهود فى تشريدهم » قال : « وحدثنى شيخنا أبو عبد الله النيجى أن الشيخ أبا البقاء عبد الوارث الياصونى لما ظهرت بدعة الشراقة وانتسابهم اليه وقع فى نفسه من ذلك شىء » فقل له : «ان الشيخ أبا محمد الخاطامن أصحابه » فقال : «أنا تأب الى الله ، كفى فى طهارة جانبه أن يكون الخياط من أصحابه» وكانت وفاة الشيخ المليانى سنة سبع وعشرين وتسعمائة لكن ما كان عنقولان تلك البدعة المدسوسة عليه الا فى دولة السلطان الغالب بالله كما مر ، والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء .

احتفال النصارى بمكيدة البارود بجامع المنصور من مراكش وما وفقى الله تعالى من شرها



كان بقصبة مراكش جماعة من أسارى النصارى من لدن أيام أبى العباس الاعرج وأخيه أبى عبد الله الشيخ فأروا الجم للفقير من أعيان المسلمين وأهل الدولة يحضرون كل جمعة للصلاة مع السلطان بجامع المنصور من القصبة المذكورة ، فحدثتهم أنفسهم الشيطانية بأن يصنعوا مكيدة يهلكون بها السلطان ومن معه ، فحفروا فى خفية تحت الجامع المذكور حفرة ملاءها من البارود ووضعوا فيها فتيلة تسرى فيه النار على مهل كى يتقلب الجامع بأهله وقت الصلاة . فنفطت المينا وانهدت بها القبة الواسعة من الجامع المذكور ، وانشق مناره شقا كبيرا ولازال مائلا به الى الآن ، وكان ذلك مبلغ ضررهم ، وكفى الله المسلمين شر تلك المكيدة ولم يتمكن لهم الحال على وفق ما أرادوا . وكان ذلك سنة احدى وثمانين وتسعمائة .



وفاة السلطان أبى محمد عبد الله الغالب بالله رحمه الله



قال الشيخ أبو العباس ابن القاضى فى شرح «درة السلوك» : «توفى السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان سنة احدى وثمانين وتسعمائة بسبب غم كان يعتريه ، اه . وهذا الغم هو الداء المسمى عند العامة بالضيقة ، أعاذنا الله منه ، وذكر غيره أنه توفى فى شوال بسبب تكلفه للصيام فعدت عليه العلة المذكورة . وشاع على السنة الناس أنه بات يصلى ليلة سبع وعشرين من رمضان فوافته ميته وهو ساجد ، وذلك كذب ، ودفن رحمه الله عند ضريح أبيه بقبور الاشراف وقبره معروف . ومما كتب بالنقش على رخامة قبره هذه الايات :

أيا زائري هب لي الدعاء ترحما
وقد كان أمر المؤمنين وملكهم
فها أنا ذا صرت ملقى بحفرة
نزودت حسن الظن بالله راحمي
ومن كان مثلي علما بخائسه
وقد جاء إن الله قال ترحما
فاني إلى فضل الدعاء ففيسر
إلى وصيتي في البلاد شهير
ولم يغن عني قائد ووزير
وزادى بحسن الظن فيه كثير
فهو نبيل العفو منه جدير
إني ما يظن العبد بي سعيير
وحكى أن ابنه أبا عبد الله المعروف بالسلوخ لما قرأ هذا الآيات عاقب
ناظمها وقال له : «ان في قولك : ملقى بحفرة دسيسة وتلويعا إلى الحديث : «القر
روضة من رباب الجنة أو حفرة من حفر النار» فهلا قلت بطلع أو نحوه » .

بقية أخبار السلطان الغالب بالله وسيرته



كان السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله ذا سياسة وخبرة بأحوال
الملك وتأن في الأمور ، ولما ولي الخلافة ألان الجانب وخفض الجناح وسار
بسيرة حسنة حتى صلحت الرعية وازدانت الدنيا ، وانتعش الناس حتى كان
يقال : ثلاث عيانتهم عيون الزمان : السلطان المولى عبد الله ، والشيخ أبو محمد عبد
الله بن حسين المغاري ، والشيخ أبو البرور عباد السنوسي .
قال اليفرنى : ورأيت من جملة سؤال كتب به الفقيه الصالح خطيب
الجامع الأعظم بتارودانت أبو زيد عبد الرحمن التلمساني إلى قاضي الجماعة
أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني يقول فيه : « ولا شك أن مولاي
عبد الله معجم على عدالته وبيعه » وقد أخبرني الثقة من أصحاب الشيخ
الجامع أبي العباس أحمد بن موسى السملالي أنه قال : « مولاي عبد الله
ياقوتة الأشراف هو صالح لا سلطان » وقد اشتهر بين الأنام وعلى ألسنة الخاص
والعام أن السلطان الغالب بالله كان عدلا صالحا ووقع في الرسالة التي كتب بها

ابن أخيه السلطان أبو المعالي زيدان بن منصور إلى الفقيه أبي زكرياء يحيى ابن عبد الله بن سعيد بن عبد النعم الحاحي ما ظاهره يخالف ذلك ، ويؤذن بأنه كان كغيره من الملوك ، ونص المحتاج إليه من تلك الرسالة مخاطباً للفقيه المذكور يقول : « وقد تحققت وعلمت أن ولاية أحمد بن موسى السمسالي كادت تكون قطعية واشتهر أمره عند الخاضع والعالم حتى أطبق أهل المغرب على ولايته ، وقد كان على عهد مولانا عبد الله برد الله ضريحه ، وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه ، وما برح الشيخ المذكور يدعو له ولدولته بالبقاء ويظهر حبه ، وكان المولى المذكور يعزل ويولي ويقتل ، وكان شرمنه إلى زاويته المرباط بالاندلسي وولد آصناك وأمثالهم ، وكان الشيخ يقدم للشفاة فشفع ولا يعقب ، ولا يبحث عما وراء ذلك باق على عهده ومودته . وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره فما فتحها حتى أمره ، ولا استعظم أحد ذلك ولا أكثر فيه ولا جعله سبباً لفتح الفتنة ، وكان قواد المذكور مثل وزيره ابن شقراء ، وعبد الكريم بن الشيخ ، وعبد الكريم بن مؤمن العلج ، والهبطي ، والزرهوني ، وعبد الصادق بن ملوك ، وغيرهم ممن لا يحضرني ذكرهم لبعد عصرهم قد انغمسوا في شرب الخمر واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الفضة والذهب ، وكان في عصره أحمد بن موسى المذكور وابن حسين ، والشرقي ، وأبو عمرو القسطل ، وأبو محمد ابن إبراهيم التامراتي ، والشيظي ، وغير هؤلاء من المشايخ وأهل الدين الذين لا يسع من يدعي هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم ، فأحسنوا السيرة ولا تعرضوا للسلطنة ، ولا سمع منهم ما يقدر في ولاء الأمر وقادة الاجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع إليهم في تدبيره » اهـ القدر المحتاج إليه من الرسالة المذكورة .

قال اليفرنى : « ومثل هذا ما ذكر بعضهم : أن السلطان الغالب بالله أعطى حجر باديس للطاغية لتقطع بذلك مادة الترك عنه ، ومثله ما ذكر عنه أيضاً : أن قائده ابن تودة أخذ بعض أسوار الجديدة وعزم على فتحها من الغد فكتب إليه السلطان المذكور ينهيه عن ذلك ، ونظيره أيضاً قضيه مع أهل غرناطة

وأطال فيها هذا البعض المقول عنه بما استكتفت من ذكره هنا ، قال : « وهذه أمور شنيعة ان صح أنه فعلها ولست أدخل في عهدها لانى انما رأيتهام فى أوراق مجهولة المؤلف اشتملت على ذم هذه الدولة السعدية وظنى انها من وضع بعض أعدائهم لحطه من قدرهم واخراجهم من النسب الشريف ، ووصفه دولتهم بالدولة الخيثة ، فلذا تجنب منها كثيرا من الاخبار التى لاتظن بأولئك السادة رحمهم الله ، فقد قال الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله فى طبقاته : « ان المؤرخين على شفا جرف هار لانهم يتسلطون على أعراض الناس وربما وضعوا من الناس تمصبا أو جهلا أو اعتمادا على نقل من لا يوثق به » قال : « فعلى المؤرخ أن يتقى الله تعالى » . اه الا أن الملوك لا يستترب فى حقهم أن يهدموا أساس الشريعة لينبوا منار رياستهم ، ويستهنوا عظام الامور لتطيعهم الرعية ساعة ، كيف لا وشراع أفدتهم تلعب به رياح الشهوات فلتقى سفينة قلوبهم على ساحل بحر القنوط من رحمة الله تعالى ، والله يسامح الجميع ويتجاوز عن كافة عصاة هذه الامة بمنه وفضله » . اه كلام الفيرنى رحمه الله .

ومن وزراء السلطان الغالب بالله : ابن أخيه الامير الاجل الاديب الاحفل أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ كان من أنبل الوزراء والطفهم مسلكا وأخضهم روحا . وله عارضة فى النظم والنثر .

ذكر الاديب أبو محمد عبد الله بن محمد الفاسى فى كتابه : « الاعلام بمن مضى وغبر » من أهل القرن الحادى عشر : ما صورته : « قدم الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد القادر السعدى من مراكنش الى فاس ، ومعه الفقيه قاضى الجماعة أبو مالك عبد اللواحد بن أحمد الحميدى ، والفقيه الامام أبو العباس أحمد المنجور ، فلما تبدت لهم معالم فاس الجديد ، « وتلظى للشوق فى جوانحهم أوار » ، « وأبرح ما يكون الشوق يوما ، اذا دنت الديار من الديار » وأنشد الوزير المذكور لنفسه ارتجالا :

أخلائى هذا المستقى وربوعه وهذى نواخير البلاد تسروح
وذاك المصلى مطرح الشوق والاسى وتلك منازل الديار تلسوح

فقال القاضي الحميدى ارتجالاً :

وتلك القباب الخضراء شبه زبرجد
يخس كالملود من الروض يانع
فقال الفقيه أبو العباس المنجور ارتجالاً أيضاً :

ويرفلن فى النحلات يختلن فى الحل
يادردن ترفيع الكوى بمحاجر
ولا بلغت الايات الى الاستاذ أبى العباس أحمد الزمورى قال مديلاً :

تأمل سبب الحسنة تحت قبابها
تحت ربوع المستقى بجمالها
وبعضهم جعل البيتين الاولين للمولى الاديب أبى محمد عبد الواحد بن
أحمد الشريف السجلماسى ، وكان كاتباً للوزير المذكور ، ويجعل موضع
أخلاقى أمولاي ، والبيتين بعدهما للوزير والله تعالى أعلم ، والمستقى بصيغة اسم
المفعول اسم بستان معروف :

ونظير هذا ما ذكره الاديب المذكور فى اعلامه المذكور . قال : كان الوزير
المذكور مع كاتبه المولى عبد الواحد الشريف فى بعض الاسفار ، وأرسلت
السماء بفيثها المدرار ، فقال الوزير المذكور :

لله أشكو غداة السفع اذ ركضت
فأجابه الكاتب المذكور :

والغسم فى الافق قد أرخى ذوائبه
فقال الوزير :

حتى استوى الماء والأكام واستترت
فطلت الخيل فى الامواج سابعة
فقال الكاتب :

والنفس فى قلق ليلين مألّفها
فقال الوزير

كأننا لم نبت والوصل ثالثنا .
حتى غدا الطير فوق السرح يقشينا .

وأخبار هذا الوزير ونوادره كثيرة ، وهو الذى أخرج بنى راشد من مدينة شفشاون حسبما مر ، وكانت وفاته فى العشرين من جمادى الثانية سنة خمس وسبعين وتسعمائة .

ومن وزراء السلطان الغالب بالله أيضا : القائد عبد الكريم بن مؤمن بن يحيى العليج الجنوى ، وعبد الرحمن بن تودة ، وقاسم الزرهونى ، وأحمد الهبطى . ومن ولاية مظالمه : أبو عمران موسى بن مخلوف الكنسوسى ، وهو والى الشرطة وكان فقيها مشاركا .

وذكر بعضهم : أن الشيخ الصالح أبا العباس أحمد بن موسى السملالى كان فى بعض قدماته على السلطان الغالب بالله (*) قد انحسر الناس لزيارته بزائوته ، فوقف أبو عمران المذكور يذود الناس عنه ويقول : « رحمكم الله من زار خرج ، فسمعته الشيخ فقال له : « لا تقل ذلك وقل : من جاز خرج ، ومن كاد السلطان المذكور : محمد بن عبد الرحمن السجلماسى . ومحمد بن أحمد بن عيسى وغيرهما . ومن قضاته بمراكش : الفقيه قاضى الجماعة أبو القاسم بن على الشاطبى ، وبفاس أبو عبد الله العوفى ، وأبو مالك عبد الواحد الحميدى رحمهم الله .



الخبر عن ذولة السلطان أبى عبد الله محمد المتوكل على الله

ابن السلطان عبد الله الغالب بالله رحمه الله



لما توفى السلطان الغالب بالله بحضرة مراكش كان ابنه محمد هذا بفاس ، وكان ولى عهد أبيه فاجتمع أهل القعد والحل بمراكش ، واستأنفوا له البيعة ،

(*) الذى فى « الفوائد ان الموفود عليه هو السلطان محمد الشيخ بتارودانت والذى كان يذود الناس هو صاحب شرطته الامير ابو زكرياء ابن الغازى انظر ذلك فى النصيحة التى وجهها المؤلف ابو زيد التامرتى لابی حسون المعروف بابى ديمية لما قام بالسوس اهـ .

وكتبوا بها اليه ، فوصلت اليه وهو بفلس أوائل شوال سنة إحدى وثمانين وتسعمائة فباعه أهل فلس وتم أمره .

قال ابن القاضى : أمه : أم ولد ، وكنيته : أبو عبد الله ، ولقبه المتوكل على الله ويعرف عند العامة : بالسلوخ لأنه سلخ جلده وحشى ثنا كماً سيأتى .

وكان مما وقع فى أيامه أنه كانت بين المسلمين وبين نصارى طنجة وقعة بالرملة المسماة بأبى غاص من فحص طنجة قرب قنطرة عصماء ، وذلك يوم الأربعاء منتصف جمادى الأولى سنة اثنين وثمانين وتسعمائة ، وفى هذه الوقعة استشهد الشيخ أبو مهدى عيسى بن الحسن المصباحى دفين الدعاع على وادى مضى من عمل القصر ، فإنه حمل بعد استشهاده الى الموضع المذكور فدفن بآزاء قبر أبيه فى الروضة التى هنالك .

واستمر أمر أبى عبد الله المتوكل منتظماً الى أواخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة ، فقدم عليه عمه عبد الملك بن الشيخ بجيش الترك فشر سلكه وبدد ملكه على ما نذكره . ويقال : أنه كان أضمر الفتك بعميه أحمد وعبد الملك ففرا منه الى ناحية الترك على ما سيأتى . قالوا : وكان السلطان المذكور قعيها أديامشاركاً مجيداً قوى العارضة فى النظم والنثر ، وكان مع ذلك متكبراً تايها غير مبال بأحد ، ولا متوقفاً فى الدماء عسوفاً على الرعية ، ومن شعره قوله :

فقم بنا نصطبح صهباء صافية فى وجهها عسجدي وجهه نقط
وانهض اليها على رغم العدا قلقتا فان تأخير أوقات الصبا غلظت
ومن شعره أيضاً قوله :

ساروا ومار فؤادى اثر ظعنهم وخلفونى نحيل الجسم حيرانا
لا أفر ثغر الثرى من بعد بينهم ولا سقى هاطل وردا وريحانا
وكان خليفته بمراكش : القائد ابن شقراء ، وحاجبه : أحمد بن حمسو الدرعى ، وكابه : يونس بن سليمان التاملى ، وعلى بن أبى بكر ، وغيرهما ، رحمهم الله تعالى .

الخبر عن دولة السلطان أبى مروان عبد الملك المعتصم بالله ابن محمد الشيخ وأولية أمره وماله



كان أبو مروان عبد الملك بن أبى عبد الله الشيخ السعدى ، وأخوه أبو العباس أحمد المدعو بعد : بالمنصور مقيمين بسجلماسة سائر أيام أبيهما ، فلما توفى وولى الأمر بعده ابنه الغالب بالله فر عبد الملك وأحمد الى تلمسان خوفا على أنفسهم منه ، فأقاما عند صاحبها حسن بن خير الدين مدة ، ولحق بهما أخوهما عبد المؤمن فصار ثلاثة الأناقر ، ثم انتقلوا بعد ذلك الى الجزائر ، ومنها ركب عبد الملك البحر الى القسطنطينية متطارحا على صاحبها السلطان سليم بن سليمان العثمانى رحمه الله ، فأمدّه بالجند حتى ملك المغرب كما سيأتى .

ولنذكر هنا كيفية استيلاء العساكر العثمانية على تونس وانقراض أمر الحفصيين منها ثم نرجع الى بقية أخبار السلطان أبى مروان المعتصم بالله لانها تنبئ على ذلك فنقول : اعلم أن أمر بنى أبى حفص أصحاب تونس كان قد مرج فى هذه المدة وتداعى الى الاختلال ، وكان خير الدين باشا التركى المقدم ذكره فى أخبار تلمسان قد استولى على تونس فى حدود الاربعين وتسعمائة وغلب عليها صاحبها الحسن ابن محمد الحفصى ، ففر الحسن المذكور الى طاغية الاصبينول صاحب قشتالة فأعطاه العساكر وجاء بها الى تونس ، فنزل عسكر النصارى بـ برج العيون قرب حلق الوادى ، وتقدموا الى تونس فملكوها ، وانهزم خير الدين الى الجزائر ، وشارك النصارى الحسن بن محمد فى امرة تونس ، واستباحوا أهلها قتلًا وأسرا ونهبًا ، يقال : انهم قتلوا من أهل تونس الثلث ، وأسروا الثلث ، وأبقوا الثلث ، وكل ثلث ستون ألفا هكذا عند صاحب « الخلاصة النقية » . ثم ملكوا الموضع المسمى : بحلق الوادى وليس هناك واد عذب وانما هو جون دخل من البحر فى البر وعليه مرسى تونس ، ثم بنى النصارى فى الحلق المذكور حصنا عاديا أقاموا فى بنائه نحو ثلاث وأربعين سنة ، بحيث عجز الترك عن هدمه لما ملكوه بعد . ثم ثار على الحسن ابنه أحمد المدعو : حميدة . وملك الحضرة مدة وقاتل

نصارى حلق الوادى فامتنعوا عليه ، ثم عزاه على باشا صاحب الجزائر واستولى على تونس سنة سبع وسبعين وتسعمائة وطرده أحمد عنها ، فذهب أحمد الى طغاية قسنالة مستغيثا به شأن أبيه من قبله ، هذا كله ونصارى الحلق لازالوا متمكنين منه أى تمكن ، فامد الطاغية أحمد المذكور باسطول عظيم واشترط عليه أداء مال فالتزمه .

ولما وصل الاسطول الى ظاهر تونس اطلع قائده السلطان أحمد على كتاب من الطاغية مضمته المشاركة فى الحكم ، فأنكر أحمد ذلك وأنف منه ، وذهب الى صقلية فبقى بها الى أن مات وحمل الى تونس . وكان هنالك أخوه محمد بن الحسن فرضى بالمقاسمة ودخل بالنصارى الى تونس فاستولى عليها وملك قصبتها وجالسه شريكه النصرانى بها ، وانتهت المدينة وأهين الدين وعم الخراب وتكدر المشرب وتفرق الجمع ، وارتبطت خيل العدا بالجامع الاعظم والقيت ما فيه من نفائس الكتب بالطرق ونش قبر الشيخ أبى محفوظ محرر بن خلف فلم يوجد فيه الا الرمل حماية من الله له ، وحاشا أن تعدو الارض على جسد مثله ، وأرسل محمد بن الحسين الى الناس بالإمان وإستمالهم النصرانى بعد بكاذب الرفق ، فأقاموا بدار مذلة وهوان .

وانصل ذلك كله بالسلطان سليم بن سليمان العثمانى فأعظمه ، وجهر العمارة للحين مع الوزير سنان باشا يقال : كانت أربعائة وخمسين قطعة فخرج بها الوزير المذكور من القسطنطينية ، وهى اجطنبول ، غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، ووصلوا الى حلق الوادى فى الرابع والعشرين منه ، وكان حيدر باشا صاحب القيروان ، ومصطفى باشا صاحب طرابلس محاصرين لتونس قبل ذلك حتى فتر عزهم ، فلما قدم عليهم سنان باشا قويت نفوسهم واعصو صبا عليه ، وتقدموا الى الحصن الذى بحلق الوادى فحاصروه حتى اقتحموه عنوة سادس جمادى الاولى من السنة المذكورة ، أعنى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، واستلحموا من به وغنموا ما فيه ، والتجأ محمد بن الحسن الحفصى وأنصاره من النصارى الى البستيون ، وهو حصن آخر كانوا قد بنوه خارج باب تونس ، فحاصروهم سنان باشا به حتى اقتحمه عنوة . وقتلوا من به ، وامتلات

أيديهم من المغانم ، وطهر الله بهم البلاد ، وكانت إحدى الوقائع الجليلة القدر ،
الباقية الذكر ، وظفر الوزير بمحمد بن الحسن فاحتمله معه إلى السلطان سليم
فاعقله في يد قلة أحد حصونه حتى هلك ، ولاقرضت بمهلكه دولة بني أبي
حفص التي هي بقية الموحدين .

إذا علمت هذا ، فاعلم أن استيلاء الصاكر العثمانية على تونس كان قبل وفاة
السلطان الغالب بالله بنحو خمسة أشهر ، لأن وفاته كانت في آخر رمضان سنة
أحدى وثمانين وتسعمائة كما مر ، وفتح تونس كان في جمادى الأولى من
السنة المذكورة . ووقع في «الزهوة» : أن فتح تونس كان سنة اثنتين وثمانين
وتسعمائة ، وهو غير صواب ، والله تعالى أعلم .

❦

مجيء السلطان أبي مروان عبد الملك بن الشيخ السعدى بعسكر الترك
واستيلاؤا على المغرب



اعلم انه وقع في «الزهوة» وغيرها أن عبد الملك بن الشيخ وأخاه أحمد
كانا في ابتداء أمرهما بسجلماسة فلما توفى أبوهما وولى أخوهما الغالب بالله
لحقا بتلمسان فاقاما بها مدة ثم انتقلا إلى الجزائر ، فلما اتصل بهما خبر وفاة
أخيها الغالب وولاية ابنه محمد المتوكل من بعده ركب عبد الملك البحر إلى
القسطنطينية وتطارح على ملكها العثماني في أن يمدد بجيش لملك المغرب ، فتناقل عنه
العثماني إلى أن بعث بالعمارة لفتح تونس فشهد عبد الملك الفتح ، وعاد إليه
بالبشارة فأسعفه ، وهذا غير صواب من جهة أن فتح تونس كان مقدما على
وفاة الغالب بالله كما مر ، اللهم إلا إذا كان عبد الملك وفد على العثماني مستعديا
على أخيه الغالب بالله ، وفي أثناء ذلك توفى وولى ابنه المتوكل فيكون الكلام
صحيحا ، وأما ما في «الزهوة» مما يقتضى تأخر فتح تونس عن وفاة الغالب بالله
فغير صواب كما مر .

ولنذكر ما حكموه من ذلك فنقول : لما بويع السلطان أبو عبد الله محمد

المتوكل على الله كان عبد الملك بن الشيخ وأخوه أحمد المدعو بعد بالنصور بالجزائر ، فركبوا البحر الى القسطنطينية العظمى قاصدين السلطان سليم بن سليمان العثماني رحمه الله ، ومع عبد الملك أمه سحابة الرحمانية ، وزعم بعضهم أن التي كانت معهما مسعودة الوزكيتية ، وهي أم أحمد منهما ، فأنتهما الى القسطنطينية وتعلقا بكبراء الدولة حتى أدخلوهما على السلطان سليم ، ودخلت أمهما داره ، وطلبوا منه أن يبعث معهم العساكر لتملك المغرب ، ويقوموا فيه بدعوته ، فتناقل عنهم مدة الى أن كان الغزوا الى تونس فكتب السلطان سليم الى أهل الجزائر وأهل طرابلس أن يوجهوا قراصينهم لحصار تونس مع العمارة الموجهة من قبله ، فطلب عبد الملك وأخوه أحمد من الدولتين ، وهو صاحب الجزائر ، أن يجعل لهما رئاسة قرصان منها يتوجهان فيه للجهاد معه ، فأعطاهما غليظة فيها ستة وثلاثون رجلا فركبها ولحقا بعمارة السلطان سليم في جملة مراكب الجزائر . هكذا وقع في سياقة هذا الخبر ، وهو يقتضى أنهما كانا يومئذ بالجزائر لا بالقسطنطينية ، فلعلهما عادا اليها من عند السلطان سليم الى أن سافرا في جملة عسكر الجزائر والله تعالى أعلم ، ولما فتحوا تونس واستأصلوا من بها من الكفار حسبما مر عين رئيس العمارة العثمانية مركبين يتوجهان بكتاب الفتح الى السلطان سليم ، فطلب منه عبد الملك وأحمد أن يأذن لهما في الذهاب معهما بالغليظة ليأتيا بأمهما التي تركاها هنالك ، فلم يزلوا بالرئيس المذكور حتى أسعفهما . فكان من قدر الله تعالى ان هاج البحر عليهم ذات ليلة ففرق مراكبهم ، ولما أصبح عبد الملك وأحمد لم يجدا للمركبين أثرا فوافقهم السعد وساعدتهم الريح فوصلوا الى القسطنطينية قبل المركبين بثلاث .

واتصل خبرهما بالصدر الاعظم فأحضرهما وسألهما عن العمارة وما كان منها فأخبراه بفتح تونس ، وقصا عليه الاحديث من البدء الى التمام ، فأعلم السلطان سليمان بهما فأدخلهما عليه وسألهما كذلك فأخبراه ، وسألهما عن كتاب الفتح فقالا : ان امير العمارة قد بعث به مع مركبين صحبناهما الى أن فرق بيننا البحر ولم ندر ما كان منهما بعد ذلك .

ولما رأيا من السلطان سليم تنزلا واهتزازا لكلامهما طلبا منه في بشارتهما أن يبعث معهم العساكر الى الغرب، وشفعا في انزال رأس والدهما ودفنه قبل شفاعتهما ، ثم أمر بهما الى بعض المنازل فأنزلهما به وأكرمهما ، وبعث اليهما بالام التي كانت هنالك وأرجأ أمرهما الى قدوم الخبر اليقين ، وبعد ثلاث قدم المركبان ومعهما كتاب الفتح ، وظهر صدق عبد الملك وأحمد ، فحينئذ أقبل عليهما السلطان سليم وأعطاهما مالا وسلاحا وزادا وكتب لهما فرمانا للدولاتي صاحب الجزائر ليعتد بهما خمسة آلاف من عسكر الترك تطأ بهما أرض المغرب الأقصى :

ولما قدما على الدولاتي بالفرمان وقرأه على أهل الديوان قالوا علينا الرجال وعليهما المال ، وهذه عادتنا مع السلطان، ولما لم يكن عندهما مال يومئذ تطارحا على الخزندار وعلى الاغا والوكيل وأهديا اليهم ورغا منهم أن يسلفوهما ما ينفقانه في وجهتهما تلك الى أن يبعثاه اليهم من المغرب ، فسهلوا لهما وقوموا العسكر بما يحتاج اليه وفرضوا له المؤنة كل يوم بيومه الى أن يرجع ، وأشهدوا عليهما بذلك في دفتر فقيلا وأعطوا خطوطهما به ، ثم نهض عبد الملك وأخوه الى المغرب يجبران عساكر الترك خلفهما ، وكتب عبد الملك الى شيعته بالمغرب يعرفهم قدومه ويعدهم ويمنيهم الى أن كان من أمره ما كان . وساق اليفرنى هذا الخبر وفيه بعض مخالفة لما تقدم قال : « لما فتحت تونس كان عبد الملك أول من أرسل البشارة مع أصحابه الى السلطان العثماني فبلغت الرسالة أمه سحابة الرحمانية فاعطتها السلطان المذكور والتمست منه أن يعطيها في بشارتها أمر أهل الجزائر بالذهاب معها الى المغرب ، فأعطاه ذلك ، فجاء عبد الملك مع أمه بكتاب السلطان الى أهل الجزائر يأمرهم بالمسير معه لئلا يترك ما كان بيد آبائهم فطالبه أهل الجزائر بالراتب ، فقال لهم : أسلفوني وعلى القضاء فاتفق معهم أن يعطيهم عشرة آلاف لكل مرحلة ، وكان عدد جيش الترك أربعة آلاف » .

وقال في شرح « الدرر » : « ان عبد الملك طلب من رئيس الترك أن يعينه بحصة منهم توصله الى تخم بلاده ليدخلها اذ الجند كله جند أبيه لا يمكن

أن يقاتلوه ويضربوا في وجهه لتعظيمهم إياه فأبعفه على مراده ، وأرسل معه عصابة وحصة قليلة ، فأقبل بهم حتى انتهى الى الموضع المعروف بالركن من أحواز فاس ، فلما سمع بذلك ابن أخيه محمد المتوكل خرج للقائه بنفسه ، ولما التقى الجمعان نزع رئيس جند الاندلس سعيد الرغالي الى عبد الملك ، وكان عبد الملك يكتب حاشية المتوكل وبطائه ورؤوس أجناده ويعد طائعتهم ، ويوعدهم غاصبيهم ، فلما سمع المتوكل بما فعله جند الاندلس فت ذلك في عضده وفشلت ريحہ وأيقن بالنكبة ظنانه أن جنده كله سيفعل فعل الرغالي ، فكان ذلك سبب جزعه وفراذه من المعركة وسبب خراب ملكه وإقامة ملك عمه ، ويقال: ان بعض الجند لما سمع بان القائد جرمون وأولاد عمران نزعوا الى عبد الملك أيضا جاء الى المتوكل وقال له : « ان القائد ابن شقراء قد غدر وفر الى عبد الملك » وكان ابن شقراء هذا من أكبر قواده وأصدقهم لديه ، فارتاع المتوكل لذلك وانقلب منهزما ، وانتهد خزائنه ، وأوقد فيها النار ، ونفط ما كان بها من البارود حتى رى من رؤوس الجبال .

ولما انهزم المتوكل بالركن عطف على فاس الجديد فاخذ منها ما يعز عليه من الذخيرة ثم خرج على وجهه الى مراكش لا يلوى على شيء فلحق به القائد ابن شقراء بوادي النجاة على مقربة من فاس وأغلظ له في القول ولامه على عدم الثبات والتثبت ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .



استيلاء السلطان ابي مروان عبد الملك المعتصم بالله على حضرة فاس

وما يتبع ذلك



لما انهزم المتوكل بالركن وأجمل الى مراكش تقدم عمه أبو مروان الى فاس فدخلها واستولى عليها يوم الاحد سابع ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة من باب الفتوح ، وبعد أن دخلها وبايعه أهلها أقام بها أياما ثم طمحت نفسه الى اتباع ابن أخيه الى مراكش ، ولما عزم على النهوض اليه طالبه الترك بان

يردهم الى بلادهم وأن يعطيهم المال الذى اتفق معهم عليه وهم يسمونه بـلقتهم :
 البقتيش فبذل لكل واحد منهم أربعمئة أوقية ، واستسلف المال
 من تجار أهل فاس حتى يتسع حاله ، فكان جملة ما أعطى الترك خمسمئة
 ألف وأعطاهم عشرة من الانفاض ، منها النفص الكبير الذى له عشرة أفواه ،
 وزادهم من تحف المغرب وطرفه ما سلى به نفوسهم ، وركب لوداعهم بنفسه
 الى نهر سبو ، ثم رجع الى فاس .

وفى هذه المدة قبض على قاضيه الفقيه أبى مالك عبد الواحد بن أحمد
 الحميدى لأمر نقمه عليه وأودعه السجن ، فبعث الفقيه المذكور أولاده الى
 الشيخ الصالح أبى النعيم رضوان بن عبد الله الجنوى يطلب منه أن يشفع له عند
 السلطان المعتمد بالله ، فكتب اليه الشيخ أبو النعيم يحضه على الاستشفاع
 بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستمسك بحبله لانه باب الله الاعظم فقبل القاضي
 اشارته ، وتوجه الى ربه بكلية ، فاتاه الفرج من حينه ، رحم الله الجميع بمنه .



نهوض السلطان أبى مروان الى مراکش واستيلاؤه عليها

وفرار ابن أخيه إلى السوس وما نشأ عن ذلك .



ثم ان السلطان أبى مروان نهض من فاس فى جنده الذى أقامه وكان غرس
 يده وفيما انضاف اليه من جند ابن أخيه وتقدم الى البلاد المراكشية قاصدا
 حربه وتشريده عنها ، ولما سمع ابن أخيه بخروجه اليه وقصده آياه نهيا للاقائه
 وسار الى منازلته فالتقى للجمعان بموضع يسمى خندق الريحان على مقربة من
 وادى شراط من أحواز سلا فكانت الهزيمة أيضا على المتوكل ، وفر برأس
 طمرة ولجام ، وأجفل كعادته اجفال النعام ، وتبعه أحمد المنصور خليفة أخيه
 أبى مروان يومئذ ، فلما سمع المتوكل باتباعه بعد بلوغه الى مراكش فر عنها
 الى جبل درن . وأسلم له مراكش فدخلها أحمد نائبا عن أخيه ، وأخذ لسه
 البيعة على أهلها ثم لحق به السلطان أبو مروان فدخلها يوم الاثنين تاسع
 (الاستسما - خامس - 5)

عشر ربيع الثاني سنة أربع وثمانين وتسعمائة وأقام بها أياما ، ثم خرج في طلب ابن أخيه فعميت عليه أنبأؤه وسقط بين سمع الارض وبصرها ، فعاد أبو مروان الى مراكش فاقام بها الى أن كان من أمره ما نذكره .

•

استخلاف السلطان أبي مروان لأخيه أبي العباس أحمد على فاس واعمالها



لما استقر السلطان أبو مروان بمراكش وانقطع خبر المتوكل عنه بالسوس تقدم اليه أخوه أحمد وسأله أن يستخلفه على فاس ليكفيه أمرها ، فجابته الى ذلك وولاه عليها فلما منه أن أمر المغرب قد صفا له ، وإن المتوكل لا يعود اليه ، وكان الوزير أبو فارس عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي حاضرا للطلبة والعطية ، فانكر ذلك ولم يره صوابا ، وقال : « لا ينبغي لكما أن تقعدا حتى يحكم الله بينكما وبين ابن أخيكما ، ففاظ ذلك أحمد وظن انه من سوء رأى عبد العزيز فيه وبغضه لجانبه ، فأعرض عن مقالة الوزير المذكور ، وذهب الى فاس خليفة عليها ، وبقي السلطان أبو مروان بمراكش .

وفي هذه المدة كتب السلطان أبو مروان لأخيه أحمد برسالة يقول فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، من عبد الله المتعصم بالله ، المجاهد في سبيل الله أمير المؤمنين أبي مروان عبد الملك ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيدته الله وأعز نصره وأسعد زمانه المبارك وعصره وأبقى بمنه فخره من املائه أيدته الله ونصره ، الى أخينا الاعز الاحظى بابا أحمد حفظه الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فاعلم أنني لا أحب أحدا بعد نفسي كمحبتى لك ، ورغبتى في انتقال هذا الامر بمدى اليك لا لغيرك ، غير أنني أعتاد منك التراخي في الامور حتى أنك لا تبالي بغيرك من الامر ولا تعتبره ، الى أن يتطرق الى ما لا يتلافى جبره ، من الامور التسيمة تكاد لولا لطف الله تذهب بهذا الملك وتهد أركانه ، ويبلغ العدو معها مناه

ومرادء، من ذلك التراخى اهمالك أمر الجند الذى بالعرائش ، واغفالك له مع ما يترادف عليك فى كل ساعة من تلقائه من استدعاء ما دعت الحاجة اليه من المثونة والبارود والرصاص الذى لا يستقيم لهم أمر فى مقاومة العدو دون ذلك ، وجعلت تقابل خطابهم بالاهمال وعدم المبالاة ، والآن ساعة يرد عليك كتابنا هذا قبل وضعه من يدك ابعت اليهم مؤنة عشرة أيام بينما نصل ان شاء الله فيقع التدبير فيما يحتاجون اليه زائدا على ذلك مع ما عندكم هنالك من البارود والرصاص من غير عطلة ولا تراخ بحيث لا تقل منك عذرا فى هذه المسألة التى لا تحتاج الى الاهمال ، ولا بد ولا بد ، فقد بلغنا أن صاحب النصارى بقرب أصيلا فى خمس عشرة مائة من النصارى ، وتمنيت أن لوحركتك الهممة للاقتحام عليه فى مكانه بجيش يكسوه أردية الصغار ، ويرجع ساعة رؤيته الى عادته من الذل والفرار ، فانتبه من الغفلة وافتح عين الانتباه واليقظة ، فإن الساعة لا تقتضى الا الحزم ، وللتشهير عن ساعد الاجتهاد والعزم ، والسلام ، اه .

ظهور ابى عبد الله المتوكل بالسوس ومجيئه الى مراکش

واستبلاؤا عليها

كان أبو عبد الله المتوكل بعد فراره عن مراکش يجول فى جبال السوس ويتنقل فى قبائلها وأحيائها الى أن اجتمعت عليه طائفة من الصعاليك وتأشب عليه ما يشبه ان يكون جيشا فاستهوتهم منه الاذليل وقادهم قود الملك للضليل وجاء بهم الى مراکش . فسمع به السلطان ابومروان فخرج للقاءه فخالفه المتوكل وسلك طريقا غير طريقه، وفجا غير فجّه ، وقصد مراکش فدخلها* باتفاق أهلها ونصروه وكتبوا له البيعة الا أنه لم يتمكن من القصة، لان السلطان

(*) سنة ٨٤ وفى هذه السنة كانت فتنة أبى عبد الله الاندلسى ومقتله كما ذكره المؤلف فيما سبق . انظر الدوحة صفحة ٨١ .

أبا مروان كان قد ترك بها أخته الست مريم فى نحو ثلاثة آلاف من الرماة فتحصنوا بها وبلغ الخبر أبا مروان باستيلاء المتوكل على مراكش فرجع عوده على بدئه الى أن وافى الحضرة ، فحاصره بها وكتب الى أخيه أحمد الخليفة على فاس أن يأتيه بجيش منها ، فأتاه به أحمد مسرعا .

ولما انتهى الى مراكش اجتمع بالوزير أبى فارس الوزكىتى فقال له : « أوقفت على رأى ؟ أول الفكرة آخر العمل ! » فأتت لأحمد نصيخته وزال ما كان يحتلج بصدده عليه .

ولما جاء أحمد بجيش فاس أسلم المتوكل شيعته من أهل مراكش وفر الى السوس فبقى أهل مراكش متمادين على الحصار الى أن اتفق السلطان أبو مروان مع أعيان جراوة فأدخلوه من بعض الاسوار والانقاب ، ولما فر المتوكل الى السوس تبعه أحمد المنصور فكانت بينهما هنالك حروب عظيمة أتاح الله فيها النصر للمنصور ، منها : وقعة تينزرت التى أنشده فيها وزيره الكاتب أبو الحسن على بن منصور الشيفى البتين اللذين قالهما فيه الكاتب أبو عبد الله بن عيسى وهما :

هو الغيث والبحر لفظطم فى الندى وليت اذا جد الطعان هصور
يفوق السهام عزمه وانبعائسه ويوقصر عنه فى الثبات تيسر
فأجابه أحمد المنصور بيتى أبى فراس الحمدانى وهما :

ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا فى المعالى نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر
ومنها الوقعة التى بعدها بإساطين المنصور وهو فى نحو ثلاثة آلاف ، والمتوكل فى نحو ستين الفا ومع ذلك هزمه المنصور

قلت : كان أحمد المنصور هذا مجودا ، محظوظا مسعودا ، بحيث أثرت سعادته على شجاعته ، وما كان أخوه عبد الملك يسرى الا فى ضوء طلعه ويمن نقيته ، فلذا كان يقدمه فى الحروب ويستكفى به فى نوازل الخطوب ، ومن سعادته ما اتفق له فى ذهابه الى العثمانى بخير الفتح وتقديمه قبل الكتاب بثلاث حتى تسنى له من جانب السلطان المذكور ما كان سببا فى استيلائهما على المغرب ،

وستسمع في أخبار دولته من أبناء سعادته ما تقف به على حقيقة الحال ان شاء الله . وأما أمر المتوكل فانه بعد توالي الهزائم عليه فر الى جبل درن وتوغل في قننه ثم فر منه الى باديس فاقام بها مدة ثم ذهب الى سبته ثم دخل طنجة مستصرخا بعظيم البرتقال ، والله تعالى لا يهمل من حقوق عباده وزن المثقال .



الغزوة الكبرى بوادي المخارن من بلاد الهبط والسبب فيها



كان من خبر هذه الغزوة أن السلطان المخلوع أبا عبد الله محمد بن عبد الله السعدى لما دخل طنجة قصد طاغية البرتقال ، واسمه سيسيان ، بكسر السين وفتح الباء والسين وسكون التاء القريبة من الطاء ، وهو طاغيتهم الاعظم ، وليس قائد الجيش فقط على ما هو المحقق في تواريخهم ، وتطارح عليه وشكا اليه ما ناله من عمة أبي مروان المعتصم بالله وطلب منه الاعانة عليه كي يسترجع ملكه . وينتزع منه حقه ، فاشكاه الطاغية ولبي دعوته وصادف منه شرها الى تملك سواحل المغرب وأمصاره ، فشرط عليه أن يكون للنصارى سائر السواحل وله هو ما وراء ذلك فقبل أبو عبد الله ذلك والتزمه ، وللحين جمع الطاغية جموعه واستوعب كبراء جيشه ووجوه دولته وعزم على الخروج الى بلاد الاسلام .

ومن المتواتر في تواريخ الافرنج : ان كبار دولته حذروه عاقبة هذا الخروج ونهوه عن التفرير ببيضة البرتقال وتوريثها في بلاد المغرب وقائله ، فسمعن سماع قولهم ولج في رأيه ، وملك الطمع قلبه ، وأبى الا الخروج فاسفوه وخرج من طنجة في جيش ، قال ابن القاضى في المنتقى المقصور : « عدده مائة ألف وخمسة وعشرون ألفا » ، وقال أبو عبد الله محمد العربي الفاسى في مرآة المحاسن ، يقال : ان مجموعهم كان مائة ألف وعشرين ألفا وأقل ما قيل في عددهم ثمانون ألف مقاتل . وكان مع محمد بن عبد الله نحو الثلاثمائة من أصحابه ، قال بعضهم : وكان عدد الانفاض التي يجرونها مائتين ،

وقصدوا هلاك المغرب وحصد المسلمين ، وإدارة رحى الهوان على الدين ، فظلم ذلك على الناس وامتلاّت صدورهم رعباً وقلوبهم كرباً ، وبلغت القلوب الحناجر ، واتقدت بها نيران الهواجر ، وكان محمد بن عبد الله المذكور قد كتب عند خروجه بجيش البرتقال الى بلاد الاسلام رسالة بعث بها الى أعيان المغرب من علمائه وأشرفه وذوى رأيه يغمض عليهم بها فى نكت بيعته ونقضها ، ومبايعة عمه من غير موجب شرعى ، وقال لهم : « ما استصرخت بالنصارى حتى عدت النصرة من المسلمين » وقد قال العلماء : انه يجوز للانسان أن يستعين على من غصبه حقه بكل ما أمكنه . وتهدهم فيها وأبرق وأرعد . وقال : « فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » وسمى النصارى : أهل العدو واستنكف من تسميتهم نصارى ، فأجابه علماء الاسلام رضوان الله عليهم عن رسالته تلك برسالة دامية لجيش أباطيله وفاحشة لريك تأويله ، وهذا نص جواب تلك الرسالة حرفاً حرفاً : الحمد لله كما يجب لجلاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه وأرساله ، والرضى عن آله وأصحابه ، الذين هجروا دين الكفر فما نصره ولا استنصروا به ، حتى أسس الله دين الاسلام بشروط صحته وكماله .

وبعد ، فهذا جواب من كافة للشرفاء والعلماء والصلحاء والاجناد من أهل المغرب وفقهم الله لمولانا محمد ابن مولانا عبد الله السعدى عن كتابه الذى استدعاهم فيه لحكم الكتاب والسنة ، واستدل بحججه الواهية المنكبة عن الصواب ، قائلين له عن أول حجة صدر بها الخطاب ، لو رجعت على نفسك اللوم والغتاب لعلمت أنك المحجوج والمصاب ، ققولك : خلنا بيعتك التسمى التزمنها ، وطوقناها أعناقنا وعقدناها ، فلا والله ما كان ذلك منا عن هوى متبع ، ولا على سبيل خارج عن طريق الشرع مبتدع ، وانما ذلك منا على منهج الشرع وطريقه ، وعلى سبيل الحق وتحقيقه ، وسنشرح لك ذلك ونبينه ، ونسطره لك بالدلة الشرعية التى ترقيه وتزيه ، نعم كنت سلطاناً بما عقد لك والدك من البيعة ، وترك لك من الاموال والعدد والحصون مما لم يتهياً مثله لاحد من أسلافكم الكرام رضوان الله عليهم ، فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك فى

« حق جهاده ، حتى استخلصوا من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصول
ده ، وأسسوا لدين الله قواعد وأركاناً ، وملكوا من المغرب بلاداً معتبرة
وطناً ، فلما وصل ذلك إليك ألفت إليك العباد أعنتها ، وملكك أزمناها ،
مبدلين ولا مغيرين ، ولا باغين ولا منكرين ، الى أن قام عليك عمك بحجته
لا يمكنك جرحها ، حسبما ثبت كما يجب عقدها ، فخرجت مبادراً له
بها ، ولقيته بها وأنت واسطة عقدها ، وحامل راية عهدها ، وعمك في فئة
يعخطر على بال عاقل أن يقابل جنداً من جنودك ، أو يدافع ما تحت لواء من
يتك وبندوك ، فما هو إلا أن جرى القتال ، وحضر النزال ، رجعت على عقبك
بها هروب مطرود بقصاص ، وجنودك تناديك ولات حين مناص ، فتركت
دك ومحتلك بكل ما فيها ، وخلفتها لعدوك ينهاها ويسبيها ، وهربت عن
بنة فاس المحروسة وسكانها ينادونك : لمن تركتنا والى من تكلنا ؟ فلم تلتفت
سم وأسلمت بلادهم على ما فيها من خزائن الاموال والعدد الوفيرة والرجال
الساور المرتفعة للمانة ، والمدينة المشهورة الجامعة ، فأصبح أهلها والسيد
دية من المفسدين تريد أن تمتد الى الحريم والاولاد ، والطارف والتلاد ،
'دافع عن الضعفاء والمساكين الا الله تعالى الذي قال في مثلهم : «ومن أصدق من
« قبيلاً ، « لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، « فما أمكنهم بعد هروبك عنهم
سلامك لهم فوضى مهملين الا النظر في أمرهم ، واعمال الفكر في التدبير على
سهم ، فينماهم على ذلك اذا بعك بجنوده على باب مدينتهم قائماً بحجته ،
لكا في ذلك سبيل أبيه رحمه الله ومحجته ، حسبما تقرر ذلك عندكم
لهر ، ولم يخف عنكم منه عين ولا أثر ، اذ كان مولانا محمد الجيد الأكبر
د لاولاده مولانا أحمد ، ومولانا محمد الشيخ واخوانهم ، لا يتولى الخلافة
سم ولا من أولادهم الا الأكبر فالأكبر ، فالتزموا ذلك الى أن كبر أولادهم
لب جدك من عمك الوفاء بذلك فامتنع ، فقاتله على ذلك حتى تم له الامر
تنظم ، فعهد لوالده الذي كان أكبر أولاده ، فلم ينازعه أحد في ذلك الى أن
ى والدك رحمه الله ذلك ، وعهد اليك فلم ينازعكم أحد ، فأبى الله الا
حق فاعطى ملكه لعمك الذي هو أكبركم بعد أبيك ، فان سلمت هذا فأبى

حجة تدلى بها وأى طريق تعتمد عليها؟ وإن أنكرت هذا فلا أثر لخلافة أبيك من قبلك ولا لجديك من قبله لثبوتها لعمكم مولانا أحمد ، إذ لا حجة حينئذ لجديك فى القيام على عمك ، فخلافته صحيحة لبيعة جدك له ، فلم يسبق الا التغلب الذى تدلى به فى مسألة عمك وفى قيامه عليك ، فان كتبت تريد أن تسقط حجته بالتغلب عليك فحجبتك أبين فى السقوط لعدم ثبوت الخلافة لمن عقدها لك ، إذ المعدوم شرعا كالمعدوم حسا ، فلم يبق بينكم الا : « والمك بعد أبى لى لمن غلبا » ، فيلزمك على هذا أن تثبت ما عقده مولانا الجيد رحمه الله ، وعليه فالخلافة لعمك القائم عليك إذ هو أكبركم فى هذا التاريخ .

فان قلت : ان ما عقده الجيد غير صحيح ، قلنا : فقد ذكر الامام الماوردى رحمه الله ورضى عنه فى كتاب الاحكام السلطانية له فى باب عقد الخلافة : أن عبد الملك بن مروان رتبها فى الأكبر فلا أكبر من بنيه فلم ينازعه أحد فى ذلك .

فان قلت : فعل عبد الملك ليس بحجة ، قلنا : سكوت العلماء على ذلك وهم ما هم فى زمانه هو الحجة ، إذ لا يمكن أن يسكتوا على باطل ، وأقرار أهل العصر الواحد على مسألة من المسائل واتفاقهم عليها يقوم مقام الاجماع الذى هو حجة الله فى أرضه ، وكان أيضا من محفوظات علماء فاس المحروسة ما أخرجه مسلم رضى الله عنه فى صحيحه فى كتاب الامارة ما نصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند رأسه يقال هذه غدره فلان بن فلان ، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة » قال القاضى : أبو الفضل عياض رحمه الله فى كتاب « اكمال المعلم على شرح فوائد مسلم » : « يعنى لم يحطهم ولم ينصح لهم ولم يف بالعقد الذى تقلده من أمرهم ، وفى الباب نفسه عنه عليه الصلاة والسلام ما نصه : « ما من أمير استرعاه الله رعية ثم لم ينصح لهم الا لم يرح رائحة الجنة ، وإن رجعها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » . وفى « الاكمال » نفسه قال القاضى : « والذى عليه الناس أن القوم اذا بقوا فوضى مهملين لا امام لهم فلمهم أن يتفقوا على امام يابعونه ، ويستخلفونه عليهم ينصف بعضهم من بعض . ويقيم لهم الحدود » . فلما أسلمتهم وأضحوا

بغير امام وعمك يدلى بحجته التى ذكرنا لك مع ما حفظوه من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وكلام السلف الصالح ، وأيسوا من رجوعك اليهم ، وبقوا فوضى مهملين لم يسمعهم الا الرجوع الى ما عليه الناس رضوان الله عليهم فاتفقوا على أن يبايعوا عمك لما ذكرنا لك من الحجج التى لا يسمعك جحدها الا على وجه المكابرة ، فاطمان الناس وسكنوا وانفتحت السبل وأقيمت الحدود وارتفعت اليد العادية .

فان قلت : كان يجب على أهل فاس أن يقاتلوا على البيعة التى التزموها لك قلنا : انما يلزمهم القتال أن لو أقمت بين أظهرهم فيكون قتالهم على وجه شرعى لان القتال على الحدود الشرعية انما يكون بعد نصب امام يصدر الناس عن رأيه ولا يمكنك أيضا جحدها ايه . ثم وصلت الى مراكز الفراء التى تجبى اليها الاموال من البوادر والامصار ، وتشد اليها الرجال من سائر الاقطار ، فليك أهلك بالترحاب والسرور ، وأنواع الفرح والجبور ، فوجدت خزانها تدرج ملئا من كل شئ ، فأما أسوارها ورحابها فىى كما قيل : تربة الولى ، ومدرج الحلى ، وحضرة الملك الاولى ، والبرج النير الجلى ، فحلتها وتمكنت من اموالها وخزائنها ، وواقك اهلها فما نكثوا ولا غدروا ، ولا خرجوا عليك فى سلطانك ولا أنكروا ، فطلبت أيضا قتال عمك ووجدت جنودا لا يجمعها ديوان حافظ ، ولا يبعدها لسان لافظ ، فخرجت اليه تجر أعنة الخيل وراك كالسيول ، والرماة قد ملأت الهضاب والتلوى ، فما كان من حديثك الا أن وقع القتال وحضر النزال ، بادرت هاربا محكما للعادة ، تاركا للرؤساء من أجنادك والقادة ، فحلت بهم الخطوب والرزايا ، واختطفتهم أيدي المنايا ، فتركت أيضا محلثك بما فيها من حريمك وأموالك وعدتك ، ثم أسرعت هاربا الى مراكزك فما صدك عنها أحد من أهلها ، ولا قال لك أحد لست بعملها فعملوا على القتال معك والتمنع بأسوارها الحصينة ، والحصار داخل المدينة ، فلما كان الليل غدرتهم وغادرت بناتك وأخواتك وعماتك ونساءك ، وخرجت عنهم من القصة وتركهم لا بواب عليهم ولا حارس ، ولا راجل ولا فارس ، فيالها من مصيبة ما أعظمها ، ومن داهية ما أعظمها . ولولا فضل الله ولطفه

ووعده بتطهير أهل البيت لامتدت اليهم أيدي السفلة من الفسقة فأى حجة تبقى لك بعد هذا؟ وأى كلام لك بين الرجال يا هذا؟ ثم جاءك عمك أيضا بما سلف من الحجاج فوجد أهلها فى لطف الله سبحانه وهم يحرسون أولادهم وديارهم من اليد العادية، فأنقذهم الله به أيضا فباعوا عمك بما سلف من الحجاج، واطمأنوا وسكنوا، ثم هربت للجيل عند صاحبه (*) فصرتما فى نهب أموال الرعية وسفك دمائهم، وأكثر ما صفا لك من ذلك أهل الذممة المصفرون بحكم القرآن، الداخلون تحت عهد سيد الثقلين فى الأمان والأمان فانت وهم فى استيلائك عليهم وظلمك إياهم كما قيل .

ان هو مستوليا على أحد الا على أضعف المجانين

ولم تبال بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا خصيم من ظلم ذميا يوم القيامة » ثم خربت العامر ، وأفسدت ما شيدت الأسلاف للإسلام من المآثر ، فلما رأى أهل السوس الأقصى ذلك أيقنوا انك انما قصدت خراب الاسلام وأهله فنكب عنك أهل الدين والعلم منهم وبقيت ، كما قيل ، : « فى خلف كجبلد الاجرب » .

فان قلت : ان أولئك الخلف لم يبيعوا عمك فنقض بهم ما قرناه ، قلنا : لم يظعن فى خلافة أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه من تخلف عنها من أهل الشام ، وفيهم من قد علمت من الناس ، والإجماع على صحة بيعته: وسمى من تخلف عنها: باغيا لقول النبى صلى الله عليه وسلم لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » فقتله أصحاب معاوية رضى الله عنه ، والحديث من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، والقاعدة أن ما اجتمع عليه من يعتبر من أهل العصر الواحد هو المعول عليه ، ولا يعد خلاف من خلفه خلافا وهذا كله بالنظر الى ما كان من حديثك قبل التحزب مع عدو الدين ، والاخذ

(*) المقصود به هو الشيخ ابو عبد الله بن محمد واسعدون الذى التجأ اليه المتوكل بعد فرار لا انظر «الدوحة» صفحة ٨٤ « وطبقات الحضيكي » فى حرف الميم « والممتع » «والصفوة» وقد ذكرت ترجمته فى هذا المؤلف الاخير استطرادا فى ترجمة تلميذه سيدى احمد المعروف بالشيخ وكانت وفاة ابن واسعدون هذا عام ٩٨٧ بعد غزوة وادى المخازن بسنة .

فى التخطيط العظيم على المسلمين ، فانك اتفقت معهم على دخول أصيلا ، وأعطيتهم بلاد الاسلام ، فيالله وبالرسوله لهذه المصيبة التى أحدثتها ، وعلى المسلمين فتحتها ، ولكن الله تعالى لك ولهم بالمرصاء ثم لم تتمالك أن ألقيت بنفسك اليهم ورضيت بجوارهم وموالاتهم كأنك ما طرق سمعك قول الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فانه منهم » . قال أبو حيان رحمه الله : أى لا تصروهم ولا تستصروا بهم وفى كتاب القضاء من نوازل الامام البرزلى رحمه الله : أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين للمتولى رحمه الله استفتى علماء زمانه رضى الله عنهم ، وهم ما هم ، فمواستصار ابن عباد الاندلسى بالكتابة الى الافرنج على أن يعينوه على المسلمين فأجابه جلهم رضى الله عنهم برده وكفره ، فتأمل هذا مع فضيتك تجدها أحروية مناسبة لقضية ابن عباد فى عقدها ابتداء ، وانه متى طرأ للكفر وجب الغزل ، وناهيك بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالنسمع والطاعة » وبما أفتى العلماء رضوان الله عليهم برده من استنصر بالنصارى على المسلمين فهو نص جلى فى وجوب خلحك ، وسقوط بيعتك ، فلم يبق لك الا منازعة الحق سبحانه فى حكمه ، « ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » .

وأما قولك : فى النصارى فانك رجعت الى أهل العدو واستعظمت أن تسميهم بالنصارى ، فيه المقت الذى لا يخفى . وقولك : رجعت اليهم حين عادت النصره من المسلمين ففيه محظوران يحضر عندهما غضب الرب جل جلاله أحدهما : كونك اعتقدت أن المسلمين كلهم على ضلال ، وان الحق لم يبق من يقوم به الا النصارى والعباد بالله والثانى : انك استغنت بالكفر على المسلمين . وفى الحديث : أن رجلا من المشركين ممن عرف بالنجدة والشجاعة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم . فوجده بحرة الوبرة « موضع على نحو اربعة اميال من المدينة » فقال له : « يا محمد ، جئت لانصرك » فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « ان كنت تؤمن بالله ورسوله » فقال : « لا أفعل » فقال له عليه الصلاة والسلام : « انسى لا

أُستعين بمشرك ، وما سمعته من قول العلماء رضى الله عنهم فى الاستعانة بهم
انما هو على المشركين بان نجعلهم خدمة لا زبال الدواب لا مقاتلة ، فأما
الاستعانة بهم على المسلمين فلا يخطر الا على بال من قلبه وراء لسانه ، وقد
قيل قديما : لسان العاقل من وراء قلبه ، وفى قولك : يجوز للانسان ان يستعين
على من غصبه حقه بكل ما أمكنه وجعلت قولك هذا قضية أنتجت لك دليلا على
جواز الاستعانة بالكفار على المسلمين ، وفى ذلك مصادمة للقرآن والحديث
وهو عين الكفر أيضا والعياذ بالله

وقولك : فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، إيه أنت مع الله
ورسوله أو مع حزبه فتأمل ما قلت فنى الحديث : « يتكلم أحدكم بالكلمة تهوى
به فى النار سبعين خريفاً »

ولما سمعت جنود الله وأنصاره وحماة دينه من العرب والعجم قولك
هذه حملتهم الفيرة الاسلامية والحمية اليمانية ، وتجدد لهم نور الايمان .
وأشرك عليهم شعاع الايقان ، فمن قائل يقول : « لا دين الا دين محمد صلى الله
عليه وسلم » ومن قائل يقول : « سترون ما أصنع عند اللقاء » ومن قائل يقول :
« وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » ومن قائل يقول : « انما قصد
التشقى بالمسلمين اذ لو كان يطلب الصلاح لما صدرت منه هذه الافعال
الفبيحة » الى غير ذلك فجزاهم الله عن الاسلام خيرا . ورضى عنهم وبارك
فيهم ، فله درهم من رجال وفرسان وأبطال وشجعان ، فلو لم يكن منهم الا ما
غير قلوبهم على الدين لكان كافيا فى صحة ايمانهم وعظيم ايقانهم فقد بلغ نور
غضبهم لله سبحانه ساقى العرش والحب فى الله وللغضب فى الله من قواعد
الايمان .

وقولك أيضا : متبرئا من حول الله وقوته ، فان لم تفعلوا فالسيف . فهو
كلام هذيان يدل على حماقة قائله فقط . انبا سيفك هذا وأنت مع المسلمين
فى أربع وعشرين معركة لم تثبت لك فيها راية ، ثم زال نبوه الان بالكفار
فهذه أضحوكة فتأملها .

وأما ما نسبته لامام دار الهجرة فكفاك عجزا ان لم تعين لنا نصاجليا

تعتمد عليه فيما تحتاج به الا أنك كثرت به سواد القرطاس مغربا بذكره لامعربا بنصه .

وما نسبته للحنفية من أكل الميتة عند الضرورة وتسويغ الفصه بخمر ، فهو مما نص عليه المالكية في مختصراتهم التي ألفوها للصبيان ، فعدوك عن ذلك الى الحنفية اما قصور ، واما الغاء لمذهب مالك رضى الله عنه ، وهو النجم الثاقب .

وأما قولك : أتم أهل بنى وعناد فلا نسلم لك ذلك الا لو أقمت بين أظهرنا وقائت معنا حتى ترى أنسلمك أم لا . فأما اذ هربت عنا وتركنا فالحجة عليك لا علينا ، على انك فى كتابك تفسق الكل بذلك وتكفره ، وقد قال العلماء رضى الله عنهم : « من يقول بتكفير العامة فهو أولى بالتكفير » وذلك معزولزعيم العلماء القاضى أبى الوليد ابن رشد ، والقاضى أبى الفضل عياض ، وكيف لا تنظر لقضايا تلمسان وتونس وغيرهما من سائر البلدان ، وكيف وقع لامرائهم المستنصرين بالكفار على المسلمين ، هل حصلوا على شيء مما قصدوه ، أو بلغوا شيئا مما أملوه ؟ على أن أكثر العلماء حكموا بردهم فقاتتهم الدنيا والاخرة والعاياذ بالله .

وقد افتخرت فى كتابك بجموع الروم وقيامهم معك ، وعولت على بلوغ الملك يحشودهم ، وأنى لك هذا مع قول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأكملت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينه » ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ، وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لن تغلب هذه الامة ولو اجتمع عليها من الكفار ما بين لابات الدنيا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيقاقل آخر هذه الامة الدجال » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سألت ربى ثلاثا فأعطاني اثنين ومنعنى واحدة ، سألته الا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها ، وسألته الا يغلبهم عدوهم الكافر فأعطانيها ، وسألته الا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » . والكل عليك واياك نعى .

وما ذكرته عن عمك : قاعلم أنه لما بلغه خبرك واستنصارك بالكفار عقد ألويته المنصورة بالله فى وسط جامع المنصور بعد أن ختم عليها أهل الله من

حملة القرآن مائة ختمة، وصحيح البخارى، وضجوا عند ذلك بالتهليل والتكبير،
والصلاة والسلام على البشير النذير، والدعاء له وللإسلام بالنصر والتمكين،
والفتح الشامخ المبين، فلو سمعت ذلك لعلمت وتحققت أن أبواب السماء
انفتحت لذلك، وقضى ما هنالك، وبلغه كتابك الذى كان هذا جواباً عنه وهو
بوسط تامسنا معه من جنود الله وأنصاره وحماة دينه ما يجعل الله فيه البركة،
ولولا أن الشرع العزيز أمر بتعظيم جنود الإسلام والمباهاة بها، والافتخار
بكرتها لما قررنا لكم أمرها، إذ لا اعتماد له أيده الله عليها، وكذلك هم لا
اعتماد لهم الا على حول الله وقوته ونصره وتأيدته، والناس على دين الملك،
وقد قاتلك وأنت فى وسط المسلمين فى بضع عشرة معركة لم تنصر لك فيها
راية، فأى نحس وشؤم حلالا بديار الروم، فإن جلبتهم فالله لك ولهم بالمرصاد،
ارجع الى الله أيها المسكين، وتب اليه فإنه يقبل التوبة عن عباده فى كل وقت
وحين، ودع عنك كلام من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله،
وهذه نصيحة ان قبلتها، وموعظة ان وفقت اليها، والله يهدى من يشاء الى
صراط مستقيم، وهو نعم للمولى ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل،
والسلام، انتهت الرسالة.

وكان خروج محمد بن عبد الله بجيش البرتقال وفصوله به من طنجة
فى ربيع الثانى سنة ست وثمانين وتسعمائة، قال فى «المرآة»: «انهم لما
خرجوا الى بلاد الاسلام ضربوا محلاتهم بالفحص، على أقل من مسيرة يوم من
مدينة القصر، وكانت أصيلاً قد تصيرت اليهم قبل ذلك بأشهر، يعنى بعد
فرارهم عنها أيام للسلطان محمد الشيخ كما تقدم، فعان أهل القصر الهلكة
لقرب العدو منهم وقوته التى لا طاقة لهم بها، وفشا النفاق لاجل السلطان
محمد بن عبد الله الذى معهم ولاجل بعد صريح المسلمين، فان السلطان أبا
مروان المصمم بالله كان اذ ذاك بمراكش، فاستبطاوا وصول الخبر اليه،
ثم مجئهم بعد ذلك، فلم يبق لهم تدبير الا الفرار، والتحصن بالجبال وغيرها،
فقال الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسى رحمه الله، وكان اذ ذاك بالقصر،
لرجل من أصحابه: «نادى الناس أن الزموا بلادكم ودوركم، فان عظيم النصارى

مسجون حيث هو ، حتى يجيء السلطان من مراكش ، وإن التصارى غنيمة للمسلمين ، ومن شاء فليعط خمسين اوقية فى التصارى ، يشير الى مبلغ قيمة التصارى فى الغنيمة ، فما انتقل التصارى من مكانهم ذلك اكثر من شهر حتى قدم السلطان أبو مروان وكان مريضا ، اه .

وقال فى «النزهة» : « ان التصارى لما برزوا من طنجة شنوا الغارة على السو لحد ، فأعلم أهلها السلطان أبا مروان ، وكان بمراكش ، وشكوا اليه كلب العدو عليهم ، فكذب السلطان أبو مروان من مراكش الى الطاغية : « ان سطوتك قد ظهرت فى خروجك من أرضك ، وجوازك العدو فان ثبت الى أن تقدم عليك فانت نصرانى حقيقى شجاع . والا فانت كلب ابن كلب » فلما بلغه الكتاب غضب ، واستشار اصحابه هل يقيم حتى يلحق بنا من خلفنا من أصحابنا ، فقال له محمد بن عبد الله : « الرأى أن تقدم ونملك تطاوين والعرايش والقصر ونجمع ما فيها من العدة وتتقوى بما فيها من الذخائر ، فأعجب ذلك الرأى أهل الديوان ولم يعجب الطاغية . وكذب السلطان ابو مروان لاختيه أبى العباس أحمد ، وكان نائبه على فاس وأعمالها ، أن يخرج بجيوش فاس واحوازها وينهاى للقتال ، ثم كتب اليه ايضا فى شأن مئونة الجيش كتابا يقول فيه : « من عبد الله المعتصم بالله المجاهد فى سبيل الله أمير المؤمنين أبى مروان عبد الملك بن امير المؤمنين أبى عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيد الله أمره وأعز نصره الى أخينا الاعز الانجب بابا أحمد بن مولانا الوالد حرس الله كريم اخائه سلام كريم ورحمة الله وبركاته أما بعد فانا كتبنا اليكم من محلتنا السعيدة بئامنا ولا زائد بحمد الله الا الخير والعافية والنعم الضافية ، هذا وانه ساعة وصوله اليكم تخرجون من الخدام لعمالة مكناسة وقبيلة زمور وأولاد جلول من يفرض عليهم علف محلتنا المنصورة ومؤنتها ويأمرهم برفعه وإبلاغه الى مدينة سلا ، وقدر ذلك صحيفة شعير ، وعشرون مدا من التمجج لكل نائبة وصاع من سمن وكبش لكل أربع نولاب ، ووكد عليهم رعاك الله أن يعتنوا بذلك ، وبايصاله الى المكان المذكور من غير عطلة وهذا ما وجب به الاعلام اليكم والله يرعاكم بمنسه

والسلام ه اه .

ثم كتب السلطان أبو مروان للطاغية ثانية ، وذلك بعد ما وصل الى القصر : انى رحلت اليك ست عشرة مرحلة أما ترحل الى واحدة ، فرحل الطاغية من موضع يقال له : تاهدات ، ونزل على وادى المخازن بمقربة من قصر كتامة ، وكان ذلك من السلطان أبى مروان مكيدة ، ثم إن الطاغية تقدم بجيوشه ، وعبر جسر الوادى ونزل من هذه العدو فامر السلطان بالقنطرة أن تهدم ، ووجه اليها كتيبة من الخيل فهدموها ، وكان الوادى لا مشرع له سوى القنطرة ، ثم زحف السلطان أبو مروان الى العدو بجيوش المسلمين ، وخيل الله السمومة ، وانضاف اليه من المتطوعة كل من رغب فى الاجر وطمع فى الشهادة ، وأقبل الناس سراعاً من الاتفاق ، وابتدروا حضور هذا المشهد الجليل ، فكان ممن حضره من الأعيان الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسى وغيره .
أقال فى «المرآة» : « كان الشيخ أبو المحاسن فى ذلك اليوم فى أحد الجناحين ، وأظنه الميسرة ، من عسكر المسلمين فى مقابلة النصارى دمرهم الله ، قال : فوقع فى ذلك الجناح انكسار ترحزح به المسلمون عن مصافهم ، وحملت عليهم النصارى دمرهم الله فثبت الشيخ وثبت من كان معه الى أن منح الله المسلمين النصر ، وركبوا أكتاف العدو يقتلون ويأسرون ، والشيخ لم يتزلزل ، ولم يلتفت منذ توجه الى قتالهم حتى فتح الله عليهم ه اه .

ولما التقت الفئتان وزحف الناس بعضهم الى بعض وحمل الوطيس واسود الجو بنقع الجياد ودخان المدافع وقامت الحرب على ساق توفى السلطان أبو مروان رحمه الله عند الصدمة الاولى ، وكان مريضاً يقاديه فى محفة فكان من قضاء الله السابق ولطفه السابغ أنه لم يطلع على وفاته أحد الا حاجبه مولاه رضوان العليج ، فانه كنم موته ، وصار يختلف الى الاجناد ويقول : «السلطان يأمر فلاناً أن يذهب الى موضع كذا ، وفلاناً أن يلزم الراية ، وفلاناً يتقدم ، وفلاناً يتأخر » .

وقال شارح «الزهره» : لما توفى السلطان أبو مروان لم يظهر الذى كان سائس المحفة موته ، فصار يقدم دواب المحفة نحو العدو ، ويقول للجنود :

« السلطان يأمركم بالتقدم إليهم » . وعلم أيضا بموته أخوه ، وخليفته أبو العباس أحمد بن الشيخ . فكتمها ، ولم يزل الحال على ذلك ، والناس فى المناضلة والمقاتلة ومماثلة القواضب ، والاصطلام نار الطعان ، واحتساء كؤس الحمام الى أن هبت على المسلمين ريح النصر ، وساعدهم القدر ، وأثمرت أغصان رماحهم زهر الظفر ، فولى المشركون الادبار . ودارت عليهم دائرة البوار ، وحكمت السيوف فى رقاب الكفار ففروا ولات حين فراو ، وقتل الطاغية سيستان عظيم البرتقال غريقا فى للوادي ، وقصد النصارى القنطرة فلم يجدوا الا آثارها فخشعت نفوسهم ، وتهاقوا فى النهر تهاقت الفراش على النار ، فكان ذلك من أكبر الاسباب فى استئصالهم ، وأعظم الخبائل فى اقتناصهم ولم ينبج منهم الا عدد نزر وشردمة قليلة .

« وقال فى «المنتقى» المقصور : « كانت هذه الغزوة من الغزوات العظيمة الوقائع الشهيرة حضرها جم غفير من أهل الله تعالى حتى أنها أشبه شئ بغزوة بدر . حدثنا شيخنا أبو راشد يعقوب اليدري عن يثق به أن الرجل من حاضرى ذلك المعترك كان يستبق الى النصرانى لينتهز فيه الفرصة فما يصله حتى يجده ميتا » اهـ .

ويحدث فى القتلى عن محمد بن عبد الله المستنصرخ بهم والقائد لهم الى مصارعهم فوجد غريقا فى وادى المخازن ، وذلك انه لما رأى الهزيمة فر نائجا بنفسه واضطر الى عبور النهر فتورط فى غدير منه وغرق فعمات ، فاستخرجه القواصون وسلخ وحشى جلده تبا وطيف به فى مراكش وغيرها من البلاد .

وممن وجد صريحا فى القتلى يومئذ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عسكر السريفي الشفشاوني صاحب « الدوحة » ، فانه كان هرب مع المسلوخ ، وكان من بطانته ، فدخل معه بلاد العدو ، فوجد بين جيف النصارى قتلا ، وتكلم الناس فى أمره ، حتى قيل : انه وجد على شماله مستدير القبلة ، وفيه يقول الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد ابن الامام الشهير أبي محمد عبد الله الهبطي رحمه الله فى منظومته التى نظم فيها أصحاب أبيه معتذرا عن ابن عسكر

(الاستقصا - خامس - 6)

المذكور ومشيروا الى توهين ما قيل فيه :

ومنهم الشيخ الذى لا ينكر محمد أخو الدهاء عسكر
وان يكن أنى بذنب ظاهر فعرضه من الشكوك طاهر
رأيتنه فى النوم ذا بشاره وهيمة حسنة وشارة
وكان القاء الجمعين يوم الاثنين منسلخ جمادى الاولى سنة ست وثمانين
وتسعمائة ، ويوافقه من التاريخ المسيحى اليوم الرابع من أغسطس سنة ثمان
وسبعين وخمس عشرة مائة .

قال فى «المنتقى» وكان مقدار زمان المقاتلة خمسا وأربعين درجة وقيل اثنتين
وخمسين على ما حدثنى به بعض المقاتلين .

وقال فى «المرآة» : وحصل المسلمون على غنيمة لم يكن قط مثلها بالمغرب اذ
لم يتقدم للنصارى خروج به على هذه الصورة الا أن الغنيمة لم تقسم ، وانما انتهبها
الناس كما اتفق لهم بحسب القوة والبخت الدنيوى . وكان الناس يتوقعون مغبتها
لاختلاط الاموال بالحرام فظهر ذلك من غلاء وغيره . وكنا نسمع أن البركة
رفعت من الاموال من يومئذ .

وقد حضر الشيخ ابوالحسن هذه الغزوة وابلى فيها بلاء حسنا وتورع عن
الغنيمة فلم يتلبس منها بشيء وبلغت قيمة النصرانى ما ذكره الشيخ ، وكان سبب
عدم ضبط الغنيمة وقسمها على الوجه المشروع موت السلطان أبى مروان قبل
هزيمة النصارى ، وكان مريضا ، فاشتغل أخوه أبو العباس أحمد بجمع الكلمة
ولم يهتم بأمر الغنيمة فتم له ما قصد .

وقد ساق منويل فى تاريخه خبر هذه الوقعة مساقا حسنا فقال : لما استولى
عبد الملك السعدى المدعو عند أهل المغرب بمولاي ملوك على ملك المغرب ، ووطن
ابن أخيه مولاي محمد المعروف بالاكحل يعنى : المسلوخ ، ذهب أولا الى اصبانيا
وتطارح على طاغية الاصنيول فيليب الثانى فى أن يعينه على استرجاع ملكه فامتنع
ثم دخل اشبونة وتطارح على طاغية البرتغال سبستيان فاجابه ، وذهب الى خاله طاغية
الاصنيول فيليب المذكور أنفا وطلب منه الاعانة على ما هو بصدده ، فوعده بان يعطيه من
المراكب والعساكر ما يملك به العرائش ، لانه كان يرى انها تعدل سائر مراسى

المغرب ، ثم أمدّه بعشرين ألفاً من عسكر الاصبيول ، وكان سبستان قد ساق معه اثني عشر ألفاً من البرتغال وثلاثة آلاف من الطليان ، ومثلها من الالمان ، ومن متطوعة الاصبيول وغيرهم عددا كثيرا ، وبعث اليه البابا صاحب رومة بأربعة آلاف أخرى ؟ وبالف وخمسمائة من الحيل واثني عشر مدفعا وجمع سبستان نحو ألف مركب وجاء الى قادس .

ولما عزم على اقتحام بلاد المغرب تشفعت اليه جدته وأرباب دولته وشيوخ دينه في الرجوع فصم عنهم وكذلك خاله فيليب حذره عاقبة التوغل فسى أرض المغرب فصم على ذلك كله ، وجاء الى قادس ومنها خرج الى طنجة .

وكان محمد بن عبد الله المسلوخ ينتظره هنالك فاجتمع به وزحفوا الى بلاد المغرب ، وزحف اليهم السلطان عبد الملك في عساكر المسلمين وكانوا أربعين ألفا وزيادة ، ومدافعهم أربعة وثلاثين مدفعا ، وقواد الجيش : أبو على القمورى ، والحسين العليج الجنوى ، ومحمد أبو طيبة ، وعلي بن موسى ، وأخوه أحمد بن موسى ، الذى كان عاملا على العرائش ، فجاء فى جمعه الى السلطان عبد الملك وانضم اليه ، ولما تقارب الجيشان جمع السلطان عبد الملك الناس وخطبهم ، ثم استدعى النصرى الى القتال ، ونصب لهم علامته ، فاجتمعوا وكان قصدهم المطاولة ، وقصد السلطان عبد الملك المناجزة ، وذلك لان محمد المسلوخ قد دس اليه من سمه .

قال منوبل : ولما أحس عبد الملك بذلك ، وانه لا محالة هالك ، بذل نفسه للقتال ليموت فى الجهاد ، وكان المسلوخ يربص كى يهلك عمه قبل اللقاء ففجع الفتنة فى عسكر المسلمين ، لكن جيش النصرى لم تكن لهم مؤنة يطاولون بها فالتجأهم ذلك الى المناجزة ، ولما انتشبت الحرب هلك عبد الملك للحين .

قال منوبل : وكان امر هذا الرجل عجبا فى الحزم والشجاعة حتى أنه لما مات مات وهو واضح سبائه على فمه ، كأنه يشير الى جيشه أن يسكتوا عن الخوض فى وفاته حتى يتم أمرهم ، ولا يضطربوا ، وكذلك كان ، فانهم كتموا موته فاتصروا وظفروا بالنصارى ظفرا لا كفاهله ، فكانوا يذبحونهم مثل الكباش

ودهنش النصارى وتكبكت جموعهم ، وتراكت امتعتهم وصناديقهم وخيلهم وسلاحهم بلا ترتيب ، وزادهم دهشا أن بعض طوايرهم كان ينادى صاحب صفارته وراءكم وراءكم قطعكم العدو، ووقدت النار فى بارود النصارى فنفظ، وانهزموا الى وادى المخازن فتهاقت جلهم فيه فهلكوا والباقي أسره المسلمون . وزعم أن سبستيان هلك تحته فى ذلك اليوم أربعة أفراس ، وكان شابا جدئا، وقال لأصحابه: « ان ترونى ترونى أمامكم وان لم ترونى فاناقى وسط العدو أقاتل عنكم، قال : وأبدأ وأعاد فى ذلك اليوم الى أن خر قتيلًا ، وبقي مذكورا عند البرتقال يسمرون بأخباره ، وذكره شعراء الأوربا فى أشعارهم ، ولا زالوا يذكرونه الى الآن .

وخلفه فى ملكه الطاغية الريكى البرتقالى فهو الذى ولى بعده وافتدى جنازته من المسلمين ونقلها الى سبتة بقيت هنالك الى أن هلك الطاغية الريكى، وتولى على البرتقال طاغية الاصبنيول فيليب الثانى ، فصار ملك الدولتين معا ، وهو خال سبستيان أخو أمه فنقل جنازته من سبتة الى أشبونة ، ثم أرخ منويل الوقعة بالتاريخ العربى والعجمى موافقا لما مر فهذا ما ذكره فى هذه الوقعة .

قال فى «التزهة» : توفى السلطان أبو مروان عبد الملك بن الشيخ فى زوال اليوم المذكور ، وباج الناس أخاه أبا العباس أحمد المنصور بالله كما سيأتى إن شاء الله .

قال فى «درة البحال» : « فانظر لحكمة الله الواحد القهار أهلك ثلاثة ملوك يوم واحد ، وهم : أبو مروان بن الشيخ ، وولد أخيه محمد بن عبد الله المسلوخ ، والطاغية سبستيان ، وأقام واحدا وهو أبو العباس المنصور ، اه . قلت : وفى أهلاك الثلاثة وإقامة الواحد إشارة واضحة لاهلاك ديسن الثلاث ونصر دين التوحيد فى ذلك اليوم والله تعالى اعلم .

ولما بلغت الهزيمة الى الطاغية الاعظم ، أعنى القائم بالامر بعد سبستيان لان التحقيق انه كان الاعظم يومئذ لما مر ، بعث الى المنصور بعد استقلاله بالملك وعوده الى فاس كما سيأتى يلتمس منه القداء فيمن بقى بيده مسن

الاسارى ، فاجابه الى ذلك وحصل له بسببه أموال طائلة . وذكر بعضهم أن الاسارى لما ذهبوا الى بلادهم قال الطاغية : « لم لم تأخذوا تطاوين والعراش والقصر قبل أن يصل ملكهم ؟ » فقالوا له : « امتنع من ذلك الامير الذى كان علينا » . فامر بهم فاحرقوا جميعا .

مضحكة : قال فى « النزهة » : « ذكر بعضهم أن النصارى لما وقعت عليهم الكاثنة المذكورة وفى من فى منهم ورأى أسافقتهم قلة عددهم وخلاء بلادهم لكثرة من مات منهم أباحوا للعامة فاحشة الزنا ليكثر التناسل ويخلف ما هلك منهم ورأوا ذلك من نصرة دينهم وتقويم أود ملتهم أخزاهم الله » اهـ .

وقد وقفت على تاريخ بعض مؤرخى الفرنج النجلزيين من أهل جزيرة مالطة فرأيت قد ألم بخبر هذه الواقعة وصرح بانها كانت سبب هلاك البرتقال وتلاشى دولتهم وبطلان كرسى سلطنتهم حتى استضافهم اليه طاغية الاصبينول بعد نحو سنتين وصيرهم من جملة رعيته ، ومن فصول كلامه بعد أن ذكر أن أكر البرتقال قتلوا فى ذلك اليوم ما نصه : « وكانت معنى الواقعة المذكورة وقعة هائلة ويوما مشؤما . وبالجملة فقد قتل فى ذلك اليوم سائر أشسراف البرتكيسين ولم يتخلف منهم أحد فلما بطل كرسى سلطنتهم قام وقتشد فيليس الثانى ملك اصبانيا وتزوج ملكتهم وحكم على البلاد كلها » اهـ . كلامه . الا أنه ذكر أن السبب فى استغاثة السلطان محمد بن عبد الله بالبرتقال هو تغلب الاصبينولين على مملكته وانتزاعها من يده وهو كذب أو غلط ، ولعله تصحف عليه لفظ الاصبينولين بالاصببوليين ، اذ قد تقدم أن السلطان أبا مروان انما استولى على المغرب بجيش الترك المنفذ من قبل السلطان سليمان العثمانى والله أعلم .

وقد ألم بهذه الواقعة أيضا لوز مارية فى كتابه الموضوع فى أخبار الجديدة لكنه لم يسطها على عادته فى السكوت عن ما يكون من الظهور فى جانب المسلمين واشاعة ما يكون من ذلك فى جانب النصارى بل والزيادة فيه ومع ذلك فقد قال فى وصفها كلاما هذه ترجمته : « وقد كان مخبوا لنا فى مستقبل الاعصار العصر الذى لو وصفته كما وصفه غيرى من المؤرخين لقلت

هو العصر النحاس البالغ فى النحوسة الذى انتهت فيه مدة الصولة والظفر والنجاح ، وانقضت فيه أيام العناية من البرتقال وانطفأ مصباحهم بين الاجناس وزال رونقهم وذهبت النخوة والقوة منهم وخلفها الفشل وانقطع الرجاء واضمحل ايان الغنى والربح وذلك هو العصر الذى هالك فيه سبستان فسى القصر الكبير من بلاد المغرب « اهـ . فهذا كلام هذا البرتقالى قد تحفظت عليه وأدبت ترجمته كما هى ليعتبر به من يقف عليه «والحقى ما شهدت به الاعداء» ولما تمت للسلطان أبى العباس المنصور البيعة بوادى المخازن طالبه الجيش بأرزاقهم واستنجزوا اعطيانهم حسبما جرت به عادة من قبله معهم فطالبهم هو بخمس الغنيمة لانهم جعلوها نهى ولم يقتسموها على الوجسه الشرعى كما سبق فصعب استخراجها منهم لعدم الثمين وجرأة الناس على الغلول فسامحهم فيها وسامحوه فى عطائهم .

ثم أمر المنصور بتوجيه كتب البشارات الى الآفاق بهذا الفتح الميسن فكتب الى صاحب القسطنطينية العظمى والى سائر ممالك الاسلام المجاورين للمغرب يعرفهم بما أنعم الله به عليه من اظهار الدين وهلاك عبدة الصليب واستئصال شوكتهم ورد كيدهم فى نحرهم فوردت عليه الارسال من سائر الاقطار مهنئين له بما فتح الله على يده حسبما نذكره بعد ان شاء الله .

بقية اخبار السلطان أبى مروان وسيرته



قال ابن القاضى : « كان سبب وفاة السلطان أبى مروان رحمه الله أنه سقى سماء وذلك أن قائد الترك الذين كانوا معه ، واسمه رمضان العليج ، بعث الى بعض قواده أن يتلقاه بكمك مسموم هدية للسلطان المذكور وقت مروهم عليه ، وقصد بذلك قتله ، وذلك بعد أخذه به مدينة فاس ليثبت لهم الملك بها فلم يكمل الله مرادهم لما شهدوه من عظيم جيش المغرب فهذا كان سبب موته رحمه الله « اهـ . ولما توفى حمل الى مراکش فقبر بها ، وكانت مدة خلافته

أربع سنين ، ومن حجاب : القائد رضوان الملح . وكتابه : محمد بن عيسى ،
ومحمد بن عمر الشاوي ، وقضاته : قضاة ولداخيه .

وكان يتزيا بزى الترك ويجرى مجراهم فى كثير من شؤنه . وكان يتهم
بالليل الى الاحداث وربما كان يظهر ذلك ، وكان أخوه أبو العباس المنصور
خليفته على فاس كما مر ، وكانت له فيه محبة تامة ، وكان يظهر أسه ولى
عهده ويرشحه لذلك كثيرا حسبما أفصحت عنه رسائله التى كان يبعث
بها اليه .

ولنذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث :

ففى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة كان الوباء بالمغرب كما قدمنا .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة نزل مطر غزير بمراكش حتى امثلت
منه الآبار وتهدمت الدور وصار الناس يؤرخون بعام الآبار .

وفى سنة احدى وستين وتسعمائة توفى الشيخ أبو محمد عبد الله بن
سأسى من أولاد أبى السباع ودفن بزوايته على ضفة وادى تاسيفت من أعمال
مراكش ، وقبره مزار مشهورة وعليه بناء حفل .

وفى سنة ثلاث وستين وتسعمائة توفى الشيخ الامام أبو محمد عبد الله
ابن محمد الصنهاجى الطنجى المعروف بالهبطى ، وكانت وفاته فى ذى القعدة
من السنة المذكورة ، وكان رحه الله من أهل الورع والدين والاتباع للسنة
والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن فوائده ما حكاه عنه فى « الدوحة » ،
قال : « سألت شيخنا الامام أبا محمد عبد الله الهبطى عن الشيخ أبى محمد
الغزوانى ، وكان من أصحابه ، فقلت له : يا سيدى ما لسائر المشايخ من أصحاب
الشيخ الغزوانى كآبى الحجاج التليدى وأبى البقاء الياصوتى وأبى الحسن
على بن عثمان وغيرهم يصرحون بقبطانية الشيخ وينسبونك أنت الى التقصير فى
حقه حيث لم تقل بما يقولونه ؟ » فقال لى رضى الله عنه : « قد علمت معنى
الشهادة فى الشرع ما هى » ، فقلت : « نعم » فقال لى : « كيف لى أن أشهد
لاحد بمقام معين وأنا لم أسلكه ولم أنحققه ولم يكشف لى عنه فان فعلت فقد
شهدت شهادة الزور فقلت له : « وأى شهادة تشهد فى الشيخ ؟ » فقال لى : أشهد

أنه من العارفين بالله تعالى ولأنه كان يجب بالحال أكثر مما يجب بالمقال، انتهى
قلت : وهذا شأن أهل الدين والورع المحتاطين لدينهم لا يقدمون على أمر ولا
يتفوهون به حتى يكونوا منه على بصيرة ، وتجد كثيرا ممن عقله وراء لسانه
يقولون على الله في غيبه ويخطلون خطب العشواء وينسبون المقامات والاحوال
لمن ليس منها في قبيل ولا دبير نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا بمنه .
وفي سنة أربع وستين وتسعمائة في يوم الاربعاء الثامن والعشرين من
رمضان منها كسفت الشمس الكسوف الكلي العظيم .

وفي سنة خمس وستين وتسعمائة كان بالمغرب وباء عظيم كسا سهله
وجباله ، وأفنى كمانه وأبطاله واتصل أمره الى سنة ست وستين بعدها .
وفي سنة احدى وسبعين وتسعمائة توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن
موسى الجزولي ثم السملالي الشهير ببلاد السوس أخذ عن الشيخ أبي فارس
عبد العزيز التابع ، والشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي ثم الملياني .
وفي سنة ست وسبعين وتسعمائة ليلة عيد الاضحى منها توفي الشيخ أبو
زيد عبد الرحمن بن عياد الصنهاجي ثم الفرجي الدكالي المعروف بالمجذوب
الولي المشهور دفن مكناسة الزيتون ، كان مأوى سلفه بمدينة تيط قرب آزموور
ثم رحل هو ووالده الى مكناسة فمات بها .

وفي سنة سبع وسبعين وتسعمائة بعد صلاة الجمعة من أول يوم من
المحرم منها زلزلت الارض زلزالا شديدا وفزع الناس لذلك ، وفي هذه السنة
في الحادي والعشرين من ربيع الاول منها توفي الشيخ ابو محمد عبد الله
ابن حسين من شرفاء بني أمغار دفن تاملوحت وقد تقدم ما جرى بينه وبين
السلطان الغالب بالله .

وفي سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وذلك اواخر شوال منها الموافق
لاواسط مارس العجمي حدث بالمغرب جراد كثير ؛ وفي أيام السلطان الغالب
بالله ظهر نجم لم يكن معهودا ، ثم ظهرت في أيام ابنه محمد بن عبد الله أعلام
حمر في الجوارح من الناحية الشرقية تبعها في الارض أجناد الترك التي جاء بها
السلطان أبو مروان من الجزائر كما مر . وفي أيام السلطان أبي مروان

المذكور ظهر الكوكب ذو الذنب الكبير فى برج العقرب وطلع أياما ثم غاب
وظهر بعده كوكب آخر ذو ذنب أصغر منه وعلى اثره كان خروج البرتغال
من طنجة ووقعة وادى المخازن كما مر ؛ والله تعالى أعلم بغيبه

الخبر عن دولة السلطان أبى العباس أحمد المنصور بالله السعدى المعروف بالذهبي وأوليته ونشاته

كانت ولادة السلطان أبى العباس أحمد المنصور بالله ابن السلطان
أبى عبد الله الشيخ بفاس سنة ست وخمسين وتسعمائة ، وأمه : الحرة
مسعودة بنت الشيخ الاجل أبى العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتى
الوارزاتى ، وكانت من الصالحات الخيرات وستائى بقية أخبارها .
وذكر فى «المنتقى» قال : مرض المنصور فى صغره مرضا شديدا حتى
أيس منه ، فرأت أمه فى النوم شخصا يقول لها : أزيهه الشيخ أبا ميمونة
فأنما إصابته عين فازارته أيامه فعوفى ، وكان أبوه المهدي يبه على انه واسطة
عقد اولاده .

قال فى «منهل الصفاء» : حدثنى الشيخ المسن القاندا ابو محمد مؤمن
ابن الغازى العمري ان المنصور اقبل يوما فى حياة أبيه ، وهو صبي والمجلس
غاص بالاكابر ، فاندفع يخرق الصفوف ، قال : فصاح بى المهدي اذ ذاك ، وأنا
أصغر القوم ، فقال « يا مؤمن ، ارفعه فسينفعك أو ينفع عقبك » فابتدرت حمله ،
وكان كذلك ، فان المنصور لما أفضت اليه الخلافة كان القائد مؤمن بن الغازى
عنده بالحظوة الرفيعة والمنزلة العالية .

ونشأ للمنصور رحمه الله فى عفاف وصيانة وتعاط للعلم ومنافة لاهله
عليه ، وكانت مخايل الخلافة لائحة عليه من لدن عقدت عليه التماثم الى أن تم
أمره . حدثنا الفقيه العالم سفير الخلفاء أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد
ابن على الجزولى الدرعى أنه اجتمع ببعض أهل المكاشفة بمصر فسأله عن

السلطان أبى عبد الله الشيخ وأولاده ، قال : فسميتهم له واقتصرت على الكبار منهم فلم أذكر المنصور لانه كان أصغرهم سنا يومئذ . فقال لى : « بقى منهم من لم تذكره » فقلت له « أحمد » فقال : « ذاك واسطة عقدهم ووجه صفقتهم » فكان كذلك .

وقال الشيخ أبو فارس عبد العزيز الفشتالى : « لما أخذ المهدي البيعة لولده السلطان الغالب بالله كما تقدم استقدمه من فاس وأوصاه بالمنصور جدا ، وقال له : « ان الفائدة فيه » أو كما قال . وهكذا كان ينبه على أنه واسطة عقد أولاده : وكان المنصور رحمه الله يحدث أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم ، وأنواره تشرق ، قال : فوقع فى نفسى أن أسأله عن نصيبى من الخلافة فكاشفتنى عليه الصلاة والسلام بما فى خاطرى ، وأجابنى بما حقق لى نيلها ، ثم أشار لى بأصابعه الثلاثة الشريفة ضاما الابهام منها الى السبابة والوسطى وقال أمير المؤمنين « اه .

وقال الامام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التامنارى فى كتابه «الفوائد الجمة بساند علوم الامة » : « أخبرنى الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله الدغوغى صاحب «الحسبة» بتارودانت أنه رأى فى منامه كأنه فى حلقة يسرد فيها صحيح البخارى بموضع من دار الخلافة بها ، وأبو العباس المنصور يومئذ بها ، وذلك قبل ولايته ، قال : فرأيت فى طرة الكتاب هذا اللفظ : «ورى الزند » فكنت أتأمل معناه فالتفت فاذا برجل اعزل ناحية على طنفسة فوقع فى نفسى أن أسأله فأتيته بالكتاب وقلت له : ياسيدى ، ما معنى هذه الكلمة التى فى طرة هذا الكتاب؟ » فقال لى : « قل لمولاك أحمد : أنا الذى أوريك زندك ما دمت على الحق فان عدلت عنه فانا برى منك » . فقلت له : «ومن أنت ياسيدى؟ » فقال لى : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ثم لم يمض الا قليل حتى ولى الخلافة وحمدت سيرته ، قال أبو زيد : « وناهيك بزند أوراه النبى صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن ولاية الاسلام لا تنعقد الا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وقد اشتهرت المرائى بذلك » .

« يقرب من هذا ما ذكره صاحب « إتهاج القلوب فى مناقب الشيخ

المجنوب : « أن الشيخ الصالح أبا عبد الله محمد الملقب بكدار ابن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن علل المالكي البوخصبي رأى النبي صلى الله عليه وسلم يوما فشكا إليه أولاد مطاع لما رأهم عليه من الفساد في الأرض ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يأتيهم أحمد » ، فكان كذلك أتاهم عقب ذلك السلطان أبو العباس المنصور فأخذهم وقل جمعهم ، اه . وأخبار المنصور من هذا النمط كثيرة .

وكان رحمه الله طويل القامة معتلى الحدين ، واسع المنكين ، تملوه صفرة رفيقة ، أسود الشعر ، أدعيج أكحل ، ضيق البلج ، براق التيايا ، حسن الشكل ، جميل الوجه ، ظريف المنزع ، لطيف الشمائل .

وكانت بيعته بعد الفراغ من قتال التصاري بوادي المخازن يوم الاثنين منسلف جمادى الأولى سنة ست وثمانين وتسعمائة ، واجتمع عليها من حضر هناك من أهل الحل والعقد ، ثم لما قفل المنصور من غزوته تلك ودخل حضرة فاس يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة جدت له البيعة بها ووافق عليها من لم يحضرها يوم وادي المخازن ، ثم بعث إلى مراكش وغيرها من حواضر المغرب وبواديه فاذعن الكل للطاعة ، وسارعوا إلى الدخول فيما دخلت فيه الجماعة .

قال الفشتالي : لما كانت وقعة وادي المخازن ونصر الله دينه وكبت الكفر وأهله واستوسق الأمر للمنصور كتب إلى صاحب القسطنطينية العظمى وهو يومئذ السلطان مراد بن سليم العثماني وإلى سائر ممالك الاسلام المجاورين للمغرب يعرفهم بما أنعم الله به عليه من اظهار الدين وهلاك عبدة الصليب والاستئصال شافيتهم ، فوردت عليه الارسال من سائر الاقطار مهنئين له بما فتح الله على يده : وكان أول من وفد عليه رسول صاحب الجزائر ، ثم تلته أرسال طاغية البرتغال ، وهو الريكي القائم بأمرهم بعد هلاك سبستيان ، وليس خاله وإنما خاله طاغية الاصينيو ل فيليب الثاني الذي جمع المملكتين معا بعد هلاك الريكي المذكور وبعد وقعة وادي المخازن بثلاث سنين فقدما بهدية عظيمة وضوها يوم دخولهم إلى فاس على الكرايريص والمجمل ، فعجب الناس منها عجا

بلغاء ، وكان ذلك اليوم يوما مشهودا وكان من جملة ما فيها ثلاثمائة ألف دكات من ريال الفضة ، وأما الطرف النفيسة والاثاث الرفيع فشئ لا يحصى ، ثم وردت ارسال طاغية لالاصبنيول صاحب قشتالة بهدية عظيمة منها اليواقيت للكبار التسي انتزعها الطاغية من تاج آباءه ، وضيديق مملوء من الدر الفاخر ، وقضب الزمرذ وغير ذلك ، وتكلم الناس فيما بين الهديتين أعنى هدية البرتقالى وهديسة الالاصبنيولى أيهما أعظم ، ولم يهتد أهل العقل والمعرفة الى مقدار التفاوت بينهما ثم قدمت ارسال السلطان مراد العثمانى ومعه هدية وهى : سيف محلى لم ير مثله مضاء وصفاء متن ، ثم قدمت ارسال طاغية لفرانسة ومعه هدية عظيمة ولم تزل الوفود مترادفة بباب المنصور ، والارسلان تصبح وتمسى على أعقاب تلك القصور ، الى أن لم يبق أحد ممن تشوف النفوس اليه وحينئذ اطمانت بالمنصور الدار وطاب المقام وتم القرار .

وفى جمدى الاولى سنة سبع وثمانين وتسعمائة مرض المنصور مرضا مخوفا وطال به حتى كادت الامور تختل ثم تداركه الله على يد الحكيم الماهر أبى عبد الله محمد الطيب ، ولما أبل من مرضه أحسن الى الطيب المذكور ونثر عليه يوم خروجه من الخلع ما لا يحصى ، وكان يوم خروجه يوما مشهودا ، وفى ذلك يقول الفقيه الاديب أبو عبد الله محمد بن على الهوزالى المعروف بالنابغة:

تردى أذى من سقمك البر والبحر وضجت لشكوى جسمك الشمس والبرد
وبات الهدى خوفا عليك مسهدا وأصبح مدعور الفؤاد الندى الغمر
فلما أعاد الله صحتك التسي أفاق بها من غم البدو والحضر
تراوت لنا الدنيا بزينة حسنهما وعاد الى ابائه ذلك البشر
وصار بك الاسلام فى كل بلدة يهنى ويدعى أن يطول لك العمر
وصحت لنا الآمال بعد اعتلالهما وعادت الى الاتاع أغصانها الخضمر
ولا غرو ان صامت على سبط الندى اذ اغبر وجه الارض واحتبس القطر
ليت أبى العباس أنفت عجافها قديما فخافت أن يعاودها الضر
لئن صذئت ييض للعالى لقد غدت تسيء الكماء البيض واللدن السمر
بقيت لهذا الذين تصمى ذمماره ويحيك رب العرش ما بقى الدهر

عقد المنصور ولاية العهد لابنه محمد الشيخ المدعو المأمون



قال للفشتالى : لما أبل المنصور من مرضه المذكور وعاد الى حاله من الصحة أجمع رأى أعيان الدولة واتفقت كلمة كبارها على أن يطلبوا منه تعيين من يلى الامر بعده ويكون ولى عهده ، وكان المنصور مهيبا لا يقدر أحد على مواجهته بمثل هذا فاتفقوا على أن يكون البادىء لذلك القائد المؤمن بسن الغازى العمري لما له من الادلال على المنصور بطول الخدمة وسالف التربية فقال له القائد المذكور : « يامولانا ، الله تعالى حفظ الاسلام بابلالك من هذا المرض وعسم الدين بابقائه عليك وقد بقى الناس فى أيام سقمك فى حيرة عظيمة ودخلهم من الدهش ما لا يخفى عليك فلو عينت لنا من أبنائك القساورة من تجتمع كلمة الاسلام عليه ، ويشار بالخلافة اليه لكان أولى وأليق بسياسة الملك ، وان ابنك الابن أبى عبد الله محمد المأمون حقيق بذلك ، وجدير بسلوك تلك المسالك ، لما فيه من خلال الخير وخصال السيادة ، زيادة على ما هو عليه من التيقظ فى أموره والحزم فى شؤونه ، وقد ظهرت للناس محاسن سيرته ، وأطلعوا على جميل سيرته ، فاستحسن المنصور ذلك وأعجبه ما أشار عليه به ، فقال له : « سوف أستخير الله فى ذلك فان يكن من عند الله بمضه ، قلت : هذا الذى حكاه الفشتالى على لسان القائد مؤمن فى حق المأمون المذكور اهو بخلاف الواقع كما ستقف عليه من أحوال المأمون بعد هذا ان شاء الله ، ولكن المؤرخين والشعراء يمدحون ويقدحون بحسب أغراضهم لا بحسب الواقع غالبا ، لا سيما اذا كان من يعنونه بذلك مخدوما لهم ومنعما عليهم ، فلا ينبغي لمن وقف على كلام هؤلاء الصنف منهم أن يعتمد عليه الا بعد التثبت والتبصر والله تعالى الهادى الى الصواب بمنه . ثم لبث المنصور بعد هذه الاشارة أياما يستخير ربه فى ذلك ويستشير من يعلم أهليته للمشورة من أهل العلم والصلاح ، فلما انقضت أيام الاستخارة وتواطأت الآراء على حسن تلك الاشارة ، جمع المنصور أعيان حاضرة مراکش وأعيان مدينة فاس وغيرهم من أسيان القبائل ووجوه الناس من أهل الحواضر والبوادر ، وأوصى

بالعهد لولده المذكور أبي عبد الله محمد المأمون ، وذلك يوم الاثنين منسلف شعبان سنة سبع وثمانين وتسعمائة .

وكان المأمون إذ ذاك خليفة أبيه على فاس فلم يحضر هذه البيعة فبعث اليه المنصور بعد ذلك ليقدم من فاس ويبيع بحضرته ، ولم يقنع ما كان عقد له من البيعة وهو غائب ، ولما بعث اليه خرج المنصور بعسكره الى تافسيفت خارج مراکش ثمانى عشر صفر سنة تسع وثمانين وتسعمائة ، ولم يزل بعسكره هناك متلوما ومنتظرا لقدم المأمون الى أن قدم غرة جمادى الثانية من السنة المذكورة ، فكانت ملاقاتهما من عجائب الزمان ، ولما اصطف جيش المنصور وجيش المأمون ترجل المأمون عن فرسه وتقدم حافى القدم فعفر وجهه بين يدي والده ثم قبل رجله ، والمنصور على فرسه واقفا بين الصفيين ، فدعا له بخير وأظهر الفرح بمقدمه ، وكان المأمون قد عبا جيشه تعية لم ير مثلها ورتبه تريبا حسنا فى لباسهم وسائر أمورهم ، فسر المنصور بذلك ، وبعد أيام من بلوغه أمر به فاجلس فى سرادقه الاعظم الذى لم يكن للملوك قبله مثله كما سيأتى ، وأمر أهل الحبل والعقد فأزدهموا على تقبيل يده واقتضيت منهم الأيمان بحضرته ، وقسم الشعراء فافصحوا عن وصف الحال ، وغمر المنصور الناس بالنوال ، وكان ذلك اليوم يوما مشهودا ، وبعد أيام منه أمر المنصور المأمون أن يرجع الى حضرة فاس فرجع ودخل المنصور حضرته وتم غرضه الذى قصده .



ثورة داود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ والسبب فى ذلك



قال الفتالى : لما وقعت البيعة للمأمون وتكامل أمرها ثار الرئيس الاجل أبو سليمان داود بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ ، وهو ابن أخى المنصور ، وفر الى جبل سكسيوة وشق العصا ودعا الى نفسه ، فاثالث عليه أوشاب من البربر وغيرهم ، ونجم أمره واثرت فى أذن الرعية جمعته ، فبعث اليه المنصور قائد الزعيم أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة فناوشه

القتال بجبل سكسيوة فهزمه ، وفر الى جبل هوزالة فتحزبوا عليه ، وقويت بهم شوكته ، وأخذ يشن بهم الغارات على أهل درعة الى أن ضاقوا به ذرعا فشكوا أمره الى المنصور فبعث اليه قائده الذى ذكر فلم يزل فى مقابلته ومقاتلته الى أن شرده عن جبل هوزالة ففر داود منه الى الصحراء ، واستقر به الرحيل بها عند عرب الودايا من بنى معقل فلم يزل عندهم الى ان هلك سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وكفى المنصور أمره .



حدوث النفرة بين المنصور والسلطان مراد العثماني وتلافى المنصور لذلك



قد علمت ما كان من التجاء عبد الملك المعتمد وأحمد المنصور الى السلطان سليمان العثماني وتطارحهما عليه حتى أمدهما بالجيش الذى كان سببا فى تملكهما المغرب ، ولما صفا الامر لعبد الملك أهمل جانب العثماني ولم يكتبه بشيء ولا عرج عن سخته ، ثم لما ملك المنصور وكتب الى التواحى بخبر وقعة وادى المخازن كتب الى السلطان مراد فى جملتهم فبعث السلطان المذكور الى المنصور بالهدية التى تقدم ذكرها وكان المنصور استقلها وانف منها فشاغل عن الوفد وتركهم مهملين بحضرته ، وتأخر عن جواب السلطان مراد فكان ذلك سببا للنفرة ، وكان وزير البحر للعثماني ، واسمه الرئيس على علوج ، يهض المنصور فلم يزل يسعى به عند سلفانه ويذكره ما كان من أبيه الشيخ من القدح فى ولاية الترك والطعن عليهم ، وقال له فى ذلك : ه قد ضاع صنعك فى هذا الغادر وصنيع والدك من قبلك ، ولم يزل يقتل له فى الذروة والغارب ويهون عليه أمر المغرب حتى أذن له فى توجيه العمارة اليه ومنزلته والاخذ بآفاقه الى أن يستأصل أمر المنصور ويخمد جمرته ، ويقال : ان السلطان مرادا أمر وزيره المذكور أن يذهب بالعمارة الى الجزائر فكون هناك ثم يتقدم بالعساكر فى البر الى المغرب ، فاخذ الوزير فى التأهب لذلك واتصل

الخبر بالمنصور على يد بعض قناصل للتجليز ، فارتحل الى فاس من حينه وشحن الثغور وملا المراسى ، وكان على أهبة وكامل استعداد ، وبعث ارساله الى السلطان المذكور بهدية عظيمة تلافيا لما فرط واعتذارا عما سلف : وكان من جملة ارساله القائد الانجد ابو العباس احمد بن ودة العمراني ، والكاتب الشهير ابو العباس أحمد بن يحيى الهوزالي ، فركبوا البحر من مرسى تطاوين قاصدين القسطنطينية العظمى ، وبينما هم في أثناء الطريق على شبح البحر لقيهم الوزير علوج في أسطوله قاصدا ديار المغرب عازما على منازلة المنصور به ، فلما رأهم سقط في يده ، وأيقن بخيبة مسعاه ، فرام صدهما عما قصدا اليه وأياسهما من تدارك الامر ، وقال لهما : ان الخرق قد اتسع على الراقع ولو كان لصاحبكم فغرض في المسألة ما بقى أصحابنا بأبوابه كالكلاب والبادى اظلم ، فلم يزل الوزير علوج بالقائد ابن ودة الى أن صرفه عن رأيه وردده معه ، وترك الهوزالي يبلغ الرسالة والهدية ظنا منه أنه صغير السن لا يحسن مخاطبة الملوك انظام ، وابن ودة الذي كان عنه مظنة لكمال التدبير ومثاقنة الملوك رده معه ، فلما انتهى الهوزالي الى السلطان مراد ودخل عليه أظهر من قبله ولطف مخاطبته ما خلب به قلب السلطان المذكور ، واستل السخيمة من صدره واعتذرله عن تأخر المنصور عن الجواب بما لا يعود بوهن على مخدومه ، ولا يفيد غلبة خصمه ، فقبل السلطان مراد الاعتذار ، وتقبل الهدية بقبول حسن ، وكتب مع الهوزالي الى الوزير علوج بالرجوع عن منازلة المنصور ، فرجع بها الهوزالي بطير سرورا ، ولم يغب عن علوج الا نحو الشهر حتى قدم عليه بأمر الملك ، ففرغ لها علوج سن الندم ، وأسف على تفريطه في الهوزالي وتركه ، وبعث السلطان مراد رسله مع الهوزالي الى المنصور يلومه على التراخي في أمور الملوك فلما قدموا عليه أكرم وفادتهم وأحسن نزلهم وردهم مكرمين الى مرسلهم ، وبعث معهم الفقيه الامام قاضى الجماعة بحضرة مراکش أبا القاسم ابن عيسى الشاطبي ، والقائد الانجد ابا زيد عبد الرحمن بن منصور الشيطمي المريدي ، فلما وردوا على خافان الترك فرح بهم كل الفرع ، ورتب الشاطبي كلاما بليغا أعرب فيه عن فضل الدولتين ، وقرر فيه حق أهل البيت وأطرى المنصور

وحض فيه على اتحاد كلمة الاسلام ، وقرأ ذلك على السلطان مراد فاهتز
لسمعه ، ثم بعد أيام أحسن اليهم وأجزل صلتهم وردهم مكرمين الى مرسلهم .
وقال صاحب «خلاصة الاثر» : كان المنصور موادعا لسلاطين آل عثمان
فيرسل اليهم بالهدايا في كل سنة وكانوا هم يرسلون اليه بالمكاتيب والخلع السنية
حتى ان السلطان مراد بن سليم كتب اليه أثناء مكاتيبه : « لك على العهد أن لا أمد
يدى اليك الا للمصافحة » ، وان خاطري لا ينوى لك الا الخير والمسامحة ،
وكانت رسله دائما تأتي الى القسطنطينية من جانب البحر ويمكنون زمانا
طويلا ويتمهدون الوزراء ومن له قرب من الدولة من جملةهم الرئيس
الاديب محمد الامين الدفري ، فقد ذكر صاحب « خلاصة الاثر » ،
أن هذا الرئيس كان يجمع نفائس الكتب ويهعث
بها الى المنصور فيسبب ذلك كانت المراسلات بينهما غير منقطعة ، وقد ذكر
صاحب « خلاصه الاثر » ، في ترجمة الرئيس المذكور بعض تلك المراسلات
فانظره .

ولما تكامل هذا الغرض ، وصح جسم الدولة من المرض ورجعت الارسلات
في أحسن الاحوال عاد المنصور الى مراکش ، وفي يوم خروجه من فاس خرج
أعيان أهلها ومشيجة العلم بها وقرى البخارى بين يديه سردا على عادة الخلفاء
في ذلك ، وكان ذلك كله سنة تسع وثمانين وتسعمائة .

ايقاع المنصور بعرب الخلط والسبب في ذلك

قد قدمنا في أخبار الدولة المرينية ما كان لهؤلاء الخلط من الاعتزاز
والدالة عليها بسبب ما كان لهم من الشوكة والمصاهرة مع ملوكها . ولما أدبرت دولة
بنى مرين واستولى على ملكهم أبو عبد الله محمد الشيخ المهدى انحاشوا اليه
وأظهروا الخدمة والتصيحة ، فلما جاء أبو حسون الوطاسي بجيش الترك
حسبما شرحناه قبل أوقفوا الهزيمة على المهدى لابي حسون كما مر ، فلما غلب

المهدي على المغرب وصفاله أمره خلعهم من الجندية ، ووظف عليهم الخراج ، ومحا اسمهم من ديوان الخدمة . ونقل أعيانهم الى مراكش واتخذهم رعايا عنده ، ولم يزل الامر على ذلك الى أيام المنصور فرأى جلادهم يوم وادى المخازن وحسن بلائهم ، فاختار النصف منهم وردده الى الجندية ، وأبقى نصفهم الآخر في غمار الرعية ونقلهم الى أزغار فاستوطنوه حينما من الدهر ثم عائوا في البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، ومدوا أيديهم الى أولاد مطاع فنهبهم وضائقوا بنى حسن فكثرت الشكاية بهم الى المنصور ، ف ضرب عليهم سبعين ألفا غرامة ، فلم يزدادوا الا عتوا وشدة ، فأرسل اليهم ليعثوا طائفة منهم الى تيكورارين فامتنعوا من ذلك فحينئذ بعث اليهم القائد موسى بن أبي جمعدى العمرى فانتزع منهم الخيل وأبقاهم رجالة . ثم حكم السيف في رقابهم . واستأصل جمهورهم فمن ثم خضدت شوكتهم ، ولانت للفاخر قناتهم .



استيلاء المنصور على بلاد الصحراء تيكورارين وتوات وغيرهما



لما استقر المنصور بمراكش مرجعه من فاس وأمن من هجوم الترك على المغرب طمحت نفسه الى التغلب على بلاد تيكورارين وتوات من أرض الصحراء وما انضاف الى ذلك من القرى والمدائر ، لاذ كان أهل تلك البلاد قد انكفست عنهم أيدي الملوك ولم تسسهم الدول منذ أزمان ولا قادمه سلطان قاهر الى ما يراد منهم ، فسجن للمنصور أن يجمع بهم الكلمة ويردهم الى أمر الله فبعث اليهم القائد أبا عبد الله محمد بن بركة ، والقائد أبا العباس أحمد بن الحداد العمرى الملقب ، في جيش كثيف فقطعوا اليهم الفقر من مراكش ، واتهموا أليهم على سبعين مرحلة منها ، فقدموا اليهم أولا بالدعاء للطاعة والاعذار والانداز فاستعوا فأنزلوهم وقتلوهم وطالت الحرب بينهم أياما ، ثم كان الظهور لجيش المنصور فأوقفوا بهم وأخضعوا فيهم الى أن أذعنوا للطاعة . وصاروا في حزب الجماعة ، وأنهى خبر الفتح الى المنصور فسر بذلك سرورا عظيما

وقال الشعراء فى ذلك وعم الفرح بلاد المغرب، وكان ذلك سنة تسعين وتسعمائة
وبعد هذا تشوقت نفس المنصور الى الاستيلاء على بلاد السودان فكان من أمرها
ما نذكره ان شاء الله .



تلخيص القول فى السودان المغرب والاشارة الى ممالكهم ودولهم من لدن الفتح الاسلامى الى هذا التاريخ



اعلم أن هؤلاء السودان هم من نسل حام بن نوح عليه السلام باتفاق
النسابين والمؤرخين ، ويجاور البربر بارض المغرب منهم أمم كثيرة من أعظمها
أهل مملكة غانة وهم المتصلون بالبحر المحيط من جهة الغرب على مصب النيل
السودانى فيه ، وتتصل بهم من جهة الشرق أمة أخرى تعرف بصوصو بصادين
أو سنيين مهملتين مضمومتين ، ثم بعدها أمة أخرى يقال لها : مالى ، ثم بعدها
أمة أخرى تسمى كوكو ويقال : كافو ، ثم بعدها أمة أخرى تعرف بتكروور ويقال
لهم أيضا : سغاي ، ثم بعدها أمة أخرى تدعى كانم وهم أهل مملكة برنوا المجاورة
لافريقية من جهة قبلتها . ثم بعدها أرض النوبة المجاورة لبلاد مصر وهكذا الى
آخر الشرق أمم لا يحصيهم الا خالقهم .

فأما أهل مملكة غانة فقد كانوا فى صدر الاسلام من أعظم أمم السودان
أسلموا قديما وكان لهم ملك ضخم ، وكانت حاضرة ملكهم هى غانة وهى :
مدينتان على ضفتي النيل السودانى من أعظم مدن العالم وأكثرها عمرا ذكرها
صاحب « نزهة المشتاق » ، وصاحب « المسالك والممالك » وغيرهما .

وقال الفقيه الاديب أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القسى الشريشى
فى « شرح المقامات الحريية » ما نصه : غانة بلد من بلاد السودان وإليها ينتهى
التجار يعنى من المغرب ، والمدخل إليها من سجلماسة ومن
سجلماسة إليها مائة مسيرة ثلاثة أشهر ومن غانة الى سجلماسة ايام مسيرة شهر ونصف
ودون ذلك . وسبب ذلك أن الرفاق تتجهز اليها من سجلماسة بالامتنعة والانتقال
فبأع فى غانة بالتبر فمن سافر اليها بثلاثين حملا يرجع منها بثلاثة أحمال أو

السلطان سليم العثماني أيام تغلبه على مصر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، فلما اجتمع الحاج محمد سكية بالخليفة المذكور طلب منه أن يأذن له في امساراة بلاد السودان ، وأن يكون خليفته هناك ، ففوض اليه الخليفة العباسي النظر في أمر ذلك الأقليم وجعله نائبه على من وراه من المسلمين ، فرجع الحاج محمد سكية الى بلاده ، وقد بنى أمر رياسته على قواعد الشريعة وجرى على منهاج أهل السنة ، ولقى بمصر أيضا الامام شيخ الاسلام حافظ الحفاظ جلال الدين السيوطي فأخذ عنه عقائده وتعلم منه الحلال والحرام ، وسمع عليه جملا من آداب الشريعة وأحكامها وانتفع بوصاياه ومواعظه ، فرجع الى السودان ونصر السنة وأحیی طریق العدل ، وجرى على منهاج الخليفة العباسي فسی مقعده وملبسه وسائر أموره ، ومال الى السيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الاحوال ، وبرى جسد الرشاد من الداء العضال ، وكان الحساج محمد المذكور سهل الحجاب رفيق القلب خافض الجناح شديد التعظيم لائمة الدين مجبا للعلماء مكرما لهم يفسح لهم في المجلس ويوسع عليهم في المعطاء ولم يكن في أيامه كلها بؤس ولا بأس بل كانت رعيته في خفض عيش وأمن سرب وفرض عليهم شيئا خفيفا من المفارم وظفه عليهم، وزعم انه ما فعل ذلك حتى استشار الامام السيوطي شيخه ، ولم يزل على سيرته المذكورة الى أن اخترمته المنية ، فقام بالامر بعده ولده داود بن محمد فاحسن ما شاء وتبسع طريقة أبيه الى أن لحق بربه ومضى لسبيله ، فقام بالامر بعده ولده لسحق بن داود فعدل عن بعض سيرة أبيه ، ولم يكن في أمره بالذميم ، واستمر حاله على الانتظام الى أن غزته جيوش المنصور ففقت ملكه ونثرت سلكه ، وانقرض عليه أمر آل سكية بعد أن كان تحت طاعتهم مسيرة ستة أشهر من بلاد السودان. وسنذكر كيفية ذلك

وأما مملكة التكرور وكانم فقال ابن خلكان ما نصه : « كانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنو عم تكرور وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب الى أب ولا أم وإنما كانم اسم بلدة بنواحي غانة فسمى هذا الجنس باسم هذه البلدة، وتكرور اسم للارض التي هم فيها وسمى جنسهم باسم أرضهم » اهـ.

قلت: وكان من كانم الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمى
الاسود الشاعر وهو الذى دخل على يعقوب المنصور الموحدى فأنشده :

أزال حجابي عنى وعينى تراه من المهابة فى حجاب
وقربنى تفضله ولكن بعدت مهابة عند اقترابى

وأهل كانم هم أهل مملكة برنو المجاورة لافريقية من جهة قبلتها كما قلنا
وكانت لهم مع الدولة الحفصية فى المائة السابعة وما بعدها مهاداة ومواصلة كما
كان لاهل مالى مع بنى مرين .

قلت : ومن أهل برنو الشيخ العارف بالله تعالى أبو محمد عبد الله البرنوى
شيخ الولي العارف بالله تعالى أبى فارس عبد العزيز الدباغ الموضوع فى مناقبه
كتاب « الذهب الابريز » .

واتصل أمر أهل برنو على الانتظام الى أن كان من أمرهم مع المنصور ما
نذكره ، وكل هؤلاء الامم كانوا على دين الاسلام قديما كما رأيت ، وكان فيهم
العلماء والصلحاء والادباء والشعراء كما علمته آنفا وتعلمه فيما بعد ان شاء الله
تعالى .

قال الشيخ أبو العباس أحمد بابا السودانى فى تقييده المسمى « بمعراج
الصعود » : « ان أهل السودان أسلموا طوعا بلا استيلاء أحد عليهم كاهل كنوا
وكنتى وبرنو وسغاي ما سمعنا قط أن أحدا استولى عليهم قبل اسلامهم ومنهم من
هم قدماء الاسلام كاهل مالى أسلموا فى القرن الخامس أو قبله وكاهل برنو
وسغاي » اه . وقد علمت أن أهل غانة تقدم اسلامهم على هذا التاريخ والله
تعالى أعلم . ولنرجع الى ما كنا بصددده من أخبار المنصور فنقول :

وصول هدية صاحب برنو الى المنصور بحضرة فاس وما نشاعن ذلك من يبعته له والتزام طاعته

❦

كان المنصور رحمه الله مسعودا محظوظا كما أشرنا اليه سابقا ، وكان من سعادته ما هيا الله له من مهادة صاحب مملكة برنو ومخاطبته له حتى كان ذلك سببا في مبايعته له والدخول في طاعته . وكان من خبر ذلك ما حكاه في « مناهل الصفا » قال : « وفي سنة تسعين وتسعمائة ورد على المنصور الخبر وهو بمدينة فاس بقدم رسول صاحب مملكة برنو من ملوك السودان ، وجلب في هديته ما جرت عادتهم أن يجلبوه من فتيان العبيد والاماء وكسا السودان وطرفه ، وكان من ذلك عدد كثير يناهز المئين ، فوافى المنصور بعسكره على رأس الماء من ساحة فاس ، وكان يوم ملاقاته يوما مشهودا حسنا وأبهة وجلالة ، جلس نصره الله تعالى بالقتين التوأمتين المضروبتين أمام السياج المحيط بقبابه ، وهو آفراك ، واستوقف المولى والمالِك سماطين من التوأمتين الى القبة العربية ، ثم منها الى فسطاط الجلوس المعلوم بالديوان ثم منه الى باب المعسكر القبلي ، وأتى بالرسول يخترق السماطين حتى نزل بالديوان ، وكان الملا من أكابر الدولة وصدور المملكة جلوسا وكرسى المملكة وسرير الخلافة منصوبا به ، والمهابة قد أخرست اللسان وأخشعت القلوب والابصار ، فجلس الرسول هنالك مليا ، ثم توجه به على سبيل الترقى الى القبة العربية فجلس بها ، ثم جاء الاذن الكريم بايصاله الى مقر أمير المؤمنين بالتوأمتين فوقف بين يديه وتشرف بالنظر الى طلعه السعيدة فادى الرسالة وقضى فرض التهنة وسنة الهدية وأعرب عن مقاصد مرسله واعترف للمملكة العظيمة بحقها وأظهر من الخضوع والتعلق والاستكانة والخدمة والطواعية ما أوصاه به مرسله ، ثم توجه به الى معسكر ولى العهد وتاج الاسلام وكافل الامة بعاد والده المولى الامير أبى عبد الله محمد الشيخ المأمون بالله ، وكان لصق معسكر أمير المؤمنين برأس الماء ، فأشرف الرسول على دنيا أخسرى وأبهة مدهشة ومحلة هائلة فوقف موقف الحيرة ، واستدرج الى أن وصل

لقباب ولى العهد ومضاربه ، وكان قد قعد له بفسطاط جلوسه أفخم قعود . ولما استؤذن عليه ووقف بين يديه هنا وحى وانصرف عنه الى محل نزوله بالقصة من فاس ، وأدر عليه من الانعام والاکرام ما لم يكن له فى حساب . وكان من أغراض الرسالة التى أنفذه بها سلطانه طلب المدد من أمير المؤمنين بالعساكر والاجناد وعدة البندق ومدافع النار لمجاهدة من يليهم بقاصية السودان من الكفار ، وكان هذا الرسول قد وفد قبل على سلطان الترسك بالاصطنوب السلطان مراد العثمانى يطلب منه المدد لجهاد كفار السودان فأخفق سعيه ولم يحصل على طائل ، فوجهه فى هذه التوبة الى ملك المغرب يطلب منه المدد ، ولما قرىء كتابه على أمير المؤمنين اتفق أن وقع بينه وبين كلام الرسول اختلاف بين وتباين واضح فكان الذى دل عليه الكتاب خلاف ما دل عليه كلام الرسول، جر اليهم ذلك توغلهم فى الجهل والغاوة وعدم من يحسن الاعراب عن مقاصدهم من فرسان الانشاء والكتابة ، لطموس معالم العلوم عندهم على الجملة ، وقارن ذلك ما كان من توجيه أمير المؤمنين عساكره لتدوين قطرى توات وتيكورارين، وأمل أن يجعلهما ركابا لبلاد السودان والاستيلاء على ممالكها التى وجه ليهي عساكره بعد ذلك ، فبلغت مملكة مالى عظيم السودان الى أن وردت من نيلها على مائة مرحلة من ثنور المغرب ، فاعتزم المنصور لذلك اختلاف الرسول والرسالة وبنى عليه ما اعتد به على صاحب برنو ورجع الرسول الى مرسله بعد مكافاته وتوجيه هدية من عتاف الخيل وأشرافها بكسى من ملابس الخلافة وأسباب أخر . ولما بلغ الرسول وألقى المезде الى سلطانه استأنف الهدية وأعرب اذ ذاك عن مراده ورد الرسول ثانية الى باب أمير المؤمنين فوافاه بحضرته ودار خلافته من مراكش ، فأزال اللبس وبين الغرض وصرح بالمقصود ، فلما تحقق المنصور بقصده صدع له بالحق والدعاء الى التى هى أقوم وطالبهم بالبيعة له والدخول فى دعوته النبوية التى أوجب الله عليهم وعلى جميع العباد فى أقطار البلاد الاقياد اليها ، وقرر لهم بلسان السنة الناطق والكتاب المنزل على جده الصادق ، أن الجهاد الذى ينتحلونه ويظهرون الميل اليه والرغبة فيه لا يتم لهم فرضه ولا يكتب لهم عمله ما لم

يستندوا فى أمرهم الى اذن من امام الجماعة الذى اختص الله أمير المؤمنين بوصفه اذ هو الكافل لهذه الامة ، ووارث تراث النبوة ، وقبضه الله لحماية بيضة الاسلام ، وخصه بالشرف القرشى الذى هو شرط فى الخلافة باجماع من علماء الاسلام وأئمة السنة الاعلام ، وألزمهم القيام فى أقطارهم بدعوته ، ومجاهدة أعدائهم الكفار بكلمته ، وعلق لهم أيده الله الامداد على البيعة والوفاء بهنذا الشرط فالتزمه الرسول ، وزعم أيضا عن سلطانه بالقبول والاجابة ، وطلب من السلطان نسخة يتوجه بها من صورة البيعة اذ ليس بلدهم من يحسن الانشاء ، ويوفى الغرض لئلا يخلو بشيء من الشروط التى شارطهم عليها أمير المؤمنين فأنشأها كاتب الدولة أبو فارس عبد العزيز الفشتالى ونصها : « الحمد لله الذى ألقى لكلمة الحق منارا يسمى فى مطالعها التجوم ، وأزاح بها عن شمس الهداية المنيرة غيايب الغباوة المذلهمة وسحاب الغواية المركوم ، وحسى على الفلاح بها داعى التوفيق الذى نشر للنجاح كتابه الموقوت واستنجز للسعادة أجلاها المعلوم ، وشرف هذا الموجود والعالم الموجود بالخلافة النبوية والامامة الحسنية العلوية التى صرفت للوجوه الى قبلتها المشروع ، واستبان الحق بتبليج الصباح فى مبايعتها والانقياد لدعوته المسموعة ، ونسخ بدولتها الغراء دول الحيف التى هى بسيف النبوة للمصلت مقطوعة ، وبلسان السنة مدفوعة ، وقوض بها مباني الادعاء التى هى على غير أساس الشرع الصحيح مرفوعة ، وفرق بكلمتها المجموعة على التوحيد فرق التثليث التى هى على مشاقة الله ورسوله تابعة ومتبوعة ، وخلع بظهورها على أعطاف الحنيفية السمحة رداء العز الفضفاض واستل بتأييدها للدين المحمدى سيف الانفة والامتناع ، وأشار للإعادى من بأسها المروع بلسان الحية التضاض ، وفجر للمومنين ينبوع رحمتهما الجارى على حصا عدلها الرضاض ، ومهد بسيوفها المنتفاة الاقفاق والاقطار تمهيدا أزال عن حكمه الاعتراض ، وجلا بأنوارها المثالقة سدف الجهالة التى ادلهم جوها وغيم ، وأسعد الوجود يمنها الذى لبث فى أكناف مجدها وخيم ، وقضى لها بتراحم الارض ومن عليها ان شاء الله الى عيسى بن مريم ، والصلاة والسلام على مولانا محمد الذى تعاظمت البراهين القاطعة على صدق رسالته البارعة ، ونهج

للدين القويم طريقة الحق المثل ومادته الشارعه ، وسوغ لمن آمن به مناهل الهدى النيرة الزلال وموارده العذبة ومشارعه ، نبي الرحمة وشفيع الامه ، وعلى آله وأصحابه الكرام ، أئمة الهدى ومصايح الظلام ، والدعاء لمولانا الامام العلوى الهمام ، أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ، نجل سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وسليل الوصى والسبطين ، وبعد ، فانه لما أذن الله فى ليل الجباله أن ينجاب ، وفى شمس الحق الوهاجة أن يرتفع عنها الحجاب ، وفى العز الخلق الجلباب أن يعود الى الشياح ، وفى النجاح والاستقامة أن يفتح لهم الباب ، وفى الامارة أن تستند الى السنة والكتاب ، وتعلق من الشرع بأسباب ، تدارك الله سبحانه الوجود وأعز العالم الموجود واستطارت الانوار المضيئة للانوار والنجود بطلوع شمس الخلافة للنبوته ، والامامة الهاشمية العلوية ، ففاضت على أديم البسيطة أنوارها ، وارتفع الى حيث السها والفرقدن منارها ، وتبلغ بالاصباح نهارها ، ولاحت فى سماء المجد بدورها وأقمارها ، وكادت تهب نجوم السماء أتباعها وأنصارها ، وانتشرت فى الآفاق والافطار على البعد والقرب آثارها ، وهزت عطف الزمان انتشاء مناقبها وأخبارها ، وفاض بركتها على أكاف المعمورينمها الزاخر وتيارها ، خلافة ينتمى الى النبوة عنصرها ، وتستنبط من رسالة الوحي أسطرها ويناط بعروتها الوثقى خنصرها وامامة على وليها والله نصيرها ، والسبط بدرها الذى حياه منبرها وسريرها والحمد لله الذى اصطفى من هذه الدوحة النبوية السماء ، والشجرة الطيبة الهاشمية التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، اماما ألقى الله له فى القلوب جبا جميلا ، ومولى جعله الله على مرضاته سبحانه علامة ودليلا ، وخليفة استرعاه فكان بحسن الرعى لخلقه وعباده كفيلا ، وانتضى من بأسه وبسالته لحماية حمسى للشرعية حساما صقيلا ، مولانا أمير المؤمنين وخليفة الله فى الارضين وسليل خاتم النبيين ووارث الانبياء والمرسلين ، المفترضة طاعته على الخلق أجمعين ، والمعنون بامامته القدسة على العالمين ، بحر الندى والباس وعصمة الله للناس ، أمير المؤمنين المنصور بالله مولانا أبا العباس ، صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين ، والأئمة الطيبين الطاهرين ، وطيب بانفاس المغفرة لحدودهم ،

أجمعين ، امام تهتز لذكره أعطاف المناير ، وتتقلد من شريف دعوته أبهى من نفيس الجواهر ، وتستضيء البلاد باكليل شرفه الزاهر ، وتسكن العباد تحت ظل رحمته الوارف الوافر ، أبقي الله أيامه الغر بقاء يصحب النصر دوامه ، وخلد له ولا عقابه هذا الامر الكريم الى يوم القيامة ، ولما طلعت أيده الله على هذه الاصقاع الزنجية طلائع امامته النبوية وخلافته ، ولاحت فسى سمائها شهب مناقبه للنيقة الدالة على فخامة شرفه وأناقته ، وتليت لمجده الآيات اللينات التي تشهد له بتراث الرسالة ، وتقضى له على الاسلام وعلى الانام يحكم الولاء والكفالة ، وأوضح الله سبحانه للناس من اعتقاد وجوب طاعته والافتداء بامامته والانقياد لدعوته وتقليد بيعته ما جاء به كتابه الحكيم ووردت به سنة نبيه الكريم ، كما قال عليه السلام : « لا تزال الخلافة في قریش ما بقي منهم اثنان » وكما ورد في صحيح الخبر : « ان الخلافة في قریش والقضاء في الانصار وفي الحبشة الاذان » ويدل على هذا تعاضد الخبر والعيان ، فلا ناكر ان ليس في المعمور على هذا الشرط غيره أيده الله من ثاب ، فنهض بدليل الشرع لانه امام الجماعة حقا المستوفى شروطها ، والوارث للخلافة النبوية والحريص على بضة الاسلام أن يحوطها ، وأن القائم بهذا الامر على الاطلاق غيره دعوى ، ومحاوله دون اذنه المشروع بدعى ، فتعين لذلك أن الرجوع الى الحق فريضه ، واستبان بما تقرر وعلم ان اماره لا تلاقى في الشروع محلها المشروع منبؤة ومرفوضة ، وعروتها لذلك مفصومة ومنقوضة ، فانتدب لهذه الآثار صحيح الاخبار وصرف الى رضى الله العناية ووقف من الشرائع المشروعة حيث مركز الراية ومنتهى الغايه ، الرئيس أبو العلاء ادریس أكرمه الله انتداب من وقفت به مطية التوفيق ، على حضرة الاخلاص والتصديق ، وأخذت بزمامه السعادة الى حيث الفوز برضا الله ورضا رسوله حقيق ، والتأييد صاحب ورفيق ، وروض الآمال أنيق ، وراح الراحة والاطمئنان عتيق ، الى تقلد امام بيعة الجماعة أمير المؤمنين المنصور بالله زاده الله تقدسا وتشريفا التي تؤسس ان شاء الله على تقوى من الله ورضوان ، وتشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمن ، وآثر أسعده الله أن يؤدي فرضها المعدود من فروض

الاعيان ، وحكمها الذى توجه به خطاب الشرع العام الى القاصى والدان ،
وينشر سنتها المشروعة فى صقعها وما يليه من الاصقاع والبقاع بالسودان تقلدا
يستغنى ان شاء الله بأنواره ، ويستشرف به للزم المكين على مناره ، ويخمد به
المجهل جذوة ناره ، وتنظم به فى اتباع الحق زمر أنصاره ، ويجتلى به صورة
انسانه ، ويستوجب من الله عوارف صنعه واحسانه ، ويرهف به للعبد
على العزمات حد سيفه وسنانه ، ويقرع به لرضا الله باب القبول ، ويتضاعف
له ببركة العمل المقبول ، ويستشقى بمشهد عقده الكريم نواسم النبوه ،
ويعود له به الزمان للشباب والفتوه ، ويرفع به منار الامارة على قواعد الشرع
الوثيقه ، ويعدل به فى كل الاحوال عن المجاز الى الحقيقة ، وتسنى له به
وهى المقصد الاسنى والخاتمة الحسنى ، الاسوة الحسنة بامامى بنى العباس
السفاح والمنصور ، ويحيى سنتها التى نقلها ثقات الاعلام والصدور ، فى مبايعتهما
الامام الخليفة المهدى الاكبر سليل سيد المرسلين وجد مولانا امير
المؤمنين الذى رأى امام دار الهجرة أنه بتراث الخلافة النبوية أولى وأحق ،
وفى منصب الامامة على شرطها أعرق ، وبسريرها ومنبرها ألقى ، فتأكد
للمعتدب أكرمه الله بهذه الآثار الشريفة والمناقب المثينة العزم والقصص ،
وأنجز له فيما أرادته صادق الوعد ، وساعد نيته الصالحة فيه السعد ، فبايعه
أعلى الله يده على الامن والامانة ، والعفاف والديانة ، والعدل الذى يشهد
للمجد أركانه ، مبايعه شايعه على عقدها الكريم أكرمه الله أتباعه وجموعه
وأشياعه بحكم الوفاق والاتفاق والموائيق الشديدة الوثاق ، وبجميع الايمان
الصادقة الايمان ، أعطوا بها صفقة أيديهم ، ورفع بها العقيرة مناديتهم عارفين
أن يد الله فيها فوق أيديهم ، وأمضوها على السمع والطاعة والانتظام فى سلك
الجماعة امضاء يدينون به فى السر والجهر واليسر والعسر والرخاء والسدة ،
والازمان المشتدة ، والتزموا شروطها طوعا ، واستوعبوها جنسا ونوعا ،
بنيات منهم خالصة صادقة ، وعدة من الله لهم بالخير سابقة ،
وسعادة بالحسنى لاحقة أبرموا عقدها ، وأحكموا وعدا وعهدا ، على حكم
الكتاب والسنة والجماعة ، والاخذ بسنتها أعقابا عن أعقاب ، وأحقابا اثر

أحقاب ، الى يوم القيامة واقترب الساعة ، لا يلحق عقدها الكريم فسخ ،
يعقبه بحول الله نسخ ، ولا يتطرق اليه نقض ولا نكث ، ولا يشوبه بشب
التهات بحث ، وأجمع على هذا أسعده الله بالمواثيق المستفيضة ، والايم
اللازمة المغلفة هو وأتباعه اجماعا شرعيا ، وختموه على أنفسهم حتما
واعقدوه اعتقادا أبديا ، وعرضوا على التزامه بمشهد عقده المبارك أف
وأزواجا ، رحانا وأقواجا ، وأشهدوا على الوفاء به بإيمانهم الصادقة الـ
ومواثيقهم المثلجة للصدور ، قائلين : بالله الذى لا اله الا هو الملك القد
العليم بالخصيات ، والخير بالآجال والوفيات ، وبجميع الرسل الكـ
والانبياء ، وملائكة الرحمن فى الارض والسماء ، وعلى انهم ان حادوا
هذا السبيل وانقادوا لدعاء داعى التغير والتبديل ، أو انصرفوا عن هذا الـ
وسسته ، فهم برآء من حول الله وقوته ومن دينه وعصمته ، ومستوجبـ
لعذابه وغضبه وسخطه ونقمته ، وبعداء من رحمته ، ومن شفاعته نبيه الـ
يوم القيامة لأمتة ، وانهم خالعون لريقة الاسلام ، وخارجون عن سنة الر
عليه السلام ، أعلنوا بهذا اعلانا تعضده التجوى وأدوه بشروطه الجارية
مذاهب الفتوى وأحكامه اللازمة لكلمة التقوى ، استرضاء لله ولكـ
النبوية ، والامامة العلوية ، ورياضة للنفوس على بيعتها المباركة الميمونة الـ
واستيفاء لشروطها وأقسامها الواجبة والمستحبة والمندوبة ، مستسلمين الى
بالقلوب الخاشعة ، ومتضرعين الى بابه الكريم بالادعية النافعة ، فى أن يـ
خير هذا العقد الكريم ، والعهد الصميم ، بدأ وختاما ، وأن يمنحهم بركـ
التي تصحبهم حالا ودواما لا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، أشهد على
بما فيه وعلى رعيته الرئيس أبو العلاء ادريس أسعده الله وأكرمه ، وبيـ
المحرم الحرام من عام تسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية « انتهى .

ولما كتبت هذه البيعة دفعت للرسول وأكرم وكافاه أمير المؤمنين
هدية سلطانه وتوجه الى بلاده بجواب مرسله ، ولم يلبث أن رجع سـ
ثالثة ووجه معه هدية ورسالة ، وخاض القفر الى دار الخلافة ، فوصل
بلاد تيكورارين وهناك اعترضته منيته فاعتل وهلك ، فأشخص أولوا الـ

الذين يتكوراين الهدية مع رفقاءه القادمين معه من عند سلطانه ، فوصلوا بها الى حضرة أمير المؤمنين بمراكش ، وقدموا اليه رسالتهم وهديتهم فقبلها بقبول حسن ، وتم السرور وعظم الجور ، واستقامت للمنصور الامور .

❦

بعث المنصور رسوله بالدعوة الى آل سكية وكيفية ذلك

❦

لما أدى الوفد الواردون على المنصور من السلطان أبي العلاء صاحب مملكة برنو ما قدموا لاجله ردهم المنصور الى صاحبهم مكرمين ، وانتخب رسولا عارفا مجربا ممن لهم بصيرة بأحوال السودان فبعث معهم عينا يأتيه بأخبار البلاد حتى كأنه يشاهدها ، وبعث معه رسالة الى السلطان اسحق بن داود من آل سكية صاحب مملكة كانغو ، من أرض السودان يأمره فيها أن يرتب على معدن الملح الذي يتغازى بين المغرب والسودان ، ومنه يحمل الملح الى أقطار السودان ، وظيفاء بأن يجعل كل من يحمل منه شيئا من الواردين عليه منقلا من الذهب العين لكل حمل ، تستعين بذلك الخراج عساكر المسلمين على جهاد الكفار لان ذلك بحر لا ساحل له .

وكان المنصور لم يكتبه في ذلك حتى استفتى علماء اياكه وأشياخ انفتيا بها فآفتوه بما هو المنصوص للعلماء رضوان الله عليهم من أن النظر في المعادن مطلقا انما هو للامام لا لغيره ، وأنه ليس لاحد أن يتصرف في ذلك الا عن اذن السلطان أو نائبه ، وبعث اليه المنصور بتلك الفتاوى مع الرسالة الموجه بها مع الرسول ، وكانت من انشاء العلامة الاديب مفتي الحضرة المراكشية المولى أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف السجلماسي ، لان كاتب الانشاء أبا فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي كان مريضا يومئذ ، ولما فرغ الشريف المذكور من انشاءها بقي عليه الصدر فلم يدر كيف يقول في مخاطبة اسحق سكية ولا كيف يمدحه ، وهل يتوغل في المدح أو يتوسط فكتب أبو مالك حين تحير في ذلك الى المنصور بما نصه : « أيديكم الله ونصر أعلامكم ان

مخاطبة هذا الرجل الذى هو فى مرتبة ممالك الحضرة الملوية أمر تعلم فيه لسانى ، ووقف عن خوض لجهته بنائى ، لان النأى عن هذه المحجة قد مسد بينى وبينها حجابا ، وأغلق فى وجهى بابا ، فلا آمن من أن أقترح الوقوع فى تفریط أو إفراط ، وخير الامور لو علمته الاوساط ، لكن لا سبيل الى معرفته الا بعد علم الطرفين ، والعبد محجوب عن ذلك دون مين فتركت - أيدكم الله - الصدر لمن هو به منى أقعد ، وتحاميت عقده لمن هو له أعقد ، أبى فارس عبد العزيز الذى فاضت عليه أنواركم ، وأضاءت له سبيل هذا المخبر أقماركم ، والا قرعت هواتف لسان الحال سمعى بقول القائل .

يا بارى القوس برىا ليس يحسنه لا تظلم القوس أعط القوس بارىها
ولما بلغت رسالة المنصور الى السلطان اسحق سكينة واطلع عليها شق عليه ذلك وماطل فى الجواب ، وحيث أبطأ الرسول فطن المنصور لما انطوى عليه سكينة من عدم اجابته لما طلب من الوظيف على الملاحة ، فاشتد غصبه وعزم على توجيه العساكر الى السودان ، فهذا هو الحامل له على قصد تلك البلاد وتدويخها ، ولما فتح تيكورارين وتوات قوى عزمه على ذلك ، وطمحت نفسه للاستيلاء على ما هنالك على ما تذكره ان شاء الله .



مفاوضات المنصور الملأ من اصحابه فى غزو آل سكينة

وما دارينهم فى ذلك



قال الفتالى رحمه الله : لما رجعت أرسال المنصور اليه من عند اسحق سكينة وأعلموه بمقاتله وامتناعه واحتجاجه بانه أمير ناحية ، والمنصور أمير ناحية ، وأنه لا تجب طاعته عليه ، شاور المنصور أصحابه وجمع أعيان دولته والتقى أهل الرأى والمشورة فاجتمعوا ، وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا ، فقال لهم المنصور : « انى عزمتم على منازلة أمير السودان صاحب كاغو وبعت

الجيش اليهم لتجتمع كلمة المسلمين وتجد الرعية ، ولان بلاد السودان وافرة الخراج كثيرة المال يتقوى بها جيش الاسلام ويشهد ساعد كتيته ، مع أن صاحب أمرهم وللتولى لسلطنتهم اليوم معزول عن الامارة شرعا ، إذ ليس بقرشى ولا اجتمعت شروط السلطنة فيه العظمى ، فلما نزل المنصور ما فى كئاته وأبدى ما فى خيئته وعرض ما فى عيته سكت الحاضرون ولم يراجعوا بشئ ، فقال لهم : « أسكنم لستعوا بما لرأى أو ظهر لكم خلاف ما ظهر لى ؟ » فاجاب كلهم بلسان واحد ورأى متفق : « ان ذلك رأى عن الصواب منحرف وانه بمهامه عن الآراء السديدة ولا يخطر بال السوقه فكيف بالملوك ، وذلك لان بيننا وبين السودان مهامه فيجا تنقص فيها الخطا ، وتحار فيها القطا ، وليس فيها ما ولا كلا ، فلا يتأتى السفر فيها ولا اعتساف شئ من طريقها مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب ذعرا ، وأيضا فان دولة المرابطين على نضامتها ، ودولة الموحدين على عظمها ، ودولة المرينيين على قوتها لم تطمح همه واحدهمهم لشئ من ذلك ، ولا تعرضوا لما هنالك ، وما ذاك الا لما رأوا من صعوبة مسالكها وتعذر مداركها ، وحسبنا أن نقضى أثر تلك الدول فان المتأخر لا يكون أعقل من الاول ، فلما قضى أولئك الاقوام كلامهم وأبدوا له رأيهم وملامهم ، قال لهم المنصور : « ان كان هذا غاية ما استضعفت به أمرى ، وفيلتم به رأيى فليس فيه حجة ولا ما يחדش فيما عندى ، أما قولكم بيننا وبينها صحار مخوفة ومفاوز مهلكة لجدوبتها وعطشها فنحن نرى التجار على ضعفهم وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق فى كل وقت ويخوضون فى احشائها مشاة وركبانا وجماعة ووحداناء ولم تنقطع قط ركاب التجار عنها وأنا أقوى أهبة منهم وللعجش همه ليست للقوافل ، وأما قولكم ان من كان قبلنا من الدول الطنانه لم تطمح أبصارهم لذلك ، فاعلموا أن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الاندلس ومقابلة الافرنج ومن بذلك الساحل من الاروام ، والموحدون اقتفوا سبيلهم فى ذلك وزادوا بحرب ابن غانية ، والمرينيون كانت غالب وقائمهم مع بنى عبد الواد بتلمسان ، ونحن اليوم قد اسد عنا باب الاندلس باستيلاء العدو الكافر عليها

جملة ، ولانقطعت عنا حروب تلمسان باستيلاء الترك عليها ، ثم ان أهل تلك الدول لو أرادوا ما أردنا لصعب عليهم لان جيوشهم كانت فرسانا راحمة ورماة ناشبة ، ولم يكن عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة الصواعق ، وأهل السودان ليس عندهم الآن الا الرماح والسيوف ، وهى لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة ، فمقاتلتهم سهلة وحربهم أيسر من كل شىء ، وأيضاً فان بلاد السودان أنفع من افريقية فلاشتغال بها أولى من منازل الترك لانه تعب كثير فى نفع قليل ، فهذا جواب ما عرض لكم ، ولا يحملنكم ترك الملوك الاول ذلك على استبعاد القريب واستعصاب السهل ، فانه كم ترك الاول للآخر وقد يفتح على المتأخر بمالم يفتح به على المتقدم . فلما فرغ المنصور من خطابه وأبدى ما فى وطابه استحسّن الحاضرون جوابه واستملحوا اشارته واستجادوا رأيه ، وقالوا له : « قد طبقت المفصل وألهمت الصواب ولم تبق لاحد ما يقول ، وصدق من قال : « يقول الملوك ملوك العقول » . فانفصل للجمع على البعث الى السودان ومناهضة أهله ومتابعة المنصور فى رأيه عليه . قلت : وفى كلام المنصور أمران يحتاجان الى مزيد بيان الاول ما قاله من أن الملتزمين لم تكن لهم سلطنة على السودان يعنى بهم الذين أقاموا بأرض المغرب ودبروا أمره مثل يوسف بن تاشفين وبنيه فلا يرد عليه أن الامير أبا بكر بن عمر غزا السودان وفتح منه مسيرة ثلاثة أشهر لان ذلك كان بعد رجوعه الى الصحراء واستقراره بها واعراضه عن ملك المغرب بالكلية كما مر ، الثانى ما قاله من أن البارود لم يكن فى تلك الدول الفارطة يعنى به لم يكن موجودا فيها بكثرة بحيث يستغنى به الجيش عن غيره ساعة القتال ، فلا يرد عليه أن ظهوره كان فى أوائل المائة السابعة لاول دولة بنسى مرين كما مر اذ ظهوره فى تلك المدة كلا ظهور . والله تعالى أعلم بحقائق الامور .



استجازة المنصور لعلماء مصر رضى الله عنهم وتلمذ لهم



قالوا ومن اعتناء المنصور رحمه الله أنه بعث الى علماء مصر يستجيزهم
 رغبة في اتصال جبل السند واقفاء لاجب ذلك الطريق الاسد ، ومن اجازته :
 الامام العارف بالله أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكرى رضى
 الله عنه ، ومن بعض فصول اجازته له قوله يمدح كتاب المنصور اليه
 ويشئى عليه بالفصاحة والبلاغة ما نصه : ولقد وصل الى المثل العديم المثال ،
 المزرى نظامه ببقود اللال ، فاذا به السحر الا أنه الحلال ، ولو ادعى أحد
 أن من معجزات أحمد صلى الله عليه وسلم أن يمد الله كراما كاتبين فسى
 زمان نجله أمير المؤمنين أحمد بكتاب كريم على أسلوب قويم يرسله الى محب
 قديم من النبعة والصميم لم تكذب دعواه ، فما من خارق فى الامة الا وهو
 من معجزاته صلى الله عليه وسلم دال على علاه ، وأما ما شرفنى به من طلب
 الاجازة فاليست والحدیث له ، ولكن رب أب أرسل الى ابنه على يد عبده عطاء
 فقبله ، واليه بامره حملة ، وحيث وقع الامر فامر مولانا حتم ، وطاعته غنم
 فمولانا مجاز من هذا العهد ، من جميع ما يجوز لهذا العبد ، بجمع ما يجوز
 له وعنه روايته بشرطه للمعتبر عند أهل الامر ، وكذلك مجاز أهل العصر
 اجازة عام بعام ، ليكون أبناء الوقت جميعا على مائدة فضل مولانا وتحت ظلال
 ذلك الانعام ، فانه هو السبب فى تحصيل ذلك المرام وكتب تحريرا فى رابع
 عشر ربيع الثانى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ، محمد بن ابى الحسن الصديقى
 بسط آل الحسن « اهـ .

ومن استجازه المنصور أيضا من علماء مصر : الامام العلامة أبو عبد الله
 محمد بن يحيى المصرى الشهير ببدر الدين القرافى صاحب « ذيل الدياج »
 فأجازته اجازة عامة بسط فيها القول ثم ختمها بقوله :

أهـزت لمن تنفل واستجازا وبادر لاقتنا خير وحـازا
 وأبرز فى سلوك العلم حالا به من فضل مولانا يجـازى

أمام كامل غوث البرايا أمير المؤمنين حوى مجازا
 وذلك بعد تشریفى بأمر نوقصد للاجزة فاستجازا
 فبادرت امثالا قدر وسعى ومقتنيا مناهج من أجازا
 وقد أبدت حقا لا محالا بما صار الامام به مجازا
 بفاتحة وسنة خير هدى وسلسلة لمن حاز امتياز
 بدار الهجرة العليا امام بما أبداه من فضل مجازا
 وأرجو منه يهدى لى دعاء لما أرجوه من خير مجازا
 بخاتمة تبلغنى مراما بجنت أراها لى مفازا
 وأشاخى يلفهم رضاء ويوصلهم الى خير يجازا

تجديد المنصور ولاية العهد لابنه المامون وما وقع في ذلك



قالوا : وفى شوال سنة اثنين وتسعين وتسعمائة جدد المنصور البيعة لولد
 محمد الشيخ الملقب بالمامون وأخذها له على اخوته خصوصا لانهم كانوا فى البيعة
 الاولى قبل البلوغ فأراد أن يستوثق له منهم بعد البلوغ حسما لمادة النزاع بينهم
 فارتحل المنصور من مراكش الى تامسنا وبعث الباشا عزوز بن سعد الوزكيتى
 لباتيه بولى عهده المذكور من فاس ، فتوافى القصد ان تامسنا ، وياشر المنصور
 أخذ البيعة له بنفسه ، وحضر الاعيان وأهل الحل والعقد وأحضر المصحف للكرى
 الذى هو مصحف عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه وهو من ذخائر الخلف
 وأحضر الصحيجان للشيخين ، وقرىء ظهير البيعة فتولى قراءته الكاتب أبو فارس
 عبدالعزيز الفشتالى ، وبحبه القاضى أبو القاسم الشاطبى يفسر ما أشكل من لفظ
 الظهير .

ولما أخذ البيعة أخر أولاده الى غد يومها فكتبوا خطوطهم عقبها بالموافقة على
 ذلك والالتزام له ، ووقع فى رسالة السلطان زيدان لابی زكرياء بن عبد الله
 الامام بذكر هذه البيعة فقال : « انى حضرت بيعة محمد الشيخ صاحب الغرر

سامحه الله وحضر أولاد السلطان فاستحلفهم له الا أنا ، فإنه رضى الله عنه قال :
« فلان لا يحلف لا يحتاج اليه فيما تأمره به ونفعله وعظم ذلك على اخوتي وظهرت
فى وجوههم لاجله الكراهية ، اه .

ولما فرغ المنصور من تجديد البيعة رأى أن يرشح كلا من أولاده للإمارة
ويقسم بينهم البلاد حتى لا تبقى فى نفوسهم احن ولا تنطوى قلوبهم على ضغائن ،
فعقد لابی فارس شقيق المأمون على السوس وسائر عمائه وعقد لابی الحسن
على مكناسة وما والاها ، وعقد لزيدان على تادلا ثم عكس ذلك لامر اقتضاه الحال ،
فنقل زيدان الى مكناسة ، ونقل أبا الحسن الى تادلا ، ولم يزالوا على ذلك الى
أن كان من أمرهم ما نذكره فى محله ان شاء الله .



ثورة الحاج قرقوش ببلاد غمارة ومقتله



قالوا : وفى سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ثار رجل يقال له : الحاج قرقوش
بجبال غمارة وبلاد الهبط وتسمى بأمر المؤمنين ، وكان فى ابتداء أمره حاكما
فتلبس بالزهد والصلاح ، واعتقدته العامة ثم استحال أمره الى ما ذكرنا فآخذ
وقتل وحمل رأسه الى مراکش وانقطعت مادة فساده فلم تبكه أرض ولا سماء .



بناء المسجد الجامع بباب دكالة من حضرة مراکش حرسها الله



كانت الحرة مسعودة أم المنصور وهى بنت الشيخ الاجل أبى العباس أحمد
ابن عبد الله الوزكىنى الوردزانى من الصالحات حريصة على اقتناء المفاخر راغبة
فى فعل الخير ، قال فى المنتقى : « وهى التى أنشأت المسجد الجامع بحومة باب
دكالة داخل مدينة مراکش ووقفت عليه أوقافا عظيمة وكان ذلك سنة خمس
وتسعين وتسعمائة . قال : « وهى التى بنت جسر وادى أم الربيع وغير ذلك ، اه

قلت: المرقوم على رخامة قبرها انها بنت جسر بن بلعظ الشنية وتزعم العامة أنها بنت المسجد المذكور كفارة لما انتهكته من حرمة رمضان وذلك أنها دخلت بستانا من بساتين قصورها وهي في حال الوحش فرأت به خوفا ورمانا فتناولتهما وأكلت منهما في نهار رمضان ثم ندمت على ما صدر منها وفعلت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز الله عنها ومنها الجامع المذكور، ولا زال النساء والصبيان يسجعون بقصبتها الى الآن فيقولون : عودة أكلت رمضان بالخوخ والرمان ، في اسجاع غير هذه . ولفظ عودة مخفف من مسعودة على طريقة البربر في مثل هذا والله تعالى أعلم .



بعث المنصور بيبة الرخام الى جامع القرويين من فاس حرسها الله



قال ابن القاضى فى «المنتقى المصنوع» : « ان المنصور رحمه الله بعث الخصة العظيمة سنة ست وتسعين وتسعمائة الى جامع القرويين من فاس مع كرسى من المرمر توضع عليه وزنهما معا مائة فنطار » قال : « وهى : الخصة التى تحت منار الجامع المذكور » وقال ابن القاضى المذكور فيما نقش برفقتها:

امام دار الهدى المنصور شيدنى بحر المكارم من أبناء عدنان
حزت المفاخر بالمنصور أجمعها ومن علاه سنام المجد أرسانى
من جاء يشكو الظما يوما وقبلنى أغناه ماقد همى من صوب أجفانى
لا تنكرن وجود الدعم من فرح فالعين تدمع من افراط سلوان
واشرب هنيئا من السلسال لاجرج معين دمع جرى من فيض خيلجاني
فخر السلاطين من أبناء فاطمة أشاع صيتى الى أطراف عمان
وقد جرت مقلتى تحكى سجاتها كف الخليفة من أبناء زيسدان
لا زال للدين والدنيا يسوسهما ما هيجت عاشقا ورق بأنان
اتشائى فى زمن التاريخ وافقه للدين والاجر بحر الجود سوانى
وفى هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين وتسعمائة فى ذى الحجة منها

سافر المنصور الى فارس وبينما هو فى الطريق وافته البشرى بالفتك بنصارى
سبته وان زعيم الفئة الجهادية وهو المقدم أبو العباس أحمد النقيس التطوانى
كمن لهم مع جماعة من الفرسان فى موضع فخرج النصارى بأولادهم
وحشهم فحال النقيس بينهم وبين سبته وأوقع بهم وكاد يفتحها ، وسر
المنصور بهذا الخبر ، وأشدّه فى ذلك الكاتب أبو عبد الله محمد بن على
الفشتالى يتين زجر له منهما القال باستيلائه عليها وهما :

هذه سبته تزف عروسا نحو ناديك فى شباب قشيب
وهى بشرى وأنت كفو اللوانى كافات بعلها بفتح قريب
وفى سنة سبع وتسعين وتسعمائة فى اليوم الثانى من ذى القعدة منها
أخلى النصارى مدينة أصيلا حملهم الخوف من كنية المسلمين المرابطة هنالك
على الفرار بانفسهم فتركوها يابا وذهبوا ، وفى ذلك يقول أبو العباس ابن
القاضى :

يا أيها المنصور أبشر بالعللا فالله أبلغ فى العدا المأمولا
أنصاكم سيفا لحف عدائه وبكم غدا سيف الردى مفلا
وهزتم الشوك المتين بعزمكم من غير سيف لم يرى مسلا
وأذيت كيد الحيث بهمة وفتحتم دار العدا أصيلا
أكرم به من مالك بل صالح أضحى لبارود العدا خليلا
لازال فى أنف الهدى شعاوفى عين العلاء يشاكل التكحيللا
وأشار بقوله لبارود العدا خليلا الى ما صنعه النصارى دمرهم الله حين أرادوا
الخروج من أصيلا فانهم حضروا تحت قصبتها وملأوا الحفرة بالبارود وأوقدوا
فتيلا تبلغه ناره عند دخول المسلمين فيهلكون ففر نصرانيهم وأخبر
المسلمين بذلك ففجأهم الله تعالى من مكيدة الوبال ، وكفى الله المؤمنين القتال،
وقال فى ذلك أيضا الكاتب البارع أبو فارس عبد العزيز الفشتالى شعرا ذكره
صاحب « نشر المثنى » فانظره .

وكان فى زمن المنصور رجال من بيوتات المغرب معروفون بالشجاعة
والنجدة فى قتال العدو ومنهم : أولاد النقيس التطوانيون ، ومنهم : أولاد

أبى الليف من أهل بلاد الهبط ، قال فى « المرأة » : « لما كان المقدم المجاهد الشهيد أبو عبد الله محمد بن الحسن أبو الليف من الشهامة والصرامة على ما كان عليه يوم من شدة نكايته فى العدو الكافر الطنجى وبعد أنره فيهم جرت أمور بينه وبين صاحب عمل القصر فسعى به الى المنصور فأمر برجليه الى فاس هو وعشيرته مغربين عن وطنهم كأنهم فى سجن ، فأقاموا بفاس مدة لا أدرى هل هى سنة أم أكثر الا أنى كنت أراه عند الشيخ سنة ثمان وتسعين وتسعمائة وأنا اذ ذاك صغير ، ويعنى بالشيخ والده أبا المحاسن رحمه الله » ، قال : « فضافت عليهم أنفسهم من الاغتراب فقال يوما المقدم عمر لآخيه كيسره المقدم محمد : لو زرنا الشيخ اليوم وتبركنا به لعل الله يفرج عنا فان الناس كثيرا ما يقصدونه فى المهمات » فقال له : « لا أتحرك فقد غلب اليأس » فصار المقدم عمر وحده فلما وصل الى الشيخ قال له : « قطنتم » قال : « نعم ياسيدى » فقال له الشيخ : « غدا يخلى سبيلكم ان شاء الله » فرجع الى أخيه وأخبره ، فلما كان من الغد بعث اليهم القاضى أبو محمد عبد الواحد الحميدى فلما أتوه قال لهم : أبشروا بالسراح والرجوع الى الوطن ان شاء الله ، فانه قد قرئ الآن بين يدى السلطان بعض الغزوات التى ذكرها ابن النحاس وغناه أبطال المسلمين فيها ، فقال السلطان أو غيره : « ترى هل بقى فى هذا الزمان من يماثلهم » فقالوا : قد بقى من يفعل فعلهم ، وها هم أولاد أبى الليف المغربون هنا يفعلون مثل ذلك » فقال السلطان سرحوهم الى بلادهم ليحموا ثغورهم ويجاهدوا فى سبيل الله فرجعوا الى بلادهم وفعلوا الافاعيل فى عدو الدين الى أن استشهد المقدم محمد فى ربيع الثانى سنة اثنين وألف هـ .



غزو السودان وفتح مدينة كاغو وقتل سلطانها اسحق سكية رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان من مفاوضة المنصور لحاشيته في غزو السودان واستقرار رأيهم على ذلك فبقى المنصور يقدم رجلا ويؤخر أخرى الى أن كانت سنة سبع وتسعين وتسعمائة أقوى عزمه واشتغل بتجهيز آلة الحرب وما يحتاج اليه الجيش من آلة السفر ومهمات ، وأمر القواد أن يقوموا حصص القبائل وما يحتاجون اليه من ابل وخيل وبغال ، وان من أتى بجمل ضعيف يعاقب ، واشتغل هو بتقويم آلة الحرب من المدافع والعجلات التي تحملها والبارود والرصاص والكور ، وتقويم الخشب واللوح والحديد للغلاظ والسفن والفلك والمجاذيف والقلوع والبراميل والروايا لحمل الماء ، وألف التجارون ذلك في البر الى أن تألف ، ثم خلموه وشدوه أحمالا ، واستمر الحال الى أن استوفى المنصور أمر الغزو في ثلاث سنين ، ثم أمر باخراج المضارب والمباني لوداي تانسيفت فخرجت الاحمال والاثقال من مراكز في اليوم السادس عشر من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ونزلت العساكر وضربت أبنيتها خيلا ورجلا وجعلتها عشرون ألفا ، ومعهم من المعلمين البحرية والطبية ألفان ، فالجموع اثنان وعشرون ألفا ، وعقد المنصور على ذلك الجيش لمولاه الباشا جؤذر وشد أزره بجماعة من أعيان الدولة ، فاختار منهم من يعلم تجذته ويعرف كفايته ، وتخبر من الابل كل بازل وكوما ، ومن الخيل كل عتيق وجرداء ، ثم نهضوا في زى عظيم وهيئة لم ير مثلها ، وذلك في محرم فاتح سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، وكتب المنصور الى قاضي تنبكو الفقيه العلامة أبي حفص عمر بن الشيخ محمود بن عمر ما قيت الصنهاجي يأمره بحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة .

ولما نهضوا من تانسيفت جعلوا طريقهم على ثنية الكلاوى ، ثم على درعة ودخلوا القفر والفيافي فقتلهم فيها مائة مرحلة ولم يضع لهم عقال بعير ولا نقص منهم أحد فنزلوا على مدينة تنبكو نغر السودان ، فأراحوا بها أياما ، ثم صاروا

قاصدين دار اسحق سكية ، ولما سمع بقومهم احتشد أمم السودان وقبائلها وقبائل الملثمين المهادين لهم ، وخرج من مدينة كاغو يعجز الشوك والمدر يقال : أنه جمع مائة ألف مقاتل وأربعة آلاف مقاتل .

وقال الفشتالي : ولم يقنع بالجيوش التي جمع حتى أضاف اليها أشياخ السحرة وأهل النفث في العقد وأرباب العزائم والسيماة فلما منه أن ذلك يغيه شيئا، وهبها، ويرحم الله أبا تمام اذ قال فيما يقرب من هذا الحال :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بض الصفائح لاسود الصفائح في متونها جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة ليست ينبع اذا عدت ولا غرِب

ولما تقارب الجمعان عبا الباشا جؤذر عساكره وتقدم للحرب فدارت بهم عساكر السودان من كل جهة . وعقلوا أرجلهم مع الابل وصبروا من الضحي الى العصر ، وكانت سلاحهم انما هي الحرشان الصغار والرماح والسيوف ولم تكن عندهم هذه المدافع فلم تغن حرشانهم ورماحهم مع البارود شيئا ، ولما كان آخر النهار هبت ريح النصر وانهمز السودان فولوا الادبار . وحق عليهم البوار ، وحكمت في رقابهم سيوف جؤذر وجنده حتى كان السودان ينادون نحن مسلمون نحن اخوانكم في الدين والسيوف عاملة فيهم وجند جؤذر يقتلون ويسلبون في كل وجه ، وفر اسحق في شردمة من قومه ولم يدخل قلعة ملكه ، وتقدم جؤذر فدخلها واحتوى على ما فيها من الاموال والمتاع ، وكان ذلك منتصف جدى الاولى من سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، ويقال : ان جؤذرا لم يدخل مدينة كاغو وانما تحصن بها اسحق فحاصره جؤذر فيها ، وكب الى المنصور بخبر الفتح وبعث اليه بهدية فيها عشرة آلاف مثقال ذهبا ومائتان من خيار الرقيق وغير ذلك ، وامتدت العساكر المنصورة في بلاد آل سكية تبعث وتفسد وتسبي وتغنم الى أن راسل اسحق الباشا جؤذرا في تقرير الصلح على مال معين يدفعه الآن وضريبة يؤديها كل سنة فاجابه الى ذلك على مشورة المنصور وامضاه اياه ، ثم كتب الى المنصور

بذلك وكانت العساكر قد أصابتها الحمى ووخامة تلك الارض فانفق رأى الامراء على الرجوع والاقامة بتبكيكو الى أن يأتى جواب المنصور، فرجعوا وأخذ جؤذرفى انشاء الغلاط والسفن وتركها ولما اكملها دفعها فى النيل، ولما بلغ المنصور خبر الصلح قام وقعد وقوم عسكرا خفيفا وبعث به مع مملوكه الآخر محمود باشا وهو أخو جؤذر وقلده أمر العساكر كلها، وعزل جؤذرا عنها وأمر محمودا أن يقيه معه، وكتب الى أمراء العسكر يعاتبهم ويوبخهم على ما فعلوه مع اسحق من الصلح، ويؤكد عليهم فى الرجوع الى بلاده واتباعه حيثما توجه ولو عبر النيل الى العدو الاخرى، وخرج محمود باشا فيمن عين له من العسكر فى زمان الحر فى وقت لا يقدر على الحركة فيه الا القطا الكدرى وقطع القفر فى خمسين مرحلة أمر لم يسمع بمثله ونزل بالعساكر على ظاهر تبكيكو على رأس سنة الالف فأراح بها ثلاثا ثم شحن الغلاط والسفن والفلك بالرؤساء والملاحين وجوه الجند فساروا فى النيل وسار السواد الاعظم فى البر الى أن نزلوا على مدينة كاغو قاعدة ملك اسحق سكية، وكان اسحق لما رجعت عنه العساكر الى تبكيكو احتشد أمم السودان المجاورين له وتذامروا وأصفقوا معه على الموت، فلما بلغه رجوع العساكر الى كاغو قصدهم فى جموعه، ولما التقى الجمعان لم يكن الا مقدار فواق ناقة حتى انهزم السودان من سماع وعد المدافع والمهاريس وارتفاع القنابل فسى الجو وهدير الطبول، وتبعته العساكر يقتلون ويأسرون الى أن غشيه ظلام الليل ورجعوا بالغنائم والسبى فاستراحوا ثلاثا، ثم أمر محمود أخاه جؤذرا أن يقيم بمدينة كاغو عامرا لها، ويترك معه عددا من العسكر يكون ردءا لهم، وسار هو فى اتباع اسحق الى أن لحقه بعض الجهات فاوقع به وقعة شناعا وفر فى فل من قومه فعبر النيل الى العدو الاخرى وتبعه محمود فعبر النيل بعساكره فى السفن وسار خلفه الى أن لحقه فاوقع به وقعة ثالثة احتوى فيها على ما معه من المال والحريم ودخل اسحق القفر فهلك فيه، ثم كانت لمحمود وقعة أخرى مع أخيه الذى كان ينازعه فى الملك فانه قام بعد مهلك أخيه وجمع الجموع وزحف الى محمود باشا فهض اليه محمود فهزمه وقتله فيمن معه من جنده واتباعه، وتمهدت له البلاد واستولى عليها استيلاء كلياً،

وكتب بخبر الفتح الى المنصور .

ولما بلغه هذا الفتح وصورته كان عنده ذلك اليوم عيدا من الاعياد أخرج فيه الصدقات وأعتق الرقاب ، وأقام مهرجانا عظيما بفاهر الحضرة خرج له عامة الناس للفرجة والنزهة وزينت الاسواق وأخرجت المدافع بالنفط وتساقطت الخيول ، وأطعم المنصور الناس عدة أيام ونظم الشعراء قصائدهم ورفعوا أمداحهم ، وأجازهم بما تحدث الناس به دهرا ، وكتب بخبر الفتح وصورته نسخ وجهت الى جميع الآفاق ، وكان مما قيل فى ذلك من الشعر ما أشده الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالى فقال :

جيش الصباح على الدجا متدفق
وكانه رايات عسكري التى
لاحت وأفقهم ليل كليه
نشرت لتطوى منه ليلا دامسا
أرسلتهن جواثحا وجوارحا
وسرت فكان دليلهن اليهم
لهى اللبالي قد جلى أحلاكهما
صعقت بهن رعدو نارك صقعة
سحقا لاسحق الشقى وحزبه
رام النجاة وكيف ذاك وخلفه
جيش أواخره بذاك سيله
لم يشعروا الا وأسوار الردى
كتب الاله على عداتك أنهم
خلت ملوك ساجلوك على الملا
أن يشهوك ولا شبه يرى لكم
بشر ملوك الارض أنك فاتح
وبقاصل لك ذى الفقار مفرق
دامت طيور السعد وهى غوارد

فياض ذالسواد ذلك يمحى
طلعت على السودان يضا تخفى
كعمود صبح فى الدجا يتألق
أضحى بسيفك ذى الفقار يمزق
فى كل مغلها غراب ينمق
مشحود عزمك والسنان الأزرق
نور النبوة من جبينك يشرق
رجت لصيحتها العراق وجلق
فلقد غدا بالسيف وهو مطوق
من جيش جؤذرك الغضنفر فبلق
عزم وأوله بكافو محقق
ضربت عليهم من فاك وخندق
قص لسهمك غربوا أو شرقوا
سفها وشأوك فى الملا لا يلحق
فى الخلق أين من اللجين الزنبق
بالشرفى على الولا ما غلقوا
ما جمعوه وجامع ما فرقوا
بالمشتهى لك والمسرة تنطبق

ما دام أصل علاك فى صحف الثنا أصل الفخار وكل غبرك ملحق
 والمشتهى والمسرّة بستانان للمنصور ورى بهما هذا الشاعر وسيتأسى
 الكلام عليهما . وكان محمود باشا لما استوسق له الامر هنالك بعث بنصف
 جيشه الى المنصور مع هدية عظيمة فيها من الذخائر ما لا يحصى ، من ذلك :
 ألف ومائتان من متخير الرقيق الجوارى والعلمان ، وأربعون حملا مسن
 التبر ، وأربعة سروج ذهباً خالصاً ، وأحمال كثيرة من الياقوت وقطوط الغالية
 وغير ذلك ، ولما وافى المنصور سر بذلك سرورا عظيما وأمر بعمل المفرحات
 فى بلاد المغرب وتزيين الاسواق غدوة وعشية ثلاثة أيام، ووفدت عليه الوفود
 من كل ناحية مهنيين له بما منحه الله من الظفر والنصر ، وانتظمت الممالك
 السودانية فى سلك طاعته ما بين البحر المحيط من أقصى المغرب الى بلاد برنو
 المتاخمة لبلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر قال الفشتالى: فكلمة المنصور نافذة فيما بين
 بلاد النوبة الى البحر المحيط من ناحية المغرب وهذا ملك ضخم وسلطان فخم
 لم يكن لمن قبله ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، ولما فتح الله عليه ممالك البلاد
 السودانية حمل اليه من التبر ما يعى الحاسبين ، ويحير الناظرين ، حتى كان
 المنصور لا يعطى فى الرواتب الا انصار الصافى ، والدينار الوافى، وكان باباه
 كل يوم أربع عشرة مائة مطرقة لضرب الدينار الوافى دون ما هو معد لغير ذلك
 من صوغ الاقراط والحلى وشبه ذلك ولأجل هذا لقب بالذهبي لفيضان الذهب
 فى أيامه والامور كلها بيد الله .



وفاته أم المنصور الحرة مسعودة الوزكيتية رحمها الله



كانت الحرة مسعودة هذه من الخيرات الصالحات وتقدم بعض ما نرها من بناء المسجد الجامع بباب دكالة وغيره . وكانت وفاتها سحر يوم الثلاثاء السابع والعشرين من المحرم فاتح سنة ألف ، ومن المستفيض انها رثت بعد موتها فسئلت ما فعل الله بها فقالت : « غفرلى ، بسبب انى كنت ذات يوم جالسة لقضاء الحاجة فسمعت المؤذن شرع فى الاذان فرددت على نيايى اعظاما لذكر الله تعالى حتى فرغ المؤذن من آذانه فشكر الله لى ذلك فغفر لى » .

وفى سنة احدى وألف أتى بالقيلة من بلاد السودان الى المنصور، وكان يوم دخولها لمراكش يوما مشهودا برز لرؤيتها كل من بالمدينة من رجال ونساء وشيوخ وصبيان ثم حملت الى فاس فى رمضان سنة سبع وألف . قال فسى «نشر المائى» : كان دخول الفيل الى فاس يوم الاثنين سادس عشر رمضان سنة سبع وألف وبعث المنصور مع الفيل الى ولده المأمون بهدية سنية فيها تحف وأموال عريضة وخرج أهل فاس فى ذلك اليوم للقاء الفيل بنحو مائة ألف نفس .

قال بعضهم : « وبسبب دخول هذه القيلة الى المغرب ظهرت هذه العشبة الخبيثة المسماة بتابغ لان أهل السودان الذين قدموا بالقيلة يسوسونها قدموا بها معهم يشربونها ويزعمون أن فيها منافع ، فشاعت منهم فى بلاد درعة ومراكش وغيرهما من بقاع المغرب ، وتعارضت فيها فتاوى العلماء رضوان الله عليهم ، فمن قائل بالتحريم ومن قائل بالتحليل ، ومتوقف ، والعلم فيها عند الله سبحانه ، قاله اليفرنى .

قلت : من تأمل أدنى تأمل فى قواعد الشريعة وآدابها علم يقينا أن تناول هذه العشبة حرام ، لانها من الخبائث التى حرمها الله تعالى على هذه الامة المطهرة ، وبذلك وصفها فى الكتب السالفة اذ قال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم

بالمعروف وبناهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، .
 وبسط هذا المقام : ان تعلم أن الله تعالى اختار هذه الامة من بين سائر
 الامم قال تعالى : « كنتم خير أمة اخرجت للناس » واختار لها من الطاعات
 وأنواع العبادات ما هو أفضلها ، قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
 عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » وأفضل تلك
 العبادات كلها الصلاة التى هى من الدين بمنزلة الرأس من
 سائر الجسد ، ثم اذا أمعنت النظر رأيت الشارع صلوات الله عليه قد بالغ
 فى الاحتياط لهذه العبادة الشريفة والاستعداد لها باستعمال كل طيب أمكن ،
 واجتناب كل خبيث أمكن ، فشرع أولا الطهارة الكبرى الشاملة لسائر البدن .
 وحظر من مقاربة الصلاة وما هو فى معناها حال الخلو عنها ، ثم شرع ثانيا
 الطهارة الصغرى المتعلقة باطراف البدن زيادة فى الاعتناء بها لانها تبرز فى
 غالب الاحوال فيملق بها من الاقدار مالا يعلق بغيرها ، وألزم المكلف استعمال
 هذه الطهارة عند عروض كل حدث مستقذر حتى الريح والسبب الداعى الى
 خروجه ، ثم ندبه الى استعمالها عند القيام الى كل صلاة من الصلوات الخمس .
 ثم انا اذا تأملنا أفعال هذه الطهارة وجدناها تشتمل على مبالغات كثيرة
 تستدعى غاية النظافة وتنفى كل قدر وان قل ، فشرع الغسل فى أعضاء الوضوء
 مكررا ، وشرع مسح شعر الرأس بالماء دفعا لما يعلق به من الغبار ، وشرع
 تنعيم مسام الوجه بالغسل والتنظيف كالمضمضة والاستنشاق ثلاثا تطيبا للنكهة ،
 وشرع مسح الاذنين من ظاهرها وباطنهما حتى الصماخين ازالة لما بداخلهما
 من تلك الفضلة ، مع أن الحى ودمعه وعرقه ولعابه ومخاطه كلها طاهرة ، وليس فى
 هذا دليل واضح على أن الحكمة فى هذا كله انما هو المبالغة فى النظافة وتطيب
 الرائحة والنكهة اذ بذلك يستحق البعد أن يتلبس بالعبادة ويدخل حضرة الرب ،
 وشرط للدخول فيها طهارة البدن والثوب والمكان من سائر المستقذرات حتى
 يكون على أكمل الحالات بعيدا عن القذر بكل وجه ، ثم لم يكف الشارع
 بهذا حتى شرع السواك عند القيام الى كل صلاة وقال : لولا أن أشق على أمتى
 لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ، كل ذلك المقصود منه طيب النكهة فانظروا

وتأمل اعتناء الشارع بتطبيب رائحة فم المؤمن ونكهته حتى في حق الصائم !
 « خلوف فمه أطيب عند الله من ريح المسك » هذا كله في حال الصلاة .
 وأما خارجها فقد علم من الشرع علما ضروريا أن العبد مطلوب بالمحاذرة على هذه الحال والبقاء عليها سائر أوقاته متى قدر على ذلك وتيسر له . و
 هذا المعنى : ما حرم الله تعالى على هذه الأمة من تناول المستقذرات كالميتة و
 وسائر النجاسات اذ علة حرمة الأشياء وتناولها إما كونها مستقب
 كالنجاسات اجماعا ، وكالحشرات وما تعافه النفوس على مذهب الشافعية
 رضى الله عنه ، أو مضرة كالسم والطين ونحوهما مما يضر بالبدن أو يبعث
 الاعضاء منه ، أو محترمة : إما لذاتها ، كالادمى ، أو لكونها ملكا للغير .
 ظاهر . فالشارع له غرض أكيد في اجتناب الطيبات واجتناب ما يضادها من
 المستخبثات ، وقد ثبت في الصحيح أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يبعثون
 في حوائطهم فإذا حضرت الجمعة أتوا الى المسجد وأبدانهم سهكة فأمرهم
 صلى الله عليه وسلم بالاعتسال عند كل جمعة ، ثم منع كل من تلبس برائحة
 كريهة كالثوم والبصل والكراث من حضورها ، وحجب الى النبي صلى الله
 وسلم من ديانا النساء والطيب ، وندب أمته الى استعماله في المشاهد العامة
 الجمع والاعياد ونحوها ، وخصال الفطرة انما شرعت لهذا المعنى ففيها كفاية
 تأملها ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ازره المؤمن الى انصاف ساقيه » د
 للسرف والخيلاء ، ولثلا يعلق به شيء من النجاسات والافذار الى غير هذا
 لو استقصى لطلال ، ودل دلالة قطعية على أن المطلوب من العبد أن يكون
 طيب الرائحة حسن البزرة طاهر البدن والثوب مجانبا لكل خبيث مستقب
 وهذه حالة أهل الجنة والعكس بالعكس ، وأنت لا تجد أخبث ولا أقذر
 من رائحة أفواه شربة الدخان ، ولا أنتن ولا أعفن من نكهات المستقذرين
 تابع ، وهذا التن من أفحح العيوب في نظر الشرع حتى انه جعل الخيار
 الزوجين اذا كان صاحبه أبخر ، فإذا لانشك أن استعمال هذه العنبة ا
 في الفم أو الانف من أعظم المحظورات لانها تصدم غرضا كبيرا من أغص
 الشارع وتضاده وتفقيه ، وأقول لو كان تنها يعلق بعضو من الاعضاء غير ا

لكان هينا لكنه يعلق بالفم والانف اللذين وضمهما الحكيم العليم فى وسط الوجه الذى هو أشرف الاعضاء ، فأى مضضة وأى استنشاق وأى سواك يزيل ذلك اللتن الذى يرسخ فى أنفاس أهلها وأفواههم وخياشيمهم رسوخا لا يمانله شئ . ولقد أفصح العامة عن شدة تنن هذه العشبة وصادفوا الصواب حيث قالوا: ان فضلة الدخان المسماة بالقبر تنجس النجاسة هذا الى ما يتبع ذلك من المفسد المتعددة من تغيير عقل متعاطيها حتى أنه اذا انقطعت عنه صار كالمجنون لا يبالى بما يصدر منه ، ومن دخول الشك فى صيامه لان بقايا ذلك الدخان أو ذلك الغبار قد يمتك فى حلقه الى طلوع الفجر وما بعده ، لان جلمهم اذا قرب الفجر والوا استعمله حتى يكون هو خاتمة سحورهم ، وبالجمله ، فلا يستعمل ذلك الا من لا خلاق له ولا يكثر بعروة ولا دين وهو قاذ فى الشهادة والامامة والله تعالى الموفق بمنه .



نكبة الفقيه ابى العباس احمد بابا السد دانى وعشيرته من آل آقيت
والسبب فى ذلك



كان بنو آقيت التكروريون من أهل مدينة تنبكتو ومن لهم الوجاهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان دينا ودنيا بحيث تعددت فيهم العلماء والائمة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتى سنة وكانوا من أهل اليسار والسؤدد والدين لا يبالون بالسلطان فمن دونه ، ولما فتح جيش المنصور بلاد السودان أبقاهم الباشا محمود على حالهم الى أن كانت سنة اثنين وألف فكان أهل السودان قد سئموا ملكة المغاربة وآسوا منهم خلاف ما كانوا يمهّدونه من سلطانهم الاول ، وكانت أذنهم مع ذلك صاغية لآل آقيت فتخوف المنصور منهم ، وربما وشى اليه بهم ، فكتب الى عامله محمود بالقبض عليهم وتغريبهم الى مراکش ، فقبض على جماعة كبيرة منهم كان فيها الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد ثلاثة أحامد بن عمرين (الاستقصا - حاس - 8)

محمد آقيت المدعو : بابا ، صاحب «تكميل الديباج» وغيره من التأليف . وكان فيها أيضا الفقيه القاضي أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد آقيت وغيرهما ، وحملوا مصفدين في الحديد الى مراكزهم ومعهم حريمهم وانتهت ذخائرهم وكتبهم .

قال في «بذل المناصحة» : « سمعت الشيخ أبا العباس أحمد بابا يقول : أنا أقل عشرين كتابا وقد نهب لي ست عشرة مائة مجلد » وكان القبض عليهم في أواخر المحرم سنة اثنتين وألف ، ووصلوا الى مراكزهم في أول رمضان من السنة المذكورة ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثفاف الى أن انصرم أمسد المحنة ، فسرخوا يوم الاحد الحادى والعشرين من رمضان سنة أربع وألف ففرحت قلوب المؤمنين بذلك .

ولما دخل الفقيه أبو العباس على المنصور بعد تسريحه من السجن وجده يكلم الناس من وراء حجاب ويذم وينهم كلمة مسدولة على طريقة خلفاء بنى العباس ومن يتشبه بهم ، فقال الشيخ : « ان الله تعالى يقول «وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب » وأنت قد تشبهت برب الارباب فان كانت لك حاجة في الكلام فانزل الينا وارفع عنا الحجاب » فنزل المنصور ورفعت الاستار ، فقال له الشيخ : « أى حاجة لك في نهب متاعى وتضييع كتبى وتصفيدي من تنبكتو الى هنا حتى سقطت عن ظهر الجمل واندقت ساقى ؟ » فقال له المنصور : « أردنا أن تجتمع الكلمة وأنتم فى بلادكم من أعيانها فان أذعنتم أذعن غيركم » فقال الشيخ أبو العباس : « فهلا جمعت الكلمة بتسرك تلمسان فانهم أقرب اليك منا » فقال المنصور : « قال النبي صلى الله عليه وسلم : فاتركوا الترك ما تركوكم » فامتلنا الحديث «فقال أبو العباس : «ذاك زمان ، وبعده قال ابن عباس : « لا تركوا الترك وان تركوكم » فسكت المنصور وانفض المجلس .

ولما سرح الشيخ أبو العباس تصدر لنشر العلم وأهرع الناس اليه للاخذ عنه ، ولم يزل بمراكزهم الى أن مات المنصور لانه ما سرحهم حتى شرط عليهم السكنى بمراكزهم ، ولما توفى أذن ابنه زيدان لآل آقيت فى الرجوع الى

بلادهم بعد أن مات جماعة منهم بمراكش ، وقد كان الشيخ أبو العباس يتشوق الى رؤية بلدته ويسكب العبرات عند ذكرها ولم يأس من روح الله في العود اليها ، وله في ذلك شعر على طريقة الفقهاء . ولما خرج من مراكش قاصدا بلده شيعة أعيان طلبتها فأخذ بعضهم يده عند الوداع وقرأ قوله تعالى : «ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاده على ما جرت به العادة من قراءتها عندوداع المسافر فيرجع سالما ، فانتزع الشيخ أبو العباس يده بسرعة وقال : «لاردني الله الى هذا المعاد ولا رجعتي الى هذه البلاد ، ثم لحق بتبكيكو فاستقر بها الى أن مات سنة ست وثلاثين وألف رحمه الله .

تتمة

قد تبين لك بما قصصناه عليك من أخبار السودان ما كان عليه أهل تلك البلاد من الأخذ بدين الاسلام من لدن قديم . وانهم من أحسن الامم اسلاما وأقومهم ديناً وأكثرهم للعلم وأهله تحصيلاً ومجبة ، وهذا الامر شائع في جل ممالكهم الموالية للمغرب كما علمت ، وبهذا يظهر لك شناعة ما عمت به البلوى ببلاد المغرب من لدن قديم من استرقاق أهل السودان مطلقا ، وجلب القطائع الكثيرة منهم في كل سنة ويبيعهم في أسواق المغرب حاضرة وبادية ، يسمسرون بها كما تسمسر الدواب بل أفحش ، قد تماثل الناس على ذلك وتواتت عليه أجيالهم حتى صار كثير من العامة يفهمون أن موجب الاسترقاق شرعا هو اسوداد اللون وكونه مجلوبا من تلك الناحية ، وهذا لعمر الله من أفحش المنكر وأعظمها في الدين ، إذ أهل السودان قوم مسلمون فلهم مالنا وعليهم ما علينا ، ولو فرضنا أن فيهم من هو مشرك أو متدين بدين آخر غير الاسلام فالغالب عليهم اليوم وقبل اليوم بكثير انما هو الاسلام ، والحكم للغالب ، ولو فرضنا أن لا غالب وانما الكفر والاسلام متساويان هنالك فمن لنا بان المجلوب منهم هو من صنف الكفار لا المسلمين . والاصل في نوع للانسان هو الحرية والخلو عن موجب الاسترقاق ، ومدعى خلاف الحرية مدع لخلاف الاصل ، ولا ثقة بخبر الجالين لهم والباطعين لهم لما تقرر وعلم في الباعة مطلقا ممن

الكذب عند بيع سلمهم واطرائها بما ليس فيها ، وفى باعة الرقيق خصوصا مما هو أكثر من ذلك ، كيف ونحن نرى أن الذين يجلبونهم أو يتجرون فيهم انما هم من لا خلاق لهم ولا مروءة ولا دين ، والزمان كما علمت وأهله كما ترى ، ولا يعتمد أيضا على قول ذلك العبد نفسه أو الامة نفسها كما نص عليه الفقهاء لاختلاف الاغراض والاحوال فى ذلك ، فان البائع لهم قد يضربهم حتى لا يقرون الا بما لا يقدح فى صحة بيعهم ، وقد يكون للعبد أو الامة غرض فى الخروج عن ملك من هو بيده بأى وجه كان ، فيهنون عليه أن يقر على نفسه بالرقية كي ينفذ بيعه عاجلا الى غير ذلك من الاغراض ، وقد استفاض عن أهل العدل وغيرهم أن أهل السودان اليوم ، وقبل اليوم ، يغير بعضهم على بعض ويختطف بعضهم أبناء بعض ، ويسرقونهم من الاماكن النائية عن مدارسهم وعمرانهم ، وان فعلهم ذلك كفعل أعراب المغرب فى اغارة بعضهم على بعض واختطاف دوابهم ومواشيهم أو سرقتها والكل مسلمون ، وانما الحامل لهم على ذلك قلة الديانة وعدم الوازع ، فكيف يسوغ للمحتاط لدينه أن يقدم على شراء ما هو من هذا القبيل ، وكيف يجوز له التسرى بانائهم ، وفى ذلك ما فيه من الاقدام على فرج مشكوك .

وقد قال الشيخ أبو حامد الغزالى رضى الله عنه : فى كتاب « الحلال والحرام » من « أحياء علوم الدين » : نصه : اعلم أن كل من قدم اليك طعاما أو هدية أو أردت ان تشتري منه او تهب فليس لك أن تفتش عنه وتسال وتقول : هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه ، وليس لك أيضا أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه ، بل السؤال واجب مرة ، وحرام مرة ، ومندوب مرة ، ومكروه مرة ، فلا بد من تفصيله والقول الشافى فيه : هو أن مظنة السؤال مواقع الرية ، ثم أطال رضى الله عنه فى تقرير ذلك ، وصرح بأن البائع اذا كان متهمًا على ترويح سلعته لا يعتمد على قوله . فاذا كان هذا فى الاموال فكيف باسترقاق الرقاب وملك الاضباع الذين للشوارع بهما مزيد اعتناء كما هو معلوم من الشرع وأصوله .

وقد ذكر الشيخ أبو العباس أحمد بابا فى تقييده الموضوع فى هذه المسئلة ،

سـى «بمعراج الصعود» تفصيلا حتم به كلامه وذكر ببائل من كفار السودان
 موسى وبعض فلان وغيرهم : وقال : أن كل من كان من هؤلاء القبائل
 يز استرقاقه . وكذلك ذكر ولى الدين ابن خلدون : « ان وراء النيل
 من السودان يقال لهم للمم » قال : « وهم كفار ويكتوون فى وجوههم
 داغهم » قال : « وأهل غانة والتكرور يفرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم
 ر فيجلبونهم الى المغرب وهم عامة رقيقهم وليس وراءهم فى الجنسوب
 ن يعتبر » الى آخر كلامه ، لكن هذا التفصيل الذى ذكره الشيخ أبو
 انما ينفع أهل تلك البلاد المجاورين لهم والمطلعين على المجلوب منهم
 غيرهم ، فأما أهل المغرب الذين هم من وراء وراءوبينهم ويسن أرض
 ان مهامه فيح وقفار لا يعمرها الا الريح ، فمن الذى يحقق لهم ذلك ،
 لما انه لا يجوز الاعتماد على قول الجالين لهم ، وأيضا فمن لنا بأن أولئك
 ، لا زالوا على كفرهم الى الان على أن الناس اليوم لا يلتفتون الى ذلك
 ، ومهما رأى أحدهم العبد أو الامة يسمسر فى السوق الا ويقدم على
 غافلا عن هذا كله لايسأل الا عن عيوب بدنه لافرق فى ذلك بين أسود
 ض وغيرهما ، بل صار الفسقة اليوم وأهل الجراءة على الله يختطفون
 الاحرار من قبائل المغرب وقراء وأمصاره ويبيعونهم فى الاسواق جهارامن
 كير ولا امتعاض للدين ، وصار النصارى واليهود يشترونهم ويسترقونهم
 منا ومسمع ، وذلك عقوبة من الله لنا لو اعتبرنا فاننا لله وانا اليه راجعون
 دهيئا به فى ديننا .

فالحاصل أنه لما كان الاصل فى الناس هو الحرية كما قلنا ، وعلم تواترا
 ، بلاد السودان الموالية لنا جلهم أو كلهم مسلمون ، واستفاض عن أهل
 وغيرهم انهم يغير بعضهم على بعض ويختطف بعضهم أبناء بعض ويبيعونهم
 عدوانا ، ورأينا بالمشاهدة أن الجالين لهم والمتجرين فيهم انما هم من لا
 لهم ولا دين لهم لم يبق لنا توقف فى أن الاقدام على شراء هذا الصنف
 فى الشرع والمقدم عليه مخاطر فى دينه ، وأما وضع يد الجالين لهم
 لا تكفى شرعا فى جواز الاقدام على شرائهم منهم لضعف هذه العلامة

بما احتف بها من القرائن المكذبة لها، وليستفت المرء قلبه فقد قال صلى الله عليه وسلم « استفت قلبك وإن أفنوك » فانه متى رجع الى قلبه في هذه المعضلة ألا ولا يقدر أن يحوم حول هذا الحمى بحال ، ثم تنزل عن هذا كله ونقول : لو لم يكن في ذلك الا الشبهة القوية وفساد الزمان ورقة ديانة أهله لكان في هذه الامور الثلاثة مع ملاحظة سد الذريعة الذي هو أحد أصول الشريعة لا سيما عند الامام مالك رضى الله عنه ما يقتضى وجوب التخلي عن ملابسة هذه المفسدة المزرية بالعرض والدين ، فنسأله سبحانه أن يوفق من ولاه أمر العباد، لحسم مادة هذا الفساد ، فان سبب الاسترقاق الشرعى الذى كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مفقود اليوم ، وهو السبي الناشئ عن الجهاد المقصود به اعلاء كلمة الله تعالى ، وسوق الناس الى دينه الذى اصطفاه لعباده ، هذا هو ديننا الذى شرعه لنا نبينا صلى الله عليه وسلم وخالفه خلاف الدين وغيره غير المشروع والتوفيق انما هو بيد الله « ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .

بناء قصر البديع بحضرة مراكش حرسها الله



قال فى « مناهل الصفا » : كان السبب الحامل للمنصور على بناء البديع وانفاؤه فيه جلائل الاموال ونفائس الذخائر هو أنه أراد أن تكون لاهل البيت به مآثرة وشفوف على دولة البرابر من المرابطين والموحدين ومن بعدهم ، فان كلا من أهل تلك الدول أبقي بناء يحيا به ذكره ، ولم يكن لاهل البيت فى ذلك المعنى شىء تزداد به حظوتهم مع أنهم أحق الناس بالمجد والسؤدد الاثيل فتصدى لبنائهم بقصد تشريف أهل البيت لان البناء كما قيل :

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن النبى
لان البناء اذا تعاضم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن
قلت : هذا اعتذار بارد كما لا يخفى .

ولما أراد المنصور أن يشرع فيه أحضر أهل العلم ومن يتسم بالصالح فتحينوا أو ان الابتداء ووقت الشروع فيه فكان ابتداء الشروع في تأسيسه في شوال خامس الأشهر من خلافته سنة ست وثمانين وتسعمائة ، واتصل العمل فيه الى سنة اثنتين وألف . ولم يتخلل ذلك فترة . وحشد له الصناع حتى من بلاد الافرنجة، فكان يجتمع كل يوم فيه من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم حتى كان باباه سوق عظيم يقصده التجار بغنائمهم ونفائس اعلانهم ، وجلب له الرخام من بلاد الروم ، فكان يشتريه منهم بالسكر وزنا بوزن على ما قيل .

وكان المنصور قد اتخذ معاصر السكر ببلاد حاحة وشوشاوة وغيرهما حسبما ذكره الفشتالي رحمه الله في المناهل ،

وأما جبسه وجبره وباقي أنقاضه فانها جمعت من كل جهة وحملت من كل ناحية حتى انه وجدت بطاقة فيها أن فلانا دفع صاعا من جير حملة من من تبكو وظف عليه في غمار الناس .

وكان المنصور مع ذلك يحسن الى الاجراء غاية الاحسان ويجزل صلة العارفين بالبناء ويوسع عليهم في العطاء ويقوم بمؤن أولادهم كى لا تشوف نفوسهم وتشعب أفكارهم .

وهذا البديع دار مربعة الشكل وفي كل جهة منها قبة رائعة الهيئـة واحتف بها مصانع أخر من قباب ونصور ودور فعظم بذلك بناؤه وطالت مسافته ولا شك أن هذا البديع من أحسن المباني وأعجب المصانع يقصر عنه شعب بوان وينسى ذكر غمدان ، ويخس الزهراء والزاهرة، ويزرى بقباب الشام واهرام القاهرة ، وفيه من الرخام المجزع والمرمر الابيض والاسود ما يحير الفكر ويدهش النظر وكل رخامة طلى رأسها بالذهب الدائب وموه بالفضة الصافى وفرشت أرضه بالرخام العجيب تحت الصافي البشرية ، وجعل في أضفاف ذلك الزليج المتنوع التلوين حتى كأنه خمائل الزهر ، أو برد موسى من عمل صنعاء وتستمر ، وأما سقوفه فتجسم فيها الذهب وطلبت الجدران به مع بديع النقش ورائق الرقم بخالص الجبص فتكاملت فيه المحاسن ، وأجرى بين قبابه ماء غير آسن ، وبالجملـة فان هذا البديع كان من المباني المتناهية البهاء والاشراق

المباهية لزوراء العراق ومن المصانع التي هي جنة الدنيا وقتنة المحيا ، ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف :

كل قصر بعد البديع يذم فيه طاب المجنى وطاب المشم
منظر رائق وماء نيمير وثرى عاطر وقصر أشم
ان مراكشا به قد تباهت مفتخرا فهي للعلا الدهر تسمو
وبه من الاشعار المرقومة فى الاستار ، والايات المنقوشة فى الجهات ،
على الحشب والزليج والجص ما يسر الناظر ويروق المتأمل وبهر العقول ،
وعلى كل قبة ما يناسبها ، وفي بعض القباب مفاخرة على لسانها المقابلتها وتتبع ذلك
يطول لكن لا بأس أن نلم هنا بشألة من ذلك الحوض ونخوض فى بحار
تلك البدائع بعض الحوض ، اذ فى ذلك عبرة لمن اعتبر ، وترويح للقلوب
بكيفية فعل الدهر بمن غبر ، فمن ذلك ما نقش خارج القبة الخمسينية لان فيها
خسین ذلعا بالعمل من انشاء الكاتب البليغ أبى فارس عبد العزيز الفشتالى على
لسان القبة المذكورة .

سموت فخر البدر دونى وانحطأ
وصغت من الاكليل تاجا لمفرقى
ولاحت بأطواقى التريا كأنها
وعديت عن زهر النجوم لانتى
وأجريت من فيض السحابة والندى
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت
ينفض ما بين الغروس كأنه
حواليه من دوح الرياض خرائد
اذا أرسلت لدن الفرع وفتحت
يرنحها مر التسيم اذا سرى
يشق رياضا جادها الجود والندى
وسالت بسلسال اللجين حياضه
تطلع منها وسط وسطاه دميعة

وأصبح قرص الشمس فى أذنى قرطا
ونبطت بى الجوزاء فى عنقى سطا
نثر جمان قد تبعته لقطا
جعلت على كيوان رحلى منحطأ
خليجا على نهر المجرة قد غطأ
إليه وفود البحر تغرف ما أنطأ
وقد رقرقت حصابؤه حية رقطأ
وغيد تجر من خمائلها مرطأ
جنى الزهر لاح فى ذوائبها وخطأ
كما مال نشوان تشرب اسفطأ
سواء لديها الغيث أسكب أم أبطأ
بحارا غدا عرض البسيط لها شطأ
هى الشمس لاتخشى كسوفأ ولا غمطأ

حكمت وجباب الماء فى جنباتها
 اذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها
 توسمت فيها من صفاء أديمها
 اذا اتسقت بيض القباب قلادة
 تكفنى بيض الدمى فكأنها
 قدود ولكن زادها الحسن عريها
 سمت صعدا تيجانها فتكسرت
 فيالك شأوا بالسعادة أهلا
 وكعبة مجد شادها العز فاتبست
 ومسرحة غزلان الصريم كاسها
 فلكن به ما طاب لا الائل والخمطا
 ثراه من المسك الفتيت مدبر
 وان باكرته نسمة ينسرى بها
 أقرت له الزهراء والخلد واثنت
 جناب رواق المجد فيه مطنّب
 امام يسير الدهر تحت لوائه .
 وفتاح أقطار البلاد بفيلق
 تطلع من خرصانه الشهب فاثنت
 كائب نصران جرت للممة
 اذا ما عقدن راية علوية
 فبا للسما تلك الالهة انما
 يطاوع أيدى المعلوات عنانها
 يد لأمير المؤمنين بكفها
 أدار جدارا للعلا وسراقا
 وقال أيضا مما كتب بداخل القبة المذكورة :
 جمال بدائعى سحر العيون
 سنا البدر حل من نجوم السما وسطا
 على جسمها الفضى نهرا بها لطا
 نقوشا كان المسك ينقطها نقطها
 فانى لها فى الحسن درتها الوسطا
 عذارى نضت عنها القلائد والريطا
 وأجمل فى تعيمها النحت والخرطا
 قوارير أفلاك السماء بها ضفطا
 بأكافه رحل العلا والهدى خطا
 تطوف بمناها لامنى الورى شوطا
 خنايا قباب لا الكتيب ولا السقطا
 ووسدن فيه الوشى لا السدرو الارطا
 اذا مازجته السحب عادبها خلطنا
 الى كل أنف عرف عنبره قسطا
 أو اوين كسرى الفرس تغبطه غبطا
 على خير من يعزى لخير الورى سبطا
 وترسى سفائن العلا حشما خطا
 يفلق هامات العدا بالظبي خطا
 ذوايب أرض الزنج من ضوءها شمطا
 جرت قبلها الاقدار تسبقها فرطا
 جعلن ضمان الفتح فى عقدتها شرطا
 سنايكها أبقت مثلا بها خطا
 فيعتاض من قبض الزمان بها بسطا
 زمام يقود الروم والفرس والقبطا
 يحوط جهات الارض من رعيه حوطا
 وروثق منظرى بهر الجفوننا

وقد حسنت بقوسى واستطارت
وأطلع سلكى الأعلى نجوما
وجوى من دخان الند ألقى
علوت دوائر الافلاك سبعا
فصغت من الالهة والحنايا
تكفنى حياض مائحات
يقيد حسننها الطرف انفسا
تدافع نهرها نحوى فلما
وقد نشر الجباب على سماها
فخرت وحق لى لما اجتبانى
هو المنصور حائر خصل سبق
وليث وغى اذا زأر امتاعا
اذا أمت كتابه الاعدادى
يدبر عليهم من كل حرب
امام بالمقارب لاح شمسنا
بقيت بنى القصور الفر بسدرا
تحف بكم عواكف عند باهى
لك البشرى أمير المؤمنين اد
وقال أيضا مما كتب فى بهوها بمزمر أسود فى أبيض :

لله بهو عز مه نظير
رصفت نقوش حلاه رصف قلائد
فكانها والتبر سال خلالتها
وكان أرض قراره دياجحة
وإذا تصاعد نده نوا ففى
شاو القصور قصورها عن وصفه
فاذا أجلت اللحظ فى جنباته
لما غدا كالروض وهو نظير
قد نغدتها فى النحور الحور
وشى وفضة تربها كافور
قد زان حسن طرازها تشجير
أنماطه نور به ممطر
سيان فيه خورنق وسدير
يرتد وهو بحسنه محسور

وكان موج البركين أمامه
صفت بصفقتها تماثل فضة
فتدير من صفو الزلال معللا
ما بين آساد يهيج زئيرها
ودحت من الانهار أرض زجاجة
راقت فغن حصائها وفواقع
ياحسنه من مصنع بهـاؤه
وكانما زهر الرياض بجنبه
ولدته الاسمى تخير رصفه
ملك أناف على الفرافد رتبة
قطب للخلافة تاج مفرق دولة
وجرى الى أقصى العراق لرعبها
نجل النبي ابن الوصى سليل من
بحر الندى لكنه متموج
طود يخف لحلمه ووقاره
دامت معاليه ودام ومجده
وتعاهدته من الفتوح بشائره
ما زال منزل سعده يرتاده
وجرت به مرحا جياذ مسرة

حركات سحب صافحته دبور
ملك النفوس بحسنها تصوير
يسرى الى الارواح مه سرور
وأساود يعلو لهن صفير
وأضلها فلك يضيء منير
يطفون عليها اللؤلؤ للثبور
باهى نجوم الأفق وهى تنور
حيث التفت كواكب وبسودور
فخر الورى وامامها المنصور
وأقله فوق السماك سريـر
رمت بجحفلها اللهام الكسور
جشيت على جسر الفرات عبور
حقن الدماء وغف وهو قدير
سيف العلا لكنه مطـرور
ولجيشه يوم النزال ثبير
طوق على جيد العلا مزورور
يغدو عليه بها مسا وبكـور
نصر يرف لواؤه النشور
وأدار كأس الانس فيه سـير

وقال بعض الكتاب مما نقش فى عضادتي باب القبة الحسينية المذكورة
يا ناظرا بالله قف وتأمل وانظر الى الحسن البديع الاكمل
والا نظرت الى الحقيقة فلنقل السر فى السكان لا فى المنزل

وقال بعض الكتاب ايضا مما طرزت به الاستار المذهبة المحكمة الصنعة
لتستر بها النواحي الاربع من القبة الحسينية وتسمى هذه الاستار عند أهل
المغرب بالحائطى فى الجهة الاولى :

وأدر على حسنى حنيا الكناس
لم تغذى بالعارض البجاس
ملى وان يجرى على مقياسى
تاوى الى كفى ظباء كناس

تررى بفصن البانة الميــــــــاس
ونظرت من شزر الى الكناس
فخرا بمخترعى أبى العباس
بفتى سواء مراتب وكــــــــراس

ورماهم بالذل والاتــــــــاس
ليث الحروب مسعر الاوطاس
قطب الجمال أخو الندى والباس
منه الوهاد بعاطر الانفاس

يعشى سناه نواظر الجلاــــــــس
أبهى من الأعياد والاعراس
ويقسم مبناه على الاساس
دور الندى فى جيده الميــــــــاس

وقال ابو فارس الفشتالى مما كتب على المصرية المطللة على الرياض المرتفعه
على القبة الخضراء من بديع المنصور ، وكان انشأها فى جمدى الاولى من
سنة خمس وتسعين وتسعمائة :

وأرض التديم أهله وشموسا
تلق الفراقد فى حماى جلوسا
لا ترتضى غير النجوم جليسا
منى على بسط الرياض عروسا

متع جفونك فى بديع لبــــــــسى
هذى الربا والروض من جرعائها
انى لروض أن يروق بهأؤه
فالروض تغشاه السوام وانما
وفى الجهة الثانية :

من كل حسنا كالقضب اذا انشئ
ولقد نشرت على السماك ذوائبى
وجررت ذيل بالمجرة عابثا
ما نيط مثلى فى القباب ولا ازدهت
وفى الجهة الثالثة :

ملك تقاصرت الملوك لعززه
غيث المواهب بحر كل فضيلة
فرد المحاسن والمفاخر كلها
ملك اذا وأقى البلاد تأرجت
وفى الجهة الرابعة :

واذا تطلع بـدـره من هالة
أيامه غرر تجلت كلها
لا زال للمجد السنى يشده
ما مال بالغصن النسيم وكللت

وقال ابو فارس الفشتالى مما كتب على المصرية المطللة على الرياض المرتفعه
على القبة الخضراء من بديع المنصور ، وكان انشأها فى جمدى الاولى من
سنة خمس وتسعين وتسعمائة :

باكر لدى من السرور كؤسا
واعرج على غرقى المنيف سماؤها
واذا طلعت بأوجها قمر العلا
شرق القصور بريقها لما اجتلت

واعترضت بالمنصور أحمد ضيفما وردا تخير من بديعي خيسا
ملك أرى كل الملوك ممالكسا لعلاء والدنيا عليه حيسا
وهناك يا شرف الخلافة دولة تلقى برايتها طلائع عيسا
وقال أيضا مما كتب في بعض المباني البديعية :

معاني الحسن تظهر في المغاسي ظهور السحر في حديق الحسان
مشابه في صفات الحسن أضحت تمت بها المغاني للغواني
بكل عمود صبح من لجين تكون في استقامة خطوط بان
مفصلة القدود مثلثات مواصلة العناق من البدان
تردت سايرى الحسن يزرى بحسن السايرى الخسروانى
وتعطلو الخيزرانة من حماها بسالفه القطيع البرهمانى
لمجدهك تنتمى لكن نماها الى صنعاء ما صنع اليدان
يدين لك ابن ذى وزن ويعنو لها غمدان فى أرض اليمانى
غدت حرما ولكن حل فيها لو فكم الامان مع الامانى
مبان بالخلافة آهلات بها يتلو الهدى السبع المائى
هى الدنيا وساكنها امام لاهل الارض من قاص وداسى
قصود مالها في الارض شبه وما في المجد للمنصور ثانى
وقال مما نقش في بعض الابواب :

هذى وفود السعد نحوى ترتسى وطلائع البشرى لبابى تنتمى
وسمت الى عفاة عرفك مثل ملر يسمو الحجيج الى سقاية زمزم
حطت بمصرعى السعود بشائرا لاحت على الشرفات مثل الانجم
وأوان صنعى أن تقول ولا تبسل بديع أحمد جنة المتعم
وقال الفشتالى ١١ عرضت عليه هذه الايات استحسناها الا أنه كره لفظة
جنة وتغير منها كبيرا ، وقال الوزير الاديب أبو الحسن على بن منصور
الشبلى مما كتب على مباح قبة الزجاج :

ان شئت تاريخ اكمال البديع فقل ابوان أحمد ابوان السعادات

وقال الوزير المذكور مما نقش على أحد ابواب البديع :

باب أنى كبراعة استهلال وكانما اقصر القصيد التالى
ولذاك سعى بالبديع وجاء بال اغراق والتجنيس والايفال
وأنى التمام نقلت فى تاريخه بيتا بلا عقد ولا اشكال
صرح على تقوى من الله انبنى فى طالع للسعد والاقبال
وقال أيضا فى تمام البديع مهنتا :

يا مليكا ملكه عمن ملك كطلوع الفجر من بعد الحلك
تم هذا القصر فاسكنه على حسن حال بدوام الملك لسك
وكان الفراغ من تمام البديع سنة اثنتين وأنف ، وفى تاريخه يقول
الوزير المذكور وهو مما نقش باب الرخام أحد أبواب البديع :

الحسن لفظ وهذا القصر معناه ياما أميلج مرآه وأبهاه
فهو البديع الذى رافت بدائمه وطابق اسم له فيه مسماه
صرح أقيمت على التقوى قواعده ودل منه على التاريخ معناه
ولاح أيضا وعين الحفظ تكلاه تاريخه من تمام قل هو الله

قال فى نفح الطيب : « اخترع المنصور من المصانع ثلاثة أشياء فجاءت
غريبة الشكل بدعة الحسن ، وهى : البديع ، والمسرة ، والمشتهى ؟ وفيهما
يقول المنصور موريا :

بستان حسنك أبدعت زهراته ولكم نهيت القلب عنه فما انتهسى
وقوام غصنك بالمسرة ينتهسى يا حسن رمان به للمشتهى « اه

قال اليفرنى : والذى ذكره صاحب كتاب البيان المغرب عن أخبار
المغرب ، وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عذارى الاندلسى حسبما رأيته
فى السفر الثانى منه : « أن أول من أنشأ المسرة التى بظاهر جنان الصالحية
عبد المؤمن بن على كبير الموحدين » قال : « وهو بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه
قريب منها فيه كل فاكهة تشتهى وجلب اليه الماء من أغصان واستنبط له عيوننا
كثيرة » .

قال ابن اليسع : « وما خرجت أنا من مراكنش فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة الا وهذا البستان الذى غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنة على رخص الفاكهة بمراكش » اه ولعل المنصور جدد معالم المسرة بعد اندراسها ، وأفاض سجال الحياة على ميت غراسها ، وكان المنصور يفتخر بالبديع كثيرا وينوه بقدره ، وفى ذلك يقول أبو فارس الفشتالى :

هذا البديع يعز شبه بدائع أبدعتن به فجاء غريبا
أضى الغزاة حسنه حسدا له أبدى عليها للإصيل شجوبا
وانقضت الزهر المنيرة اذ رأته زهر الرياض به ينور عجبا
شيدتهن مصانعا وصنائعها أنجزن وعدك للعلل المرقوبا
وجريت فى كل الفخار لفاية أدركتهن وما مست لغوبا
فانعم بملكك دام فيه مؤبدا تجنى به نئن النعم رطوبا

ولما أكمل المنصور البديع وفرغ من تعميق برده وتطريز جلته صنع مهرجانا عظيما ودعا الاعيان والاكابر فقدم لهم من ضروب الاطعمة وصنوف الموائد ، وأفرغ عليهم من العطايا ومنحهم من الجوائز ما لم يعهد منه قبل ذلك ، وكان ممن دخل فى غمار الناس رجل من الهاليل ممن كانت له شهرة بالصلاح فى الوقت فقال له المنصور مباسطاً : « كيف رأيت دارنا هذه يا فلان ؟ » فقال له : « اذا هدمت كانت كدبة كبيرة من التراب ، فوجم لها المنصور وتطير منها . وتحكى هذه الحكاية عن غير المنصور فالله أعلم .

قال اليفرنى : وقد ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر المولى اسمعيل ابن الشريف فانه أمر بهدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف لموجب يطول شرحه فهدمت معالمه ومحيت مراسمه ، وفرق ما كان به من جموع الانس ، وعاد حصيداً كان لم يغن بالامس ، حتى صار مرعى للكلاب والمواشى ووكرا للصدى واليوم ، وحق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا الا وضعه ، ومن العجائب أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب الا ودخله شئ من أنقاض البديع ، ولقد تذكرت بهذا ما حكاه بعض مؤرخى الاندلس : أن الزاهرة التى بناها المنصور بن أبى عامر ، وهى من عجائب الدنيا ، مر عليها فى أيام المنصور بمض أهل البوائر وهى فى نهاية

العمران والازدهاء بسكانها ، فقال : « يادار فيك من كل دار فجعل الله منك
في كل دار » قال : « فضرِب الدهر ضرباته وسلط عليها أيدي العدوان فهدمت
وخربت وتفرقت محاسنها حتى نقل بعض أنقاضها الى العراق .

قال اليفرنى : ولما دخلت البديع مقفلى من الرحلة ورأيت ما هائلى
أنشدت أبياتا أنشدها الشيخ محبى الدين بن عربى فى كتاب المسامرة لما دخل
الزاهرة فوجدها متهدمة وهى :

ديار باكتاف الملاعب تلمع وما أن بها من ساكن فهى بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب فتصمت أجانبا وحينا ترجع
فيخاطبت منها طائرا متفردا له شجن فى القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكى فقال على دهر مضى ليس يرجع
وأنشدت ما أنشده ابن الأبار فى تحفة القادم :

قلت يوما لدار قوم تفانوا أين سكانك الكرام علينا
فأجابت هنا أقاموا قليلا ثم ساروا ولست أعلم أيننا
ثم قال اليفرنى رحمه الله :

لطيفة : تأملت لفظ البديع فوجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة
وسبعة عشر ، وهذا القدر هو الذى بقى فيه البديع قائما ، فانه فرغ منه سنة
اثنين وألف ، وشرع فى هدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف ، فمدة عمره
مائة وسبع عشرة سنة على عدد اسمه وذلك من غريب الاتفاق فسبحان من
دقت حكمته ، وجلت قدرته ، وعمت رحمته ، لا اله الا هو الحكيم العليم .

ثورة الناصر بن السلطان الغالب بالله ببلاد الريف ومقتله



كان الناصر هذا فى حياة أبيه عبد الله الغالب بالله خليفته على تسادلا ونواحيها ، ولما توفى أبوه المذكور وقام بالامر أخوه المتوكل كما استوفينا خبره قبض على الناصر فاعتقله فلم يزل معتقلا عنده سائر أيامه الى أن قدم المعتصم بجيش الترك ولتزع الملك من يد المتوكل كما مر: فسرّح الناصر من اعتقاله وأحسن اليه ، فلم يزل عنده فى ارغد عيش الى أن توفى المعتصم يوم وادى المخازن . وأنضى الامر الى المنصور ففر الناصر الى آصيلا ، وكانت للنصارى يومئذ ، ثم عبر البحر منها الى الاندلس فكان عند طائفة قشتالة مدة طويلة الى ان سرّح الطائفة الى المغرب بقصد تفريق كلمة المسلمين واحداث الشقاق بينهم ، فخرج الناصر بمليية ونزل بها لثلاث مضت من سحان سنة ثلاث وألف ، وتسامعت به النوغاء والطنام من أهل تلك البلاد فأقبلوا اليه يزفون ، فكرت جموعه وتوفرت جيوشه واهتز المغرب بأسره لذلك .

وذكر البفرنى فى « الصفوة » : « أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن قاسم القصار كتب كتابا الى الشيخ الصالح أبى عبد الله محمد بن على بن ريسون من أهل بلاد غمارة وكان مسموع الكلمة بها يحضنه على الاستمسك بدعوة المنصور وأن يلزم الطائفة له ، فوقع الكتاب فى يد المنصور فعرف للشيخ القصار حقه ، ولما وفد عليه بعد ذلك وصله وولاه الفتوى والخطبة بجامع القرويين وتفرقة صدقة المساكين . »

ثم ان الناصر خرج من مليية قاصدا تازا فدخلها واستولى عليها ونزعت اليه القبائل المجاورة لها كالبرانس وغيرهم ، فتألبوا عليه وتماثلوا على اعزازه ونصره ، ولما دخل تازا طالب أهلها بالمكس وقال لهم : « ان النصارى يغرمون حتى على البيض . » ولما سمع المنصور بخبره أقلق ذلك وتخوف منه غاية لان الناصر اهتز المغرب لقبامه وتشوقت النفوس اليه لميل القلوب عن المنصور لشدة وطائه واعتسافه للرعية ،

قال فى « ابتهاج القلوب » فى ترجمة الولي الصالح أبى الحسن على بن منصور البوزيدى المعروف بابى الشكاوى دفين شالة : « انه كان سائرا يوما على بفاة ومعه أصحابه فقال لهم : « يافقراء أستمعون ما تقول بغلتى ؟ انها تصيح بالنصر لمولاي الناصر وكذلك الشجر والحجر وانى أرى غير ذلك » فكان الامر كما قال ؟ اهتز لقيام الناصر كل شىء ثم قتل عن قريب ولم يتم له أمر ، اه ثم ان المنصور بعث اليه جيشا وافرا فهزمهم الناصر واستفحل أمره وتمكن ناموسه من القلوب ، فأمر المنصور ولى عهده المأمون بمنازلته فخرج اليه من فاس فى نعية حسنة وهيئة تامة فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على الناصر بالموضع المعروف بالحاجب ، ومر على وجهه فاحتل بالجاية ، بلدة من عمل بلاد الزبيب ، فليحق به ولى العهد فلم يزل فى مقاتلته الى أن قبض عليه فأزال رأسه وبعث به الى مراكش . وكان ذلك سنة خمس وألف ، وقيل سنة أربع وألف . قال فى « نشر المائى » : « كان مقتل الناصر وادخاله مقطوع الرأس الى فاس يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان سنة أربع وألف وهو الاصح » وذكر الشيخ أبو على اليوسى فى « المحاضرات » ما نصه : « حدثوا عن صلحاء تادلا : أنه ! قام على السلطان أحمد المنصور ابن أخيه الناصر قال الشيخ أبو العباس أحمد بن أبى القاسم الصومعى : « ان الناصر يدخل تادلا » يعنى دخول الملك فلما بلغ الخبر الى الشيخ أبى عبد الله محمد الشرقى التادلى قال : « مسكين بابا أحمد رأى رأس الناصر قد دخل تادلا فظنه الناصر يدخلها » فكان الامر كذلك فانه هزم فى نواحى تازا ثم قطع رأسه وحمل الى مراكش فدخل تادلا فى طريقه » اه .

ولما قتل الناصر سر المنصور بذلك وأتته الوفود للتهنئة وقال الشعراء فى ذلك منهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عمر الشاوى قال :

تهدأ أمير المؤمنين فقد جسر	بسطوتك الأقدار جرى السوابق
أضادت لك الايام واحلوك على	عدوك وارتجت رؤوس الشوايق
وذاك الذى قد خيب الله معده	تردى فلم تنفعه نصره مسارق
فكان كما قد قيل لكن رأسه	أنى سابقا والرجل ليست بسابق

ضمن قول بعضهم فى الوزير ابن الفرس وقد رآه مصلوبا منكوس الرأس :
لقد طمح المهر الجموح لغاية تقطع أغصان الجياد السوايق
جرى فجرت رجلاه لكن رأسه أمتى سابقا والرجل ليست بسابق
وكب المنصور يخبر هذا الفتح الى الاتفاق .

فمما كتبه للشيخين الامامين أبى عبد الله محمد زين العابدين البكرى ،
وأبى عبد الله محمد بدر الدين القرافى رسالة يقول فيها ما نصه :

ومن عبد ربه المجاهد فى سبيله أحمد المنصور بالله أمير المؤمنين الحسنى ،
الى الفاضل الذى اعتجر بالتقوى وهو زين العابدين ، وتحلى بحلى المعارف الربانية
وتلك حلى العارفين ، والسالك الذى برز فى الطريقة ، وسلك على المجاز الواضح
الى الحقيقة ففات شأو السابقين ، والعارف الذى تجرد عن رعونة الاهواء
الفسانية ، فكان سلوكه على التجريد الى حضرة الواصلين الشيخ العالم الحجة
الوافى ، السيد بدر الدين القرافى ، والشيخ العارف الواصل ، السر الكامل ،
سلالة العلماء ، سبط الفضلاء ؛ أبى عبد الله زين العابدين بن الشيخ السامى
المقام ، قطب المشايخ الاعلام ، فخر علماء الاسلام ، الشهير البركة فى الانام ؛
أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن الصديقى ، أبقاكم الله وأرواحكمما تنظر
برياحين الانس فى حضرة القدس ، وتنسم الفحات الهابة من رياض المشاهدة
الى مدارج الانس ومعارج النفس ، وسلام عليكما ورحمة الله تعالى وبركاته .
وبعد حمد الله مفيض انوار غناية احمد على صاحبه الصديق ، مظهر
كنوز المعارف الربانية جيلا بعد جيل من بيت عتيق ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الذى اختار لمرافقته صاحبه فى الغار والعريش والطريق ،
والرضا عن آله أئمة الخلق وسيوف الحق ، وأصحابه الذين فاض أنوار هدايتهم
على الغرب والشرق وبركهم انتسق لنا الفتح انتساق الاسلاك وبفضلهم يعلم
سعدنا على الكفر علو القطب على دائرة الافلاك ، فكتبنا هذا اليكم من حضرتنا
مراكش حاطها الله ، وصنع الله لها مفعم السجبال وواسع المجال ، وعزمتها الماضية
تبعت الى العدا رسل الاوجال ، والايام بعز صولتها ويمعن دولتها بهذه المغارب
باسمة الثغور ، مؤذنة باتصال أمرها العزيز بحول الله الى أن تطوى ملاءة الدهر ،

هذا وأنه اتصل بعلى مقامنا كتابكما الذى صدحت على أفنان البلاغة سواجعه ،
وعذبت فى موارد المحبة الصديقية مناهله ومشارعه ، ولطفت فى كل معنى من
المنعائى أفانيه ومنازعه ، وتألفت على الاجادة فى كل مقعد من المقادمواصله
العذبة ومقاطعها ، وأينعت بأزهار العناية الربانية لأباطحها الفصح وأجارعه ، ومعه
المنظومات التى سحت بالحكم ديمها ، ورسا فى البلاغة قدمها ، وربا فى منبت المواهب
الربانية يراعها الفصيح وقلمها ، وحل من نفوسنا موقعها العجيب محلا من دونه
التريا فى مطلعها ، والبدر ليلة تمامه اعجابا بها وتنويعا بمهديها ، وابتهاجا
بالخوارق التى أطلق الله على لسان مبدىها ، والى هذا فليحط علمكما بان
مقامنا تنفق فيه على الدوام ان شاء الله نفائس بضائعكم ، وتنمو فيه مع الايام
سعود مطالعكم ، وتسمو فيه على كل مقام مقاماتكم ، وتستوضح فيه على المحبة
الصميمية لاماراتكم الواضحة وعلاماتكم ، فعلى هذا تتعقد منكم الخناصر ، وتشتد
الواخي والاواصر ، بجز الله ومنه ، ثم مما نستطرد لكم ذكره على جهة
البشرى ، واهداء المسرة الكبرى ، اعلامكم أن عدو الدين طاغية قشتالة الذى
هو اليوم العدو الكبير للاسلام ، وعميد ملل التلث وعبد الاصنام ، لما أنس من
تلقاء جنابنا نار العزم تلهب منا النهاب ، ويحر الاحتفال تضطرب أمواجه الزاخرة
بكل عدد وعدة اضطرابا ، وهمنا قد همت بتجديد الاسطول ، والاستكثار من
المراكب المتكفلة للجهاد ان شاء الله بقضاء كل دين معطول ، وعلم أن الحديث
اياه يساق ، والى أرضه بالحسف والتدمير بحول الله يهفو كل لواء خفاق ،
رام خذله الله مكافاتا على ذلك بما أمل أن يفت به فى عضدنا الاقوى ، وعزمنا
الذى بغاية الله يزدد ويقوى ، فرمى بمخذول من أبناء أختنا عبد الله كان
ربى لديه ، وطوحت به الطوائج منذ ثمانية عشر عاما اليه ، الى مليية احدى
التغور المصابقة لغرب ممالكنا الشريفة اتى الى كفالة ولدنا وولى عهدنا كافل
الامة من بعدنا ، الامير الاجل الارضى ، صارم العزم المنتضى ، وحسام الدين
الامضى ، أبى عبد الله محمد الشيخ المأمون بالله ، وصل الله لرايته التأيد
والظهور ، والزم الذى يستخدم الايام والدهور ، فالتف عليه من اغتر بأباطيله
الواهيبة البناء ، من أوباش العامة والفوغاء ، ومن قضى له من أجناد تلك

الناحية بالشقاء ، جموع تكاثر الرمل ، وفوت الحشا والنمل ، لاح بها للشقى
خلب بارق أكذبه أمنيته ، اذ صدقته منيته ، فصم نحوه ولدنا أعزه الله
بجنود الله التى اليه ، وبساكر تلك الممالك التى ألقينا زمام تدبيرها فى
يديه ، فما راع الشقى الا انقضاضه عليه من الجو انقضاض الاجدل ، وتصميمه اليه
بعزائم تدك الطود وتفلق الصخر والجنبدل ، فاستولى عليه بحمد الله للحين ،
وعلى جموعه الاشقياء فى يوم أغرم حجل ، وساعة أنزل الله فيها على الخوارج
المارقين العذاب المعجل ، فاستأصلتهم الشفار ، وحصدت هشيمهم المصوح
ألسنه النار ، وقبض على الشقى فى يوم كان شفاء للصدور ، ومنتزها لحملة
السيف وربات الخدور ، وأحرز الله تعالى فخر هذا الفتح العظيم ، والمن
الجسيم ، لولدنا أعزه الله عز وجل فى خاصة أجناده ، ونهض وحده بأعبائه
ونحن على سرير ملكنا وادعون مطمئنون ، وأجنادنا فى اوطارنا لاهون
ومقتنون ، فلم يحتج إلى اسجاده من قبلنا ولا امداده ، والعاقبة للمقيمين ،
والحمد لله حمد الشاكرين ، وعرفناكم لتأخذوا بحظكم من السرور بهذه
البشرى التى سرت الاسلام ، وساءت بحمد الله عبدة الاوثان والاصنام ،
وتعلموا مع ذلك ما عليه الاحوال اليوم بحول الله لدينا من خفق رايات العزم
وشحذ آراء الحزم ، وأعمال عوامل الجزم الى مجازاة عدو الدين ان شاء الله
على فعلته التى عادت عليه أسفا ولهفا ، واعادة ما كان أسلف من ذلك ان شاء
الله بالكيال الاوفى ، وقدمنا اليكم التعريف لتمدونا ان شاء الله بأدعيتكم
الصالحة فى أوقات الاجابة ، وتحرصوا على التماسها هنالك وبالحرمين
الشرفيين من كل ذى خضوع وانابة ، أن يؤيدنا الله على عدو الدين بفضلته ،
وينجز لنا وعده الصادق فى اظهار دين الحق على الدين كله ، ويسهل علينا
بفضلته ومعوته أسباب فتح الاندلس ، وتجديد رسوم الايمان بها واحياء اطلاله
الدرس ، حتى ينطق لسان الدين فى أرضها بكلمة الله التى طالما سكنت عنها
نداؤه وخرس ، وشرق بريقه ففص وخنس ، فبيده الحول والقوة ، وعنايته
العناية المرجوة ، ثم نوصيكم بحسن الوقوف مع أصحابنا فيما يشتري من الكتب
العلمية برسم خزانتنا الكريمة بالإمامية العلية ، ثم الاتحاف بذيوان الشيخ

والدكم التماسا لجليل بركاته ، وتمسكا بما سبق من الاجازة العامة فى سائر منظوماته وموضوعاته ومروياته ، وهذا موجب اليكم ، والسلام الاتم معاد عليكم ورحمة الله وبركاته ، فى ربيع البوى سنة خمس وألف ، اهـ . وهذه الرسالة من املاء المنصور على ما قيل .

ومما كتب به أيضا بخط يده الى سلطان مكة والمدينة والحجاز الشريف أبى المحاسن حسن بن أبى ندى بن بركات ما نصه :

من عبد الله المجاهد فى سبيله الامام المنصور بالله أحمد أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسنى الى الاصلة التى تبججت من ذؤابة هاشم فى صميمها ، وتوغلت من غرفات حرمة الله بين زمزمها وحطيمها ، وتمتعت من عرارة نجد باتشاق نفحاتها الاربعة وشميمها ، اصالة السلطان الايل الاثير الاسنى الاسمى الازكى السلطان حسن بن أبى ندى أبقاكم الله واليت ذو الاستار تقيأون ظلاله ، وتلثمون من الحجر الاسود الاسعد خاله ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى أعز هذه المثابة العلوية ، الامامية النبوية ، العزيزة الانصار ، السامية المحدث والتجار ، الساجدة أذيال عزها الوريث الظلال على أهل البيت السامى المقدار ، سكان الحمى والذين تسبواوا الدار ، والصلاة والسلام على مولانا محمد الذى أطلع شمس الهداية الساطعة الانوار والرضا عن آله الذين تضائل لمجدهم السامى المنار الشموس والاقمار ، وعن أصحابه الذين استأصلوا شأفة الكفر بمواضى الشفار وصلة الدعاء لهذا المقام العلى الامامى المصورى الحسنى بصرتجنى الفتوح من قصب رماحه، وتجرى الاقدار على وفق اقتراحه ، فكتابنا هذا اليكم من حضرة مراکش حاطها الله ووسع لها المجال فى ميادين السجال والايام بعز صولتها ويعمن دولتها بهذه المغارب باسمه الثغور ، مؤذنة باتصال أمرها العزيز بحول الله الى أن تطوى ملاءة الدهور ، بعز الله وعنايته . هذا وان شيخ الركب المغربى وهو المرباط الخير الحاج محمد بن عبد القادر لما أزمع الى المعاهد الشريفة الرحيل لتجديد رسم الطاعة الذى ليس بعاف ولا محيل ، وهب له من محارم الله نسيم يميل ،

وآن للمطايا أن تعمل الوخذ والذميل ، مد الى على مقامنا أكث الرغبة فى كتاب كريم يتشرف بحمله ، ويتعرف منه السعادة بحول الله فى مرتحلة وحله ، يتضمن الايصاء به اليكم فى المورد والمصدر ، ومدة مقامه من جواركم بحرم الله تجاه البيت والمشرع ، فحملناه هذه العجالة لترعوا له ان شاء الله عنهما الحق المعتبر ، وتولوه من جانبكم بما يصدق به الخير ، وتدنا له من آماله قطوف كل فن مهتصر ، ومما نكلفكم النهوض لاجل حقوق الاخوة باعائه ونطالبكم لوشائج الرحم بالاعتناء بأدائه التماس الدعاء مع الاحيان تجاه البيت الحرام وعند الملتزم والمقام ان يؤيدنا الله على عدو الدين بفضله ، وينجز لنا وعده الصادق فى اظهار دينه على الدين كله ويسهل علينا بفضله ومعوته أسباب فتح الاندلس ، وتجديد رسوم الايمان بها واحياء اطلاله الدرس ، حتى ينطق لسان الدين فيها بكلمات الله التى طالما سكت عنها نداؤه وخرس ، وشرق بريقه ففص وخنس ، فذلك دعاء لا يرد لانه جرى من أهله فى محله ومعاد السلام الاتم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى .

وقوله حتى ينطق لسان الدين فيه تورية بابن الخطيب رحمه الله .



ذكر احتفال المنصور بالمولد الكريم واعتنائه بسائر الاعياد



قال الفشتالى : « كان ترتيب المنصور فى الاحتفال بالمولد النبوى الكريم أنه اذا طلعت طلّامش شهر ربيع الاول صرف الرقاع الى الفقراء ارباب الذكر على رسم الصوفية والمؤذنين النعارين فى الاسحار فيأتون من كل جهة ويحشرون من سائر حواضر المغرب ، ثم يأمر الشماعين بتطريز الشموع واقتان صنعها فيتبارى فى ذلك مهرة الشماعين من كل ما يبارى التحل فى نسج أشكالها لطفا ولادماجا فيصوغون أنواعا من النشمع التى تحير النواظر ولا تذبل زهورها النواضر فاذا كان ليلة المولد تهيأ لحملها وزفاف كواعبها الصحافون المحترفون بحمل خدور العرائس عند الزفاف فيتزينون لذلك ويكونون فى أجمل شارة

وأحسن منظر ويجتمع الناس من أطراف المدينة كلها لرؤيتها، فيمكنون الى حين
 يكن حر الظهيرة وتجنح الشمس المغرب فيخرجون بها على رؤوسهم كالعذارى
 يرفلن في حلل الحسن ، وهى عدد كبير كالنحل ، فيتسابق الناس لرؤيتها
 وتمتد لها الاعناق ، وتبرز ذوات الخدود وتبعتها الأبطال والابواق ، وأصحاب
 المعازف والملاهي حتى تستوى على منصات معدة لها بالايوان الشريف فتصطف
 هنالك فاذا طلع الفجر خرج السلطان فصلى بالناس وقعد على أريكته وعليه حلة
 البياض شعار الدولة ، وأمامه تلك الشموع المختلفة الالوان من بيض كالدمى
 وحمرة جلوت في ملابس أرجوان وخضر سندسية واستحضر من أنواع الحسك
 والمباخر ما يلهي المحزون ويدهش الناظر ، ثم دخل الناس أفواجا على طبقتهم
 فاذا استقر بهم المجلس تقدم الواعظ فسرده جملة من فضائل النبي صلى الله عليه
 وسلم ومعجزاته وذكر مولده ورضاعه وما وقع في ذلك باختصار ، فاذا فرغ
 اندفع القوم في الاشعار المولديات ، فاذا فرغوا تقدم أهل الذكر المزمعون
 بكلام الشترى وأشعار الصوفية ، ويتخلل ذلك نوبة المنشدين للبتين ، فاذا
 فرغوا من ذلك كله قام شعراء الدولة ، فيتقدم قاضى الجماعة الشاطبى بلبل
 منابر الجمع والاعباد فينشده قصيدة يفتتحها بالتغزل والنسيب ، فاذا تم تخلص
 مدح النبي صلى الله عليه وسلم ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له ولولى عهده ،
 فاذا قضى تشيده تقدم الامام المفتى المولى أبو مالك عبد الواحد الشريف فينشده
 قصيدته على ذلك النوال ، فاذا فرغ تلاه الوزير أبو الحسن على بن منصور
 الشيعي ، ثم تلاه الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالى ، ويليه الكاتب محمد
 ابن على الفشتالى ، ويليه الاديب محمد بن على الهوزالى النابغة ، ويليه الاديب
 الفقيه أبو الحسن على بن أحمد المسفيوى ، فاذا طوى بساط القوائد نشر
 خوان الاطعمة والموائد فيبدأ بالاعيان على مراتبهم ثم يؤذن للمساكين فيدخلون
 جملة فاذا انقضت أيام المولد الشريف برزت صلات الشعراء على أقدارهم ،
 هكذا كان دأبه في جميع الموالد ، ولا يحصى ما يفرغ فيه من انواع الاحسان
 على الناس ، اه من كتاب « مناهل الصفاء » .
 وقال صاحب « النفحة المسكية » « في السفارة التركية : وهو العلامة

المشارك أبو الحسن على بن محمد التامجروتى : « حضرت المولد الشريف بعد القفول من بلاد الترك فاستدعى المنصور الناس لايوانه السعيد، واستدخلهم لقصره البديع المشيد . المحتوى على قباب متقابلة عالية وقد مد فيها من فرش الحرير ، وصنت النمازق وتدلت الاستار والكلل والحجبال المخوطة بالذهب . على كل باب قبة وحنية سرير ، ودار على الجيطان حائطيات الحرير التى هى كآزهار الخمائيل مارثيت قط فى عهد الاولئ ، وتلك القباب مرفوعة الجوانب، على قواعد وأساطين من رخام مجزع مطلية الرأس بالذهب الذائب ، مفروش جلها بالمرمر الابيض مخططا بالسواد يتخلل ذلك ماء عذب ، فيدخل الناس على طبقاتهم وياخذ كل مرتبه من قضاة وعلساء ووزراء وقسود وكتاب وأصناف الاجناد ، فيخيل لكل منهم أنه فى جنه النعيم ، والسلطان جالس فى فاخر ملابسه تعلوه الهيبة والوقار ، وترمقه الابصار بالتعظيم والاكبار، ويجلس من عادته الجلوس ويقف على رأس السلطان الوصفان والعلوج وعليهم الاقيه المخوطة والمناطق المرصعة والحزم المذهبة مما يدهش الناظر ، وركز أمامهم السمع الملون وأذن لعامة الناس فدخلوا من أصناف القبائل على أجناسها من الاجناد والطلبة ، وسكنت بعد حين الجلبة وأوتى بأنواع الطعام فى القصاع المالقيه والبلنسية المذهبة والاونى التركية والهنديّة، وأوتى بالطسوس والابارق وصب الماء على ايدى الناس ، ونعبت مباخر العنبر والعود وأبرزت صحائف الفضة والذهب واغصان الريحان الغض فرش بها البساط ورش من ماء الورد والزهر، وأنشدوا قصائد وتكلم المنشدون وأحسن اليهم السلطان ثم ختموا المجلس بالدعاء للامير . واذا كان يوم السابع يكون ترتيب أبداع من الاول ، وهذه سيرته دائما ، اه .

وهكذا كانت سيرته فى شهر رمضان عند ختم صحيح البخارى وذلك أنه كان اذا دخل رمضان سرد القاضى وأعيان الفقهاء كل يوم سفرا من نسخة البخارى وهى عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين سفرا فى كل يوم سفرا الا يوم العيد وتاليه ، فاذا كان يوم سابع العيد ختم فيه صحيح البخارى وتهيا له السلطان أحسن تهيا ، الا أن العادة الجارية عندهم فى ذلك أن القاضى

يتولى السرد بنفسه فيسرد نحو الورقتين من أول السفر ، ويتفاوض مع الحاضرين فى المسائل ، ويلقى من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له ولا يزالون فى المذاكرة فإذا تعالى النهار ختم المجلس ، وذهب القاضى بالسفر فيكملة سردا فى بيته ، ومن الغد يتبدى سفره آخر ، وهكذا والسلطان فى جميع ذلك جانس قريب من حاشية الحلقة قد عين لجلوسه موضع .
قال الفشتالى : * وكان المنصور يعطى أموالا لذوى الحاجات عند انقضاء رمضان ، ويقيم مهرجانا يوم عاشوراء لختان أولاد الضعفاء ، وكل من ختن منهم أعطى أدرعا من كتان وحصاة من الدراهم وسهما من اللحم ، اه .
وأما ترتيب جيش المنصور وعادته فى أسفاره فسنذكرها فى الفصل بعد هذا ان شاء الله ، ولنذكر بعض القصائد المبلادية التى أشادت بمجالس المنصور حسبما تقدمت الإشارة إليه ، فمن ذلك قول القاضى أبى القاسم بن على الشاطبى رحمه الله :

ما بال طيفك لا يزور لماما	وبمنحنى الاحشا ضربت خياما
أبعش فيك عواذلى لسلوهم	وأمرت فيك صباة وغراما
وتبيح نهرك سائلا من أدمعى	أو ليس نهر السائلين حراما
ما ذقت ماء ملك فى سنة الكرى	الا انتهت فكان لى أحلاما
عرض اذا حدثت عن بان الحمى	فحديث قلبى بالاجارح هاما
أروى حديث الرقمتين مسلسلا	عن دمع باكية الغمام سجاما
وتلق من جب النسيم تحية	أضحى الهوى بردا لها وسلاما
ياجيرة العلمين دعوة شيق	للذيد عيش بالفضا لو داما
فخذوا بجرعاء الحمى قلبى فقد	ألف الإقامة بالحمى قاقاما
وخذوا بنار أهل نجاتهم	سلبوا الفؤاد وأدنفوا الاجساما
فى كل غرب دموع عيني مشرق	لكواكب فيها ائرن ظلاما
صليت بنار الشوق نم رثت الى	انسانها فى بلجة قد عامسا
وتسلسلت عبراتها شوقا لمنسن	وقفت عليه صلاتها وسلاما
خير الانام محمد الهادى السدى	أردى الضلال وجب منه ستاما

كنز العوالم سر طينة آدم
 وأجل أرسال الاله ومن به
 وتقاصرت عن فردة اعدادهم
 أصرى الى السبع الطبايق فأقبلت
 فى ليلة غصت بأمالك السما
 ياخير من بهر المعاند شأنه
 أعبى جلالك أن يحيط بوصفه
 صلى عليك الله ما زار الحيا
 ما لذتى فى مدح غير محلصا
 خير الورى وامامها المنصور من
 أضفى على الارضين ظل مهابة
 وسما على الدنيا عقاب تنوفة
 قل للملوك هبوا لملككم فدى
 هذا الذى يحيى البلاد بعدله
 هذا الذى وعد الاله بأسه
 يا مشبه المهدي فى آرائه
 أنت الذى بنى أبناء العلا
 فكانها من حولك الاشبال فى
 وأمينها المأمون غضب سمامها
 وأجل مضطلع تخيره الورى
 وجهه أحمد عهد أمة أحمد
 لا يعدون النصر سيفك انه
 خذها ينم على العبير مديحها
 وقال العلامة مفتى الحضرة أبو مالك المولى عبد الواحد بن أحمد الشريف
 الفيلى :
 أرقت وشاقتنى البروق اللوامع
 وذكرى خليط هيجتها المراسع

تراق من الاشواق فيها المدامع
اذ السلك منظوم وشعلى جامع
وأين اللوى منى وأين الاجازع
وجفن الردى عنا وحاشاك هاجع
أنازعها الشكوى بها وتنازع
وضمت هواهم بعد ذاك الاضالع
ولاح لهم برق من الغور لامع
عراص بها للوحى فاضت ينابيع
وهبت على الاشراك منها زعازع
وياخير من تننى عليه الاصابع
وأنت الذى يرجوه عاص وطائع
لاهواله كل التبيين جازع
وليس لنا والله غيرك شافع
جزاء به يشجى المناوى المخادع
أصول وآباء كرام فوارع
عوارف فى أعناقنا وصنائع
الك اشتراؤها وغيرك بائع
يخب الى نيل العلا ويسارع
لفيض الندى من راحته تدافع
أحاديث صحت ليس فيها منازع
وقاضت بحور العلوم هواهم

مرايع عفتها الرواس والسما
كان لم تكن من قبل قدما أو اهلا
تذكرنى عهد الاجازع واللوى
سجنا بها ذيل الصباة برهمة
وقفت بها بالنزل والليل دامس
أسألها عن جيرة بان حيهم
فهل قدموا نحو العقيق صدورهم
يخبر عن دار الرسول وقربها
ديار بها حل الحمى سيد السورى
عليك صلاة الله يا خير مرسل
فلولاك هذا الكون ما زال معدما
لك اللخرفى الدارين والموقف الذى
فآدمهم والكل تحت لوائكم
فجازاك رب العرش ما أنت أهله
وجازى اماما قد نمته اليكم
سميك وابن السبط حقا ومن له
قدم للعلا يا ابن الخلائف مفردا
ودام ولى العهد بعدك صارما
هو الآمن المؤمن من كل فتنة
ففيك أقول والنصوص شواهد
بكم رأس هذا القرن جدد ديننا

أشار بهذا الى ما أخرجه أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « ان الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الامة أمر دينها » .
وحله بعض الأئمة على ان المجدد من الملوك ، وقيل من العلماء ، وقيل
من الاولياء والصواب الاطلاق .

وقال الوزير القمائد أبو الحسن على بن منصور الشينظمى رحمه الله تعالى :

شوقى يزيد وعز ذلك عزائى
 ما فى الخواطر من صدى وصداء
 تلك المعاهد ساكن الحمراء
 ذات السنا والرنند والاضواء
 تدع القلوب جسومها بفضاء
 ومجيب داعى البعد بعد ندائى
 للهمز إلا فى النشادى النائى
 طوى الملا بنجينة فوداء
 سر تولج فى ضمير حجاب
 تجزى القلوع بها بريح رخاء
 وأزور بعد معاهد الزوراء
 فى ظل أحمد بفتى ومنائى
 وطته رجلا خاتم النبىاء
 بالبيض والخطبة السمراء
 لؤما وما أجلى الدجا ابن ذكاء
 أكرم بهم من سادة فضلاء
 سبط الرسالة غرة الانباء
 حاز الكمال وشرط كل علاء
 والكوكب الوقاد فى الظلماء
 حاط الهدى ويرأيه الوضاء
 كالزهر فى الاكام والاوزاء
 كالصبح يدرأ فى نجر عدا
 للسواك المنصور دون مرءاء
 بظبى نيك السادة النجباء
 وزر البرية عدة الامراء
 درج الكمال ودب للعلياء

من بعد أهل قبا وأهل كداء
 ولى الشفاء بقربهم وهم جلا
 لكنه بعد المزار فسأين من
 بانوا وهاج الشوق ذكر ربوعهم
 وشدا بهم حادى الركاب فكاد أن
 يأسد لو ان الزمان مساعدى
 لركبت حرفا كالهلال منافرا
 وخبث أحياء الفلا وطوبها
 تختاض فى جوف الظلام كأنها
 وتخال فى لجج السراب سفينة
 هل أنزلن بها المحصب من منى
 فأحط عنها الرحل ثم مخيما
 وامرغ الحدين ملتثما ترى
 محبى الهدى ماحى الضلالة وانردا
 صلى عليه الله ما نسغ السخا
 وعلى صحابته الكرام وآله
 أكرم بوارث مجده وعلائه
 خير الخلائف أحمد المنصور من
 الصارم الهندى فى معنى الهدى
 يا أيها الملك الذى بسوقه
 ذخرا لاله لك الفتوح وصانها
 لايد من فتح يروك واضمح
 وستملك الحرم الشريف وينتمى
 وترى الجهات وقد أتت متقادة
 وتقر عيننا بالخليفة مهمم
 بمحمد المأمون خير من ارتقى

فرع سيحكي أصله ولقد حكى بمقاصد قد سددت ودهاء
 وقال الكاتب أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي رحمه الله تعالى :
 هم سلبوني الصبر والصبر من شأني وهم حرموا من لذة الغمض أجفائي
 وهم أخفروا في مهجتي ذم الهوى فلم يثنهم عن سفكها حبى الجاني
 لئن أترعوا من قهوة البين أكؤسى فشوقهم أضحى سميرى وندماني
 وإن غادرتنى بالعراء حملهم ففى العيس وأسأل ربهم أية مضوا
 وهل باكروا بالسفح من جانب اللوا وهل باكروا بالسفح من جانب اللوا
 وأين استقلوا هل بهضب تهامة وأين استقلوا هل بهضب تهامة
 وهل سال فى بطن المسيل تشوقا وهل سال فى بطن المسيل تشوقا
 وإذ زجروها بالعشى فهل تئى وإذ زجروها بالعشى فهل تئى
 وهل عرسوا فى دير عبدون أم سروا وهل عرسوا فى دير عبدون أم سروا
 سروا والدجا صنع المطارف فانتنى سروا والدجا صنع المطارف فانتنى
 وأدلىج فى الاسحار بيض قباهم وأدلىج فى الاسحار بيض قباهم
 لك الله من ركب يرى الارض خطوة لك الله من ركب يرى الارض خطوة
 أرحها مطايا قد تمشى بها الهوى أرحها مطايا قد تمشى بها الهوى
 ويم بها الوادى المقدس بالحى ويم بها الوادى المقدس بالحى
 وأهد حلول الحجر منه تحية وأهد حلول الحجر منه تحية
 لقد نفتحت من شيخ يثرب نفحة لقد نفتحت من شيخ يثرب نفحة
 وقتت منها الشرق فى الغرب مسكة وقتت منها الشرق فى الغرب مسكة
 وأذكرنى نجدا وطيب عراره وأذكرنى نجدا وطيب عراره
 أحن الى تلك المعاهد انها أحن الى تلك المعاهد انها
 وأهفوا مع الاشواق للوطن الذى وأهفوا مع الاشواق للوطن الذى
 وأصبوا الى أعلام مكة شائقا وأصبوا الى أعلام مكة شائقا
 أهيل الحى دينى على الدهر زورة أهيل الحى دينى على الدهر زورة
 متى يشتفى جفنى القريح بنظرة متى يشتفى جفنى القريح بنظرة

ومن لى بأن يدنوا لقاكم تعطفوا
 سقى عهدهم بالخيف عهد تمده
 وأنعم فى شط المعيق أراكة
 وحيا ربوعا بين مروة والصفاء
 ربوعا بها تلو الملائكة العسلا
 وأول أرض باكرت عرصاتها
 وعرس فيها للنسوة موكب
 وأدى بها الروح للأمين رسالة
 هنا لك فض ختمها أشرف الورى
 محمد خير العالمين بأسرها
 ومن بشرت بالبعث من قبل كونه
 وحكمة هذا الكون لولاه ما سمت
 ولا زخرفت من جنة الخلد أربع
 ولا طلعت شمس الهدى غب دجبة
 ولا لحقت بالمذنبين شفاعة
 له معجزات أخرست كل جاحد
 له انشق قرص البدر شقين وارتوى
 وأنطلقت الأونسان نطقا تبرأت
 دعا سرحة عجا قلبت وأقبلت
 وضاعت قصور الشام من نوره الذى
 وقد بهج الانوا بدعوتيه التى
 وأن كتاب الله أعظم آية
 وعدى على شأو البليغ بيانه
 نبى الهدى من أطلع الحق أنجما
 بعزتها ذل الأكاسرة الى
 وأحرز للدين الحنيفى بالظها

ودهرى عنى دائما عطفه ثانى
 سوافج دمع من شؤونى هتان
 بأفائها ظل المنى والهوى دانى
 تحية مشتاق لها الدهر حيران
 أفانين وحى بين ذكر وقسرآن
 وطرزت البلحا سحائب ايمان
 هو البحر طام فوق هضب وغيطان
 أفادت بها البشرى مدائح عنوان
 وفخر نزار من معد بن عدنان
 وسيد أهل الارض الانس والجان
 نوامس كهان وأخبار رهبان
 سماء ولا غاضت طوافج طوفان
 تسبح فيها آدم حور وولدان
 تجه من ديجورها ليل كفران
 يذود بها عنهم زبائى نيران
 وسلت على المرتاب صارم برهان
 بماء همى من كفه كل طمان
 الى الله فيه من زخارف ميان
 تجر ذبول الزهر ما بين أنفان
 على كل أفق تازح القطر أودانى
 كست أوجه الغبراء بهجة نisan
 بها افضح المرتاب وابتأس الثانى
 فبهات منه سجع قس وسجبان
 عما نورها اسداف أفك وبهتان
 هم سلخوا تيجانها آل ساسان
 نراث الملوك الصيد من عهد يونان

فجرعه منه مجاجة نعبان
 يناغى الصدا فيهن هاتف شيطان
 ووجه الهدى بادي الصباحة للرائى
 وأكرم كل الخلق عجم وعربان
 ولو سجلت سبقا مدائح حسان
 لتسقى بمنز من أياديك هتان
 وأثقلت الاوزار كفة ميزانى
 لما فتحت أبواب عفو وغفران
 وماست على كئبانها ملد قضبان
 يفوح بمسراها شذا كل تربان
 وتلوها في الفضل صهره عثمان
 ووالى على سبطيك أوفر رضوان
 اذا أزمعت فالشحط والقرب سبان
 على جرة الاشواق فيك فلبانى
 اليك بدارا أو أفلقل كيرانى
 نواجى المهارى فى صحاصح فيعان
 اذا غرد الحادى بهن وغنائى
 خطى لى فى تلك البقاع وأوطان
 بالآك جاهها صهوة العز أمطانى
 فوجود ابيك المنصور أحد أغنائى
 وأوفى على السبع الطباق فادنائى
 أحل سيوفنا فى معاهد تيجاسى
 اذا أضرب الخطى من فوق جدران
 تضائل فى اخياسها أسد خفان
 وارزم فى مركومه رعد نيران
 أسلن عليهم بحر خسف ورجفان

ونقم من سمر القنا السم فيصرا
 وأضحت ربوع الكفر والشرك بالقما
 وأصبحت السمحا تروق نضارة
 أيا خير أهل الارض بيتا ومحتدا
 فمن للقوافى أن تحيط بوصفكم
 اليك بعناها أماني أجديت
 أجرنى اذا أبدى الحساب جرائمى
 قانت الذى لو لا وسائل عزه
 عليك سلام الله ما هت الصبا
 وحمل فى جيب الجنوب تحية
 الى العمرين صاحبيك كليهما
 وحى عليا عرفها وأريجها
 اليك رسول الله صمعت عزمة
 وخاطبت منى القلب وهو مقلب
 فيا ليت شعرى هل أزم قلائصى
 وأطوى أديم الارض نحوك راحلا
 يرنحها فرط الحنين الى الحمسى
 وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها
 وما ذا عسى يثنى عنائى وان لى
 اذا صد عن زوارك اللباس والعنا
 عمادى الذى أوطا السماكين أخصى
 متوج املاك الزمان وان سطنا
 وقارى أسود الغاب بالصيد مثلها
 هز بر اذا زار البلاد زئيره
 وان اطلعت غيم القمام جيوشه
 صبين على أرض العداة صواعقا

كائب لو يعلمون رضوى لصدعت
عديد الحصا من كل أروع معلم
إذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا
من اللاء جرعن العدا غصص الردى
وفتحن أقطار البلاد فأصبحت
امام البرايا من على نجاره
دعائهم ايمان وأركان سؤدد
هم للعلويون السنين وجوهم
وهم آل بيت شيد الله ملكه
وفيهم أنى الذكر الحكيم وصرحت
فروع ابن عم المصطفى ووصيه
ودوحة مجد معشب الروض بالعلا
بمجدهم الاعلى الصريح تشرفت
أولئك، فخرى ان فخرت على الورى
إذا اقتسم المداح فضل فخارهم .
امام له فى جبهة الدهر ميسم
سما فوق هامات النجوم بهمة
وأطلع فى أفق المعالى خلافة
إذا ما احتبى فوق الاسرة وارتدى
توسمت لقمان الحجا وهو ناطق
وان هزه حر التناء تدفقت
أيا ناظر الاسلام شمس بارق المنا
قضى الله فى عليك أن تملك الدنا
وانك تطوى الارض غير مدافع

صفاء الجياد الجرد تعدو بمقبسان
وكل كمي بالردنى طمسان
هدتهم الى أوداجها شهب خرسان
وعفرن فى وجه الثرى وجه بستان*
تؤدى الخراج الجزل أملاك سودان
ومن عترة سادوا الورى آل زيدان
ذوهم قد عرست فوق كيوان
بدور اذا ما احلوك لك شهب أزمان
على هضبة العلياء ثابت أركان
بفضلهم آيات ذكر وقرآن
فناهيك من فخرين قبرى وقربان
يجاد بأمواء الرسالة ريان
معد على العرباء عاد وقحطان
ونافس بيتى فى الولا بيت سلمان
فقسى بالنصور ظاهر رجحان
ومن عزه فى مفرق الملك تاجان
يحوم بها فوق السموات نسران
عليها وشاح من علاه وسعطان
على كبرياء الملك نخوة سلطان
وشاهدت كسرى العدل فى صدر ايوان
أنامله عرفا تدفق خليجان
وباكر لروض فى ذرا المجد فينان
وتفتحها ما بين سوس وسودان
فمن أرض سودان الى أرض بغداد

* المراد به سبستان ملك البرتقال لكنه عربى فقال بستان

(الاستقصا - خامس - 11)

وتملاها عدلا يرف لواءه
فكم هنأت أرض العراق بك العلا
فلو شارفت شرق البلاد سيفكم
ولو نشر الاملاك دهرهك أصبحت
وشايحك السفاح يقتاد طائعا
فما المجد الا ما رفعت سماكه
وهاتيك أبكار القوافي جلوتها
أتك أمير المؤمنين كأنها
تعاضمن حسنا أن يقال شبيها
فلا زلت للدين تحوط جهاتها
ولا زلت بالنصر العزيز مؤزرا
انتهت القصيدة الفريدة .

قال في نفح الطيب : « أخبرني ناظمها أنه أراد بقوله : « ونافس بيتي
في الولا بيت سلمان » قبيلة سلمان التي منها لسان الدين ابن الخطيب ، اشارة
الى ولاء الكتابة للخلافة كما كان لسان الدين رحمه الله ، وفيه مع ذلك تورية
بسلمان الفارسي رضى الله عنه » انتهى .

وهذه القصيدة على طولها من غرر القصائد ولذا لم يذكر في المتنقي
من الامداد المنصورية غيرها ، وقد أثنى عليها في « نفح الطيب » جدا ،
وتبع ما قيل في هذا الاحتفال ، واقامة المولد العديم المثال ، من الامداد
يفضي الى الطول وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق .

ذكر سيرة المنصور في ترتيب جيوشه وحالات أسفاره



قال الفشتالى : « كانت السيرة على عهد أئى عبد الله المهدي وولده الغالب بالله وابنه المتوكل سيرة العرب فى الجيش والمأكل والملبس وغير ذلك ، ولما بولى المعتصم حمل الناس على السيرة العجمية وجنح اليها فى سائر شؤونه لما رأى منها فى بلاد الترك حيث كان بها ، فكره الناس ذلك وأنفخوا منه وقوفا مع العوائد . فلما جاء الله بالمنصور ألف بين سيرتى العرب والعجم ، واصطفى من العجم موالى رباهم بنعمته وأشملهم درور احسانه ، منهم : مصطفى باى ، ومعاذ بلغة الترك : قائد القواد ، ويختص به قائد الاصباحية ؛ وكان يرسم حراسة الباب العالى . ومنهم الباشا محمود وهو صاحب خزائن الدار بيده مفاتيح بيوت الاموال . ومنهم القائد علوج قائد جيش العلوج ؛ والباشا جؤذر فاتح السودان وهو قائد جيش الاندلس . وكان لاهل الاندلس جيش عظيم رماة وعمار قائد جيش السوس فهؤلاء أكابر العلوج . وتليهم طائفة أخرى منها بختيار ، وبغا . ثم ان جيش العجم من الاتراك والعلوج قسمه الى أقسام : منها اليياك : وهم أهل القلاص الصفرية المذهبة ذوات الاعراف من ريش النعام الملون يقفون سماطين أمام قبة أو فسطاطه . والسلاق : أهل القلاص الطويلة البيض المرسلة على المناكب ويناظ بها من أعلى الجباه جعاب صفر مذهبية ويضيفون اليها وقت الحزام أجنحة طحولا يؤلفونها أيضا من ريش النعام الباقى على أصل خلقته ويركزونها فى الجعاب المنطوقة بالقلاص من أعلى الجباه ويرسلونها الى وراء ويقف هؤلاء خلف اليياك . وبلبلدروش . وهم أهل اللقايف وهى رماح قصيرة غليظة المعى مغشاة بالحديد ومرصعة بالسامير البيض ركبت عليها أسنة عظام وزجاج هائلة ينبت من ريشتى كل سنان منها اضلاع مستقيمة ، ويقف هؤلاء خلف السلاق . والشنشرية . وهم أهل الطعام وضعا ورفعوا لا غير وقائدهم بختيار من سبى وادى المخازن . والقبيجة : وهم أهل حفظ الابواب وغلقها وفتحها

وقائدهم مولود المشاوري ، وطائفة من هؤلاء تحرس ليلا وتطوف على مسافير السور المحيط بالدار ، ومن وظيفة هؤلاء خدمة الكرسي والسرير اللذين يجلس عليهما السلطان بالايوان وتعاهد انماط الجلوس وكسها . والشواش : وهم الذين يتولون ضبط الجيوش في المصاف في حرب أو سلم وانهاء الكتب والرسائل للجهات بخير أو شر .

قال الفتالي : « وهذا مما زادت به دولته على سائر الدول ، فاذا خرج في يوم عيد أو ملافاة أو تهنئة خرجوا متزينين وكل قائد يقف عند مبدا انبعاث جبل جيشه تحت ألوية مصفوفة بجيش من رؤساء جنده أهل الجبل وهم الذين يدعون عندهم : بالكبشات ، فاصلا بذلك بين جيشه وجيش من يردفه خلفه ، وهكذا يمتد الى انبعاث الجيش من تلقاء أمير المؤمنين ، وكل يعرف مركزه ورتبته لا يتعداه الى غيره بتقدم أو تأخر ولا يجد السبيل الى ذلك لو أراد » .

قال الفتالي : « والترتيب الذي جرى به العمل في عساكر اثنان أن يتقدم أولا جيش السوس ثم يردفه جيش شراكة وكل منهما ينقسم جبلين ، ثم يردفهما العسكران العظيمان عسكر الموالي من المملوكي ومن انضاف اليهم وعسكر الاندلس ومن لبس جلدتهم ودخل في زمرةهم ، وهذان يسيران صفيين متساويين لاستواء مرتبتهما ، وعند العطاء تارة يتقدم هؤلاء وتارة هؤلاء ، غير ان الموالي يكونون في الميمنة لمزية الولاء ، وكلاهما يحظى بموالة ركاب السلطان ، ويتقدم قائدهما محمود قائد الموالي ، وجوذر قائد الاندلس ، وترفع على رأس كل منهما الرايات ويحضره عسكر من بلكشات . ثم يتصل بهذين العسكرين الدخلة العظيمة المؤلفة من البياك والسلاق وبلدروش ففسير الفرق الثلاث أمام المنصور صفوفا متساوية ، فأما البياك فيلون ركابه يحفون به يمينا وشمالا ويرفع البعض رماحه الزينة المنصوبة أمامه ، ومنهم صاحب المظلل المرفوع على رأسه كالنمامة يحمله حالة ركوبه أقربهم درجة لقائدهم ابرويز ، واذا منى المنصور الى جامع المنصور من جهة قبور الاشراف أو للمشتى وهو الروض المتصل بقصر البديع على رجليه حمله ابرويز بنفسه ، ثم يسير

عن يمينهم وشمالهم السلاق ، ويسير عن يمين هؤلاء وشمالهم بلبدروش أهل اللقايف ، وتكيف من الجميع صورة تزرع الرعب فى القلوب ، وتسير الجنايب فيما بين سباطى هذه الدخلة مجنوبة صفا صفا الى ألوية عساكر النار ومنبت جبالها الممدودة يقودها صنف يدعون السراجة ركبنا ، وكانت جنائب الحلفاء يقودها الرجل من الوزعة وهذا أكمل مزية ؛ وجيش الاصباحية الذى الى نظر بيلارباى ينقسم كسيتين عظيمتين تسير احدهما ذات اليمين والاخرى ذات الشمال أمام الموكب الذى يرفع اللواء العظيم الابيض المدعو باللواء المنصور ، علامة على شعار الدولة على رأس المنصور يسامته من خلفه ؛ وهناك ألوية كثيرة ذات ألوان مختلفة . وأمامه الطبل العظيم الذى يسمع دويه من مسافة بعيدة ؛ ومن خلفه الطبول الاخر معها الفيطات - واحدها غيطة - يتولى النفخ فيها قوم من العجم أساتذ يتعلمونها فينفخون فيها فتنبعث منها أصوات وتلاحجن لا تحرك الطباغ ولا تبثها على شئ دون الحرب ، فانها تنسجع الجبان وتقوى جأش الحائف ، حكمة فيلسوفية ؛ وهناك مزامير أخر وجعاب طوال صفرية على مقدار النفير تسمى الطرباط مما أحدثه أيضا فى دولته وزادت به دولته فخامة وضخامة ؛ ثم يردف هذه الألوية والآلات من خلف أمير المؤمنين موكب العظيم . فهذا ترتيب جيش المنصور انتهى باختصار من كتاب « مناهل الصفا » ، وليس اتخاذ المظل مما أحدثته الدولة السعدية كما زعم بعضهم ، بل كان ذلك موجودا فى الدول القديمة شرقا وغربا .

قال اليفرنى : « وما ذكره الامام الفشتالى من توافر أجناد المنصور وتكاثر جيوشه هو كذلك ، وقد أولمت العامة فى ذلك بأخبار واهية ، وزعموا ان المنصور خرج مرة الى الرميلة بظاهر مراکش ولم تعلم اصحابه بخروجه ، فحين علموا بخروجه تبعوه خفافا وثقلا فأمر بعد ما معه هنا لك من الجيش فوجد ثمانين ألفا ، فقال : « ياسبحان الله ، قد خاطرنا بأنفسنا حيث ركبنا فى هذا العدد ، يستقله ؟ ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الافراط ، والذى ذكره الشيخ أبو العباس أحمد أبقاى الاندلسى فى كتابه المسمى بـ « رحلة الشباب الى لقاء الاحباب » ما معناه قال : ان جزيرة الاندلس التى استردها

من أيدي الكفار سهل واسترجاعها منهم قريب لما دخلت مراكش في أيام المنصور وجدت عنده من الخيل نحو من ستة وعشرين ألفا ، فلبسوا تحركت همته لفتحها لاستولى عليها في الحين اه بالمعنى ، اه كلام اليفرنى .

وأما بيان حالة المنصور في السفر فقد قال شارح « زهرة الشماريخ » : « ان المنصور كان قليل الاسفار ، وانما سافر الى فاس مرتين لا غير ، وانما كان متفرغا للذاته واستيفاء شهواته مدة خلافته » . قال اليفرنى : « وبه يعلم أن ما شاع على اللسان من أنه كان يمكث بفاس ستة أشهر وبمراكش مثلها ليس بصحيح والله أعلم » .

وكان المنصور اذا سافر استعد غاية الاستعداد وأحسن في التهيئة ما شاء . قال صاحب النخبة المسكية : « كان له قصر من عود مسمر بمسامير ومخاطيف وحلق وصفائح مفضضة على هيئة عظيمة ، وقد احدث بذلك كله سرادق كالسور من نسيج الكتان كأنه حديقة بستان ، وزخرفة ببناء ، وفي داخل القصر المذكور القباب الملونة بيضا وسودا وحمرا وخضرا كأنها أزاهير الرياض قد نقش ذلك أحسن النقش وعلو بأبهى الفرش ، ونسرادق الذى هو كالسور أبواب كأنها أبواب القصور المشيدة يدخل منها الى دهاليز وتعاريج ثم ينتهى منها الى القصر الذى فيه القباب وهذا القصر كأنه مدينة تنتقل بانتقاله وهو من الابيات الملوكية التى لم يوجد مثلها عند الملوك الماضين » اه .

ومما يتعلق به ما حكاه أبو فارس الفشتالى في المناهل قال : « خرج المنصور يوم الاثنين عاشر شعبان سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة لزيارة أضرحة الصالحين بأغمات » ، قال : « فأخرت وراه فلحقنى المولى عبد الواحد بن أحمد الشريف وأنا في أخريات الناس فأشده :

أبا فارس بان الخليط وودعوا ،

فقلت : وولوا وحسن الصبر منى شعوا

فقال :

وغرد حادى البين وانشقت العصا وكاد فؤادى للنوى يقطع

فقلت :

الى الله أشكو فرقة منهم وفسد تجرعت من كأس النوى ما نجرعوا
ثم زدت :

لئن شرد السلوان عنى بعدهم ففى صحبة المنصور أنسى أجمع
ثم قال :

تدور عليه هالة لقيابه ومركزها قصر الخلافه يلمع
فقلت :

سباح به بحر الندى متموج ومن أفقه شمس الامامة تطلع
وكان المنصور خرج لزيارة أعماط فى شارة حسنة ، فلما بلغ أعماط
مكث فيه يومين وفى الثالث نهض الى زيارة الامام أبى عبد الله الهزميرى ،
وعاج على ضريح الشيخ سيدى عبد الجليل ووقف عند الجبنة الكبرى فدعا
ما تيسر وفرق أموالا على ذوى الحاجات على يد القاضى الشاطبى ، والفقير
الامين ابى الحسن على بن سليمان الثاملى ، وكان معه الفقيه القاضى أبو مالك
عبد الواحد بن أحمد الحميدى كان قد استقدمه من فاس برسم القراءة معه ؛
وكان الحميدى لودعيا خفيف الروح ، وفى هذه السفرة صدرت منه الايات
التي تبارى فى معارضتها شعراء الدولة ، وقد ذكرها فى النزهة فلتنظر هنالك ،
ومما يتعلق بأخبار الحميدى المذكور : أن المنصور سافر مرة الى
تارودانت ومعه جماعة من الاعيان كالقاضى الحميدى وأبى العباس المنجور
وغيرهما ، فخيم المنصور بباب تارودانت وضرب الناس أخيتهم ، فمر رجل
عليه أطمار بالية وهيئة رثة ، ويقال ان هذا الرجل هو أبو عثمان الهلالى
الرودانى ، فوطيء على طنب من أطناب خباء القاضى الحميدى فصاح القاضى
« من هذه البقرة التي قوضت على خيمتى ؟ » متهمكا بالرجل ! فالتقى اليه الرجل
فرطاسا فيه أبيات وقال : « البقرة من لا يجيب عن هذه » ونص الايات :
الى بابك العالى مسائل ترتقى تقطن لهن يا حميدى واصدق
فما الحكم فى الاوزاغ هل ساغ أكلها وما الحكم فى موتى المجانين فانطق
وهل جاز للمسبوق بعد تشهد دعاء اذا ما رام اكمال ما بقى

وما وزن ليس يا أديب وأصله
وما وزنه شمر ولاتن واثنا
وبين لنا (من) في أعوذ بربنا
فبدا للحميدى ما لم يكن يحتسب وتوقف عن الجواب ، فرفعت القضية
الى المنصور فاستغربها وقال : « هذا رجل من أهل البادية فضح قاضى قضاة
الحواضر » وأمر المنجور فأجاب عنها ، يقال بعد أربع سنين وبعد موت
السائل ، ونص الجواب :

جوابك فى الاول اباحة أكلها
كذا ابن حبيب فى الحشاش أباحة
وقد قيل فى الاوزاغ يحرم أكلها
ومستقذر يحكى المخالف منه
ورجح ما يحكى المخالف بعض من
وميت مجنون جرى خلف حكمه
وتحققها ان الجنون الذى طرا
فأؤنة بعد البلوغ طروه
وأؤنة اثر الصلاح وقوعه
وحينا يدوم للممات وتارة
ويندب للمسبوق دعوى تشهد
وليس له فعل كقال وأصله
وجعل صاعا فى القليل بأصوع
وان شئت فقله فيرجع أصعا
وصاع كصاع عينه فرع ضمة
وجمع سواء فالذى منه جامد
ومشتقه وزن الخطايا قياسه
ومقصد (من) فى العوذ بدء لغاية

بمذهبا فأجزم بذلك وصدق
لمحتاجه مثل العقارب فاسبق
وذلك فى الكافى ليوסף فائق
وأكره التبيه فافهم ودقق
له العزو للتحقيق لا للتشديق
بعلم كلام لا تكن غير متيق
يصير كموت فصل الحق يعيق
وحينا يرى قبل البلوغ فطبق
وحينا بعصيان الكيرة يلتقى
يفيق فخذ حكم الجميع ووثق
وفاق امام فى المناجاة فارتق
بكسر لاء فأكسر العين ترتق.
وأصوع بهمز الواو فانهج ونمق
لضابط تصريف فللعلم شوق
وتحريكه فتح فزنه وحقق
بأسوية علم يقاس ففرق
سواسية ثقل فالحق فانطق
فابليس مبدأ العوذ عند الموفق

انتفاض ولى العهد محمد الشيخ المأمون على أبيه المنصور وما آل إليه أمر لاف ذلك



كان المأمون كما تقدم ولى عهد أبيه المنصور ، وكان خليفته على فارس وأعمالها سائر مدة أبيه ، وكان للمنصور اعتناء تام به واهتمام بشأنه حتى قيل ان المنصور كان لا يختم على صندوق من صناديق المال الا قال : « جعل الله فتحه على يد الشيخ » رجاء ان يقوم بالامر بعده ، فلم يساعد القسدر وخرج الامر كما قال القائل :

مسا كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن
فأساء المأمون السيرة وأضر بالرعية .

قال اليفرنى : « وكان فسقا خبيث الطوية ، مولعا بالعبث بالصبيان ، مدمنا للخمر سافكا للدماء ؛ غير مكترث بأمور الدين من الصلاة وشرائطها . ولما ظهر فساد وبن للناس عواره ، نهى وزير أبيه القائد أبو اسحق (*) إبراهيم السفينى عن سوء فعله فلم ينته واستمر على قبح سيرته ، فأعاد عليه اللوم فلج فى مذهبه ؛ ولما أكثر عليه من التقرع سقاء السم فكان فيه حنف القائد المذكور . ومما انكر عليه انه قبض على كاتب أبيه أبى عبد الله محمد بن أحمد ابن عيسى وهو مؤلف كتاب : « الممدود والمقصود من سنا السلطان المنصور » ووظف عليه أموالا وابتزّه ذخائره حتى كان مما أخذ منه ثمانون حسكة مذهبة ومائة تخت من الملف المختلف الالوان . فلما كثرت قبائحه وترددت الشكايات لايه كب اليه لينكف عن غيه وينزجر عن خبته ، فما زاده التحذير الا اغراء ؛ فلما رأى المنصور انه لم يكثر بأمره ولم ينزجر عن قبائحه عزم على التوجه الى فارس بقصد أن يمكر به ويؤديه بما يكون رادعا له ، فسمع الشيخ بذلك فجمع عساكره وهيا جنده ودفع المرتب لاصحابه ، وكان عدد

(*) بل ابو سالم كما فى الدرّة

جيشه فيما قيل اثنين وعشرين ألفا كلهم بكساوى الملف والحرير على أحسن شارة وأكمل زى ، وعزم انه ان بلغه خروج إليه من مراکش أن يتوجه فى أصحابه الى تلمسان ويستجير بالترك ؛ فلما بلغ المنصور ما عزم عليه الشيخ من الذهاب الى تلمسان تخلف عن الخروج من مراکش ، وكتب الى الشيخ يلاطفه ويأمره أن لا يفعل ، وولاه سجلماسة ودرعة وتخلى له عن خراجهما ، وقال له : « قد سوغتكم ولا يُطالبك فيه » ومراده بذلك أن تسكن نفرتيه ويرجع اليه عقله ؛ فأظهر الشيخ امتثال الامر وخرج يؤم سجلماسة ، فما انفصل عن فاس بشىء يسير حتى ندم ورجع اليها ، وعاد لما كان عاكفا عليه ؛ فبعث اليه المنصور أعيان مراکش وعلمائها فنصحوه ووعظوه وخوفوه سخط والده وحذروه عاقبة العقوق ، ولم يألوا جهدا فى نصحه ، فوجدوه مشغول القلب عن نصيحتهم ، مغمور الذهن بخلاف قولهم ، الا أنه أظهر الرجوع عما كان عازما عليه من الفرار عن أبيه ، وأقصر فى الظاهر عن بعض تلك المساوى . فرجع الوفد الى المنصور وقالوا له : « انه قد تاب وحسنت حاله واطمأنت نفسه وانه واقف عند الامر والنهى » ؛ فلم يطمئن المنصور لقولهم وقال لهم : « لعل هذا اطفاء لنصار الشحنة وكذب لاصلاح الباطن » وصمم على المكر بالشيخ ، فكتب اليه كتابا طويلا يلومه فيه على بعض الاشياء وفى ضمن ذلك تسكين خاطره حتى يبقته على حين غفلة ، ونص الكتاب :

ومن عبد الله تعالى المجاهد فى سبيله الامام المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيد الله أوامره وظفر عساكره ، الى ولدنا وولى عهدنا الامير الاجل الافضل الاكمل الاعز بابا الشيخ وصل الله كمالكم وسنى من خير الدارين آمالكم وسلام عليكم ورحمة الله ؛ أما بعد ، فكتابتنا هذا اليكم من حضرة مراکش حاطها الله ولا جديد الا ما عوده مولانا من الخير لله الحمد وله المنة . هذا ، والذى أوجبه أسعدكم الله وكلاكم انه بلغنا انكم قد استخدمتم هناك جماعة من أولاد طلحة كأولاد أخى على بن محمد وأخى على بن ملوك وغير هؤلاء وأئلك قد فرضت لهم فى اعطياتهم نحو خمسة آلاف ، والى ههنا اى مصلحة ظهرت لك فى

استخدام هؤلاء القوم حتى تتحمل كافة فرض هذه الفروض ، بل ما فسى ذلك الا الفساد البين لان هذا الذى تعرضتم له لا يفى به المغرب ولا يقوم معه بكم شىء ، ومسئلة هؤلاء أولاد طلحة ان كنت رأيت استخدامنا وأردت تقليدنا فى ذلك واقفاء سيرتنا فيه فاعلم ان بيننا وبينكم فى هذه المسئلة فرقا من وجوه ، منها : ان مراكش ليست كفاس ، وان خدمتهم هنا لبعدهم عن بلادهم ليست كخدمتهم هناك ، وأيضا هؤلاء الناس أنا أعرفهم وكنت فى بلادهم ، وهذه الخدمة كانوا قد دللوا بها منى وأنا هناك فوعدتهم اذ لا يمكننى وأنا ببلادهم الا مساعفتهم ، فلما جاءوا اليوم وطالبونا بالوعد لم يمكن الا الوفاء لهم به فعليه شرطنا عليهم مراكش وسكانها وعلى هذا الشرط استخدامهم ومع هذه الوجوه كلها والاعتبارات فقد ندمت والله على استخدامهم غاية الندامة ، وكنت فى ذلك على خطأ اذ كان الاولى ان كنا حاسناهم وتركانهم من الخدمة . وأما أنت ففي مندوحة عن هذا كله لانه لا وعد لك سابق حتى يلزمك الوفاء به ، ويمكنك أن تحيلهم على اذنا ومشورتنا فنكفهم عنك بالشرط الذى شرطنا عليهم من الخدمة هنا بمراكش وسكانها . وعلى هذا الشرط استخدامهم من استخدامنا ، والى هذا فالذى نؤكد به عليك أن تقتصهم من الخدمة ولا تستخدم منهم حتى فارسا ولحدا أصلا من الذين ذكرنا لك ومن غيرهم من كافة أولاد طلحة ، وأمرناك أن تتصل بهم فينا وتقول لهم : ان السلطان معنى من استخدامكم هنا وتقرأ عليهم كتابنا الواصل اليكم صجة هذا لتفادى منهم ، ولكن الجفاء مع هذا كله لا تظهره ، بل تحسن اللقاء بهم وتوايلهم باظهار البشر والقبول وباب الطمع تسده دونهم .

والذى شق علينا أعظم من هذا كله واستكرناه ولم نجد صبرا عليه هو ما وجدناهم قد أطلعوا عليه ، اعنى أولاد طلحة على بن محمد وغيره ، من أحوالكم وأخباركم وألفيناهم قد توصلوا من ذلك الى ما لم يتوصل اليه أحد من كبار خدامكم أهل بلادنا وخوفا أهل بساتنا ، لان أهل بلادنا أحبوا ما لهم بحث الا فى مصالح أنفسهم ، هؤلاء انما ينتقدون ويخونون عن الغرة وعورات المملكة . فاذا بكم تتخذونهم بطانة وأصدقاء وتطالعونهم

بأحوالكم وأموركم مع ان القوم لا زالوا ببلاد العدو وبين أظهرهم وما يطلعون عليه تحتاج تقطع وتجزم بأن الترك قد اطلعوا عليه حتى كأنهم شاهدوه ووقفوا بأنفسهم عليه . وأيضا لو كانوا أصدقاء ولا يريدون بنا الا خيرا فالقوم عرب لا يتحفظون على ما يطلعون عليه ولا يفهمون ما يحسن اخفاؤه ولا ابداءه ولا يتماكون قولاً ولا نطقاً ، وبالجملة ، فقد أحرقتنا هذه المسئلة وتفترت لهما أكبادنا ، وصارت قلوبنا منها مطمونة وما عندكم علم بأن الناس كانوا يتحفظون في أقل الامور أن يطلع عليها الاجانب وان كانوا أحب من كل محب وأقرب من كل قريب . وهل ما عندكم علم بأن أخينا بابا منصور كان عرض له غرض ضعيف جدا أراد أن يطلبه من أخينا بابا عبد الله وحضر في المجلس منصور بن المزوار فلم يرد بابا منصور لفظته أن يذكر ذلك حتى يشاور من بازائه لئلا يكون عيب في ذكر ذلك بمحضره ، فعليه شاور القائد دحو بن فرج - كان بازائه - فقال له : « هذا رجل برائى فلا تطلب شيئا قدامه ، على أن منصور بن المزوار هذا كان مع أسلافنا من أقرب ما اليهم من خواص الخدام أهل بساتنا محبة وقربا لانه أسلف معهم خدمة عظيمة ، فقد كان عدوا للترك وبينه وبينهم أرواح ، وحضر مع أخينا بابا حمو الحران جميع ما كان في تلك البلاد أيام استيلائه على المغرب الاوسط ، ثم مع بابا عبد القادر كذلك ، وشرب معهم الحلوة المرة . ولما جاء من تلمسان جاء بأولاده منها راحلا كما جاء منها بابا عبد الله بأولاده ، وكما جاء معهم خدامنا أهل تلك البلاد ؟ وما زال على الخدمة والوفاء حتى حصلت له يد عظيمة مع أسلافنا وناهيك بمن بلغ الى ان قلدوه حاضرة تازا ثم ببلاد الفحص التي لا تعطى كلتاها الا لأقرب الخدام الموثوق بمحبتهم وخدمتهم وقربهم ، ومع بلوغه الى هذا المبلغ كله محبة وصادقة وهجرة واقطاعا حتى انه في دخول صالح رئيس مدينة فاس رحل بأولاده مع السلطان الى هنا كما فعل أهل هذه البلاد ، وحين دخلنا نحن من جهة الشرق لفاس رحلوا أيضا مع صاحب الجبل الى مراکش ، ولا يعدوا أنفسهم من هذا الجانب ابدا في الحديث والقديم ؟ ثم ان الناس استبعدوا أن يطلبوا أقل المسائل بمحضره ، وقالوا انه برائى فضلا عن هؤلاء

الذين ما زالوا الى اليوم في بلاد العدو يباكرونه ويرأحونه فاذا بكم تنزلون معهم الى ان تطالعوهم على اموركم ريتوصلوا الى المعرفة بأحوالكم فما تمالكنا لهذه المسئلة ولا وجدنا عليها صبرا . ومن جملة الامور التي غاظتنا وقلنا كيف يتوصل الرجل البراني الى أمثال هذه الامور أن علي بن محمد كان يتكلم يوما معنا وأخذ يثنى عليكم في نجدتكم وصبركم عند الشدة وسخائكم عند الحاجة ، ثم قال : «الا أن الخيل ليست عنده لا في الحركة الاولى ولا في الثانية لان القبائل أهل الخيل امتنعوا من الحركة معه ، وهي التي غاظتني وقلت : كيف يتوصل الرجل البراني الى أمثال هذه الامور حتى اننا ما وجدنا الا الرد عليه وعكس ما عرفنا لانهم اعتقدوه وقلنا اللهم نسبة التقصير اليكم ولا اعتقادهم خلو البلاد من الخيل لاننا فهمنا منهم ذلك ، ولهذا أجبته وقلت له : ان ولدنا لم يعطهم شيئا وأعطى من لا يستحق من ضعفاء القواد المعروفين بأكل المال وعدم المخزنية ، ولو أعطى تلك القبائل لحشرها عليه لان أولاد مطاع عندهم من الخيل نحو الثلاثة آلاف ، وعند أولاد أبي عزيز نحو ألف ووصف ، وعند القرية وعند اولاد عمران وعند عبدة وعند الشياظمة وعند أولاد أبي رأس وعند أحرر وعند المنابهة أهل سايس وعند المنابهة أصحاب عمر بن محمد عبو ، وجعلت اعدد له قبائل السوس وقبائل مراكنش وأحصى له خيلهم بما بهته ، وقلت له : لو أنصفهم لحرك منهم معه ستة عشر ألفا أو أكثر ، ويكون قد ملأ بهم تلك البلاد ، وسال عليها من سبل العرم لا في الحركة الاولى ولا في الثانية ، ولو وجه اليهم المحركين والرماة لاثنوه أيضا بلا خلاص . والى هذا نوصيكم على المحافظة من أولئك الناس ومن رفع الحجاب لهم عن أموركم والاطلاع على أحوالكم وعدم الغفلة عن أمثال هذا . واعلم أن من جملة ما بلغنا أيضا ان الخلط رجعوا كلهم رماة على يد مصطفى باشا مع حديث عهدهم بالفساد والخلاف ، وكنا انتشينا معهم بالعودات فاذا بهم اليوم بالمدافع وعدة النار ؟ وهل هذا مما يجوز عليكم حتى تسمحوا فيه مع ان هذه المسائل ليست بغائبة عنكم سمعتموها بالسمع فقط ولا طويلة عهد حتى تنساها ، بالامس شاهدت وباشرت ورأيت فما الذي أنساك فعلهم وما

زال جرحهم الآن لم يبرأ ، لان خروج القائد مؤمن الخارج الآن ما كان
 الا اليهم . والآن نؤكد عليك أن تنقصهم من الخدمة ولا تسمع لمصطفى في
 هذه المسئلة ؛ وقد سمعنا أيضا أن قواد الفساد الذين عندكم من أولاد حسين
 قد صارت جملتهم من باب الحميس الى دار الديبيغ ، وكانكم نسيتم أيضا ما
 عمل أولاد حسين بالامس دون بعد من النهب وأضرموا من الفساد في البلاد
 حتى ينزلوا تلك المنازل ؛ والى هذا فساعة وصوله اليكم تقبض على قواد
 الفساد هؤلاء خصوصا : أحمد بن عبد الحق من أولاد يحيى بن غانم الذي
 كان أبوه حاجبا عند المريني فهو أصل الفساد ، ثم لا تترك لقبائهم جناحا
 واحدا . وزد للقائد مؤمن بن ملوك ألف رام ليستوفى لكم الغرض في هؤلاء
 وأمثالهم من كل ما تأمر به ، لان بقية الرماة هنا لك ما فيه الا الاشتغال
 بالفساد في المدينة فتحتاج أن تتولاهم بالقنصل كل يوم باطلا فكان خروجهم
 انذاك دفعا لمضرتهم وجلبا للمصالح بهم ؛ وحتى الكاتب اللائق بأمثالكم
 ورسائلكم لم يكن عندكم لان كتبكم تأتي بخط سالم وهو غير عارف
 بالانشاء وتارة بخط الكريني وهو جاهل ، مع انك لما كنت خليفتنا وولى عهدنا
 كنت بصدد ان يكتب لك كل أحد لا صاحب الجزائر ولا صاحب تونس
 وحتى صاحب الترسك وصاحب النصارى ، وكل من يكتب لنسا من ملوك
 الارض بصدد أن يكتب لك فتحتاج حينئذ الى من يحسن الجواب عنك لكل
 من يكتب اليك ويكون أيضا ممن يوثق به في المحافظة على أسراركم ، والى
 هذا فلا بد من تعيين نائبد المحلة وحاجب وكاتب سرى وصاحب مشورك
 وصاحب المظالم كما هنا هو عندنا السيد على بن سليمان ، واعلم ان مما تحتاج
 ان تنبهك عليه مسألة القواد الذين يريدون أن يحملوك أثقال أولادهم مثل ما
 فعلت في أولاد القائد بركة (*) واخوتهم الذين استخدمتهم وجعلت لهم
 خمسمائة أوقية ، فنؤكد عليك أن لا تستخدم منهم أحدا فما أعطيناه سلا الا
 ليرفع فيها أولاده واخوته وكذلك الحكم في أمثاله ممن أعطيناه عملا وقلدناه
 قيادة ومن جملة من نحذرك من استخدامهم في الرماية اهل الجبال من أهل

(*) لاله الذى تنسب اليه عين بركة الداخلى ماؤها لمدينة سلا .

الصحفة والدينار فلا تستخدموا منهم أحدا والا فاعلموا أنكم ما أردتم حيثذ ان يفرموا لكم ولا يعطوكم شيئا ، وان أردتم الخدمة فهاهم أهل هذه البلاد مثل أهل السوس وأهل درعة وأهل مراكش ، فكل ما تستخدمون من هؤلاء فلا عليكم ، واذا لم يكن من هؤلاء وكان ولايد من غيرهم فممن أهل فاس سكان الحاضرة ، وأما من عداهم فلا ، على ان الرماة أهل السوس هاهى هنا عندنا كثيرة ، فكل ما تريد منهم عرفنا نبعثهم اليك ونضيفهم الى خدمتك ، ونؤكد عليك أن تكتب بجواب هذه الامور كلها فصلا فصلا مع المملوك الحامل لهذا الكتاب ان شاء الله ولايد ولايد ، وهذا موجبه اليكم ، والله يحرس بمنه علاكم والسلام . وفي مهل جدى الاولى من عام أحد عشر وألف « اه :

ثم لم يلبث المنصور أن بعث الى ولده زينلان - وكان خليفته على تادلا - بأمره أن يرسل مائة من الفرسان على طريق تاقيلات ، وكل من وجدوه قاصدا للغرب من ناحية مراكش بردونه ، وأرسل مولا مسعود الدورى على طريق سلا يفعل مثل ذلك ، وخرج المنصور من مراكش* فى اثنى عشر ألفا أوائل جدى الاولى سنة احدى عشرة وألف ، وجد السير ، فلم يعض الا أيام قلائل حتى نزل بالدوح ، موضع قريب من فاس ، والشيخ فى جميع ذلك لا شعور له بخروج أبيه ولا بما هو عليه ؛ فبعث يوما عيونته يرصدون له من قدم من مراكش ، ويكشفون عن الجبر ، فما راعهم الا الاباطح تسيل بأعناق الجياد ، وأقواء الشعاب تقذف بالجيوش من بطون الاودية والوهاد ، لانهم كانوا قد عبيت عليهم الانباء بقطع المنصور للسابلة . فرجعوا الى الشيخ مسرعين ، والرعب يفت فى أعضادهم ويطفىء جذوة عزائمهم ، فقصوا عليه ما دههم وأخبروه بما رأوا ، فعلم أنه محاط به فلم يمكنه الا الفرار ؛ فركب من حينه وفر الى زاوية الشيخ الصالح أبى التمام من بلاد فشتالة قرب نهر ورغة . وكان الشيخ أبو التمام قد توفى قبل ذلك سنة سبع وتسعين وتسعمائة كما فى المراءة . فنزل بالزاوية ومعه بطانته وأصحاب دخلته من الاحداث

* بعد ان استخلف عليها ولده ابا فارس

وقرأ السوء ، فبلغ خبره المنصور فبعث اليه الباشا جؤذرا مع القائد منصور النبيل ، وحلف لهما بأغلظ الایمان ان لم يأتياه به ليمكرن بهما ويجعلهما عبدة ؛ فذهبا اليه فامتنع من الدخول في يدهما ، وانزل في أصحابه حتى ناوشوه القتال ، وتراموا بالنبال ، ثم قبضوا عليه وأتوا به الى المنصور في جبر طويل ، فأمر به الى مكناسة فسجن بها .

ودخل المنصور دار الملك من حضرة فاس الجديد وشكر الله على ما اولاه من الظفر والنصر من غير ارافة دم ، وتصدق في ذلك بأموال عظيمة ، وكتب بذلك الى ولده أبى فارس خليفته على مراکش يعلمه بما كيف الله له من الظفر والنصر ، ونص الكتاب .

• الى ولدنا الاجل الارضى 'الاكمل الاسعد الاصعد الاجيد الاسمى الاسنى بابا أبى فارس وصل الله كمالكم وسنى بمنه آمالكم وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فكتابتنا هذا اليكم أسعدكم الله من محلتنا السعيدة بالمستقى ولا شئ الا ما جرت به الاقدار ، وحكم به الفاعل المختار ، وما جاء به من عجائب الدهر الليل والنهار ، وهى قضية أخيكم التى ثارت الى بها صروف الدهر من مكنى ، وطلعت على من مأمنى ، الا ان الله تعالى يصنعه الجليل كفانا أولا ، ثم شفانا آخرا لله الحمد دائما والشكر واطيبا ، وشرح ذلك أسعدكم الله ووقاكم السوء ان احوال كان انتهى فى معالجة أمره الذى تجاوزنا فى وجوه الخير اليه حد الاستقصا ، وأتينا فى محاولة استصلاحه من أحوال السياسة المرجوة النجح بما لا يحصى ، الى ما كنا سوغناه من ولاية سجلماسة بخراجها وخراج درعة وأبينا له التوجه اليهما بجملته وجمعه ، رجاء أن تسكن بالانتباز اليهما نفرتة ، وتطمئن نفسه ويشوب اليه قلبه الطائر ، ويراجعه أسسه الحائر ، فأظهر أولا التوجه اليهما ، ونهض مرتحلا عن فاس موريا بالقدوم عليهما ، ثم بدا له على الحين فكر راجعا الى فاس ، ورجونا أن يكون قد ذهب عنه النفار والشماس ، وثاب لنفسه السكون والاستئناس ، فاذا به قد انطوى برجوعه على خلاف ما أظهر ، فأبدى ما أضمر ، فما كان الا ان طرأ عليه خبر نزولنا بالدوح فلم يتمالك أن أقفل ليلة الخميس خامس

عشر شهر تاريخه اقلعا أزعجه من الدار فريدا ، وطارت به النفرة الى أن حل بزواية الشيخ ابي الشناء وحيدا ، فلاحق به من جيش رماته اليكشارية ومتفرقة سماسرة الفتن وطلائع الشؤم والمحن جمع عظيم ، وعدد من كثرته لا يريم ، فبادرت حينئذ بتجهيز جوذر باشا من غير اغفال في خمسمائة صباحية ومعه القائد مؤمن بن ملوك في خمسمائة فارس ، ثم أردفاه ببعوث أخر نألت اليه وتناثلت عليه تناهز الالفين ورماة بابا زيدان حفظه الله فأحدثت به من كل الجهات ، وملكوا عليه الفجاج والثنيات ، ونحن مع ذلك خلال هذه الاحوال لم نهمل مقابلة نفرته بالتسكين ، وما يخشن من أحواله بالتلين ، بارسال المرابطين تجاهه بموائيق تنهيه ، وعهود تؤنسه وتقرب أمانيه ، رجاء أن يثوب إليه ثائب استبصار ، أو يخطر له خاطر اقلع عما هو عليه وأقصر ، وقرناه السوء المتلاحقون به من جيشه يقدحون للشر نارا ، ويزينون له عقوقا ونفارا ، فدهمتهم حينئذ عساكرنا المظفرة بالله في مصافهم دونه ودارت بين الفريقين حرب عظيمة فخدمت النار من وقت الظهر الى العصر فأظهر الله تعالى فتة الحق على فتة الباطل ، وقضى بما جرى به القضاء المحتوم الحكم العادل ، وكتبناه اليكم وقد حصل في القبضة كما سبق به القضاء والقدر ، وجعل بمكان الاحتياط عليه من مكناسة فكانت مشيئة الله في ذلك من احدى العجائب والاعبر ، وعرفناكم أسعدكم الله لتستشعروا صنع الله في هذه الداهية التي فجئت بها الايام ودهمت ، والغائبة التي اعتكرت وادلهمت ، وتقدرنا ما صنع الله في ذلك من حسن العاقبة حق قدره ، وتشكروه فهو الجدير بحميد حمد كل لسان وشكوه ، ونسأله تعالى أن يجعلكم في حيز الكفاية ، وجانب الوقاية حتى لا تساؤا بقریب مأمون ، ولا ببعيد مظنون ، وفي ليلة الثلاثاء الموافق عشرين من جمدى الاولى عام أحد عشر وألف هـ .

نم ان أم الشيخ واسمها الخيزران بعثت الى أعيان مراکش الذين قدموا مع المنصور . ترغّب اليهم في أن يشفعوا لولدها عند أبيه ويعتذروا عنه بما يزيل ما في باطنه عليه ، فتقدموا الى المنصور وقالوا له : « ان الشيخ قد صليحت حالته ، وتاب مما كان غازما عليه ، وانه ندم على ما قرط منه ، (الاستقصا - خامس - 12)

فقال لهم : « اذهبوا الى مكناسة واختبروا أمره كافيًا ، وانظروا هل رجع عن أباطيله ، وتتصل من أضاليه » : فلما أتوه وجدوه أخبت مما تركوه وعانوا منه من القبايح ما يقصر عن وصفه اللسان ، فلما جلسوا اليه في محبسه لم يسألهم الا عن اصحاب بطاتيه وقرناء السوء من اهل غيه ، ولم يظهر الاسف الا على تلك العصابة وآهم اهل الاصابة .

وكان من الاعيان الذين وجههم المنصور أولا وآخرًا اولاد الشيخ ابي عمرو القسطلی ، واولاد الشيخ ابي محمد عبد الله بن ساسی ، واولاد الشيخ أبي زكرياء يحيى بن بكار وغيرهم . فلما رجعوا الى المنصور من مكناسة سألهم عن الخبر فاتفق بعضهم وقال : « وجدناه ثابًا نادمًا على ما صدر منه » وتكلم بعض اولاد الشيخ ابن ساسی فقال : « لا والله لا داهنت في حق الله ولا واجهت الامير بالحديعة ، ان ولدك لا تأذن لك أن تؤمره على اثنين ولا تحكمه على عيال الله فانا وجدناه خبيث الطوية قبيح السريرة لم يندم على ما فرط منه ، فسكت الحاضرون ولم يتكلم أحد ، فقال لهم المنصور : « لافوني في أمر هذا الولد ؟ » فلم يجبه أحد الا باشاء عبد العزيز بن سعيد الوزكيثي فانه قال له : « الرأي أن تقتله ، فانه لا ينجبر أمره ولا يرجي صلاحه وقد رأيت ما صنع ، فلم يعجب المنصور ذلك وقال : « كيف أقتل ولدي ؟ » ثم بعث الى مكناسة يأمر بالتضييق على الشيخ والزيادة عليه في ذلك . ثم خرج المنصور فنزل بمحلته في ظهر الزاوية قاصدا مراکش بعد ان استخلف ابنه زيدان على فاس وأعمالها ، وقد كان كتب الى ولده أبي فارس خليفته على مراکش برسالة أجابه فيها عما كتب به اليه في شأن الوباء الذي ظهر بالسوس ومراكش هل يفر منه أم لا ونصها :

« من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الامام الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسنی أيد الله بعزير نصره وأمره وظفر عساكره ، وأسعد بمنه موارده ومصادره ، الى ولدنا الاجل الافضل الاكمل الاعز الابر الاسعد الامجد الارضي بابا أبي فارس ، وصل الله تعالى عنايتكم ووالى بمنه رعايتكم وسلام عليكم ورحمة الله . لاما بعد ، فكتابتنا هذا

اليكم من حضرتنا العالية بالله المدينة البيضاء حاطها الله عن الحير والعافية ،
ونعم الله المتوفية ، لله الحمد وله المنة ، وانه اتصل بعلى مقامنا كتابكم الاعز
عشية يوم الثلاثاء فكتبنا اليكم صيحة يوم الاربعاء ، ولولا انه وصل يوم
الديوان ما كنا نؤخر كتب الجواب لكم عن ساعة وصوله في اليوم بنفسه
حرصا منا بذلك على المبادرة بوصوله اليكم في الحين ؛ والى هذا أسعدكم الله
ان أول ما تبادرون به قبل كل شيء هو خروجكم اذا لاح لكم شيء من
علامات الوباء ولو أقل القليل حتى بشخص واحد ، ويبقى في القصة وصيفنا
مسعود مع القائد محمد بن موسى بن أبي بكر ، وتركوا مائة رام تقون بها
من رمايتكم مع أصحاب السقيف وتككون على الله وتخرجون بالسلامة ، ثم
لا تعملوا كعملنا في الاقتصار على الرميعة والتقلب بها ، بل لا تزيدوا اذا
خرجتم على المقام أكثر من يومين ، ثم اطووا المراحل الى ان تنزلوا بسلا
وتدخلوها دخول هناء وعافية ان شاء الله ، وهناك يكون لقاءنا بكم لقاء يمن
وسعادة ان شاء الله ، ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق اسعدكم الله فلازموه ،
واذا استشعرت من حرارة وتخوفتموها فاستعملوها من الوزن الوصف
المعروف منه ولا تهملوه . وأما ولدك حفظه الله فلما كان من سن الشبية
بحيث يمنعه الحال من المداومة على الترياق فهامى الشربة المعروفة النافعة
لذلك قد تركناها كثيرة هناك عند التونسي ، فيكون يستعملها هو والابناء
الصغار المحفوظون بالله ، حتى اذا أحس بربرد المعدة من أجلها تعطوه الترياق
المرّة والمرتين على قدر الحاجة فيعود اليها والله تعالى بمنه وبحرمة صفوة
خلقه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم يتولى حمايتكم جميعا ويحكم من
جيل كلامه ورعايته حصنا منيعا ، وأر يعافى البلاد والعباد بمنه وفضله ؛
والسلعة أسعدكم الله تبادرون بارسالها لنا ، وكذلك القائد مسعود النيلي
تعمون بارساله الى حيث أمرناه بالمقام من خنق الوادى بالسوس وطريق
تأخيشيت ؛ واعلم أسعدكم الله ما قط أرضنا أن أمرها يتم ، وقبل عقلمنا
الكريم ان أهل درن يتجرون بسبها ، ولكن هذا سبب يكون حجة عليهم
ان شاء الله ، وأنتم تحاولون اسعدكم الله سلوك الناس على يوبان على العادة ،

وتجهدوا في أن تكون ان شاء الله سابلة ، وأولائكم أعنى أهل طريق تاحظيشت
يسكت عنهم حتى نصل بخير وعافية لتلك البلاد ان شاء الله . ومسألة ايسى
التي كتبت لكم من خنق الوادى على الزرع وانه ما عندهم ما يكفيهم منه
سوى شهر فلقد كنا كتبنا لكم أسعدكم الله على حمل الزرع اليهم على البحر ،
فان كان قد تيسر ذلك فيكون قد بلغ اليهم وان لم يكن ذلك قد تيسر فلأمر
ايسى هذا بالتدبير على الزرع ولو بالشراء والزموه عهده وشددوا عليه في
أمره ، وخالنا القائد حمو بن محمد الذى استأذنكم في الخروج عن ذلك المرض
من المحمدية(*) فإذا تفاخس فلا عليه في الخروج يلتحق بأهل تلك المحلة
بخنق الوادى ويترك في القصة أهل الاندلس مع قائدهم . ومسئلة مؤمن بن
منصور مع هكسيمة التي ذكرت أسعدكم الله ، مؤمنا قد تناقل بدمنا بسبب
مرض ألم به حتى جاء به شاول ، وان أخاه ذلك المفسود بعث اليه يلتقى
معه بامصلوحت فعلى بركة الله والحاضر بصيرة ، وهذا موجب اليكم ، والله
يصل بمنه رعايتكم والسلام . وفي يوم الاربعاء رابع عشر رمضان المعظم عام
أحد عشر وألف ، عرفنا الله خيره وبركه . وبعد أن كتبنا لكم هذا بلغنا
كتابكم ونحن نحييكم عما تحتاجون الى الجواب عنه ، والبطاقة التي ترد
عليكم من السوس من عند الحاكم أو ولد خالك أو غيرهما لا تقرأ ولا تدخل
دارا بل تعطى لكتابكم هو يتولى قراءتها ويعرفكم مضمونها ، ولأجل ان كتابكم
يدخل مجلسكم ويلايس مقامكم حتى هو لا يفتحها الا بعد أن تغمس في حل
ثقيف وتشر حتى تيسر وحينئذ يقرأها ويعرفكم بمضمونها اذ ليس يأتيكم من
السوس - والله سبحانه أعلم - ما يوجب الكتمان عن مثل كتابكم ؛ وقد طالعنا
كتاب ولد خالك أحمد بن محمد الصغير وصح عندنا من فحوى كلامه ما
ذكرتم عنه من أنه أكثر من خبر الوباء ليجده ذريعة للخروج من السوس ،
والذى تأمرونه به أنكم تحذرونه من القدوم عليكم بمراكش ، وإن ذلك لا

(*) المحمدية هي تارودانت نسبة الى محمد (فتحاً) الشيخ بن القائم بأمر الله ، وغالب

المكة السعدية ضرب بها

يرضينا منه ، وكيف يروم الخروج من موضع عيناه له من غير أمرنا لاسيما مع غيبتنا عن البلاد ، وانه ان فعل ذلك لا محالة تسقط منزلته عندنا ، ثم لا يعود أبدا اليها ، الا ان تفاحش المرض بتلك الناحية فلا عليه في الخروج والتثقل قرب البلاد أو يلتحق بمحلة أصحابه الذين يخفق الوادى . وأما ما ذكرتم عن محمد بن عبد الرحمن الوردى فقد طالعنا الجريدة التى جرد لكم وتصفحناها ورأينا أن جل ما يطلبه بها لا يمكن مع غيبتنا ، والذي نأمركم به فى مسئلته أنكم تحاولون فى رده لموضعه فانه بذلك الموضع اليق من أخيه بكثير ، وكل ما يمكنكم من أغراضه المسطرة فاقضوه له ، وما لا يمكن عدوه به عند قدومنا ان شاء الله . وأما أمر أخى أحمد بن الحسن الذى عيناه لجباية درعة وذكرتم أنه غير لائق بها وأنكم استصغرتموه عن تلك العمالة فلا شك أنه كما ذكرتم ، ولكن انما وقع الاختيار عليه لامرين : الاول الذمة لانه بماله ولا نخشى ان شاء الله على مالنا ، الثانى ان خراج درعة سهل معلوم ، ولعله يكره هذه الولاية ويحب الجلوس بداره ويفرى من يتكلم فيه عندكم ، فان كان من ذكره لكم مثل مسعود أو تاودى فاتهمه ؟ وقد طالعنا فى جريدتكم انكم وجهتم مع زرع المعاصر مائة رام ، وهذا الذى ذكرتم ما نعلم انا كتبنا لكم عليه قط ، وانما كتبنا لكم على الزرع تحمّلونه فى البحر برسم المحلة التى هناك يخفق الوادى ، فان كان هو هذا فنحن أردناه للمحلة ، وان كان غيره فعرّفنا بقضيته ، فان زرع المعاصر انما يلزم اليهود والنصارى المكثرين للمعاصر ، وفيها أيضا ما أخبركم به أحمد بن محمد بن موسى بخبر ما سقط من القنطرة ، وانكم عنقتموه على عدم المبادرة وقد أنشكنا علينا الامر لانكم لم تعرفوا مقامنا بالساقط هل هو من التقديم أو من هذا الاصلاح الذى أمرنا به فعرّفنا لتكون على بصيرة من ذلك ؛ وفيها أيضا مسألة أولاد طاحنة قدبروا عليهم اما من عند ايسى أو غيره حتى لا يرجعون بنا شاكين . وولد ابراهيم بن الحداد الى الآن لم يصل ، وزمام الاسرى وصل . واما الدرافة التى ذكرتم فيها السلطنة المعدة لها عند صاحب بيت ثيابنا ، فوجه ليوسف العبد حتى تكلمه ومره يخبرها من عنده وركبها فى موضعها ولا تركب التى عندكم

بل تمسكونها لانفسكم . وإعلم انى تركت عند اولئك المعلمين أعنى معلمى
بركاضو سلاتى برسم ابتنا العزيزة طاهرة صانها الله وكلاها ، وحيث يفرغون
من الدرافة اجمعهم عليها كى نجد ذلك طالما ان شاء الله فاننا قد أمرنا بنسج
درايق تلکم السلاتى* . هذاء والمراد أن نجد السلاتى قد فرغ منها ان شاء الله .
وقصر الحيل مع الحمام حرض المعلمين على المبادرة باشتغالهما بهما ، وحاول
ان تسقفوا ذلك البلاط الذى يوالى سور القصبة من قصر الحيل والقبة التى
فيه لنجده كاملا ان شاء الله عند قدومنا عليكم ، وحتى سوارى الرخام
ركبوا فى تلك الجهة اذا سقفتهم ، ولا تزالوا تعرفونا بما تزايد من الاشغال فى
الموضعين المذكورين . وأوصيكم أعزكم الله أن تفقدوا فرسنا الاحمر الصغير
ولا تركوهم يعطونه القصيل لثلا يكثر لحمه ويزداد أله ، بل انظر له من
يركبه كل يوم بل لا تنزع السرج بالكلية عن ظهره يباض النهار كله .
أو أعطوه لصاحب المسرة يركبه فى ذهابه وإيابه لداره والمسرة ، وأوصو
أن لا يركبه غيره ولا ينزل عن ظهره النهار كله . وأوصيكم أيضا اذا ظهر
المرض بتلكم الناحية وخرجتم خروج يعن وسلامة بحول الله وقوته أن لا تركوا
وراءكم بنت عمكم والدة ولدنا العزيز بابا عبد الملك حفظه الله . وامر يوسف
العبد أن يخرج لكم من عند صاحب بيت الثياب القدر المحتاج اليه من الترياق
الجديد الذى كان بقبة المشور ويدخل على أيديكم لدارنا ، واستدعوا أم المال
فهرمانة الدار واعطها إياه برسم أهل دارنا ، وأمرها أن تعطيهم إياه فى كل
رابع من اليوم الذى يأكلونه فيه ، وهى أيضا تأكل منه ، والعبد يوسف أيضا
يأكل منه وحتى صاحب السقيف أعطوه منه أعنى مسعود بن مبارك ، والله
سبحانه يراعكم ويتولى حفظكم أنتم وأولادكم وقد استودعناكم الله الذى لا
تضيع لديه الودائع ، وأنتم فى أمان الله وحفظه ، والله سبحانه خليفتى عليكم
أنتم فى يمين الرحمن وكلنا يديه يمين ، والسلام الاتم عائذ عليكم ورحمة الله
تعالى وبركاته ، ونسلم على ولدنا الاعز الارضى بابا عبد الملك ، وعلى ابتنا
الرضية سيدة الملك ونحن فى غاية الاشتياق والتوحيش لها جمع الله بكم الشمل

* لعل العبارة فيها قلب وأصلها : بنسج سلاتى تلکم الدرايق .

جميعاً آمين ، بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله خير آل والسلام اه
قال مؤلفه عفا الله عنه : قد وقع فى كلام المنصور رحمه الله أمران
يحتاجان الى التنبيه عليهما ، الاول : اذنه لولده ابي فارس فى الخروج من
مراكش اذا ظهر بها أثر الوباء ولو شيئاً يسيراً وهذا الامر محظور فى الشرع
كما هو معلوم ومصرح به فى الاحاديث ، والثانى : أمره أياه أن لا يقرأ
البطاق الواردة عليه من السوس وانما يتولى قراءتها كاتبه بعد أن تغمس فى
الحل ، وهذا عمل من أعمال الفرنج ومن يسلك طريقهم فى تحفظهم من
الوباء المسعى عندهم بالكرتينة ، وقد اتفق لى فيها كلام أذكره هنا تسمياً
للفائدة ، وذلك انه لما كانت سنة ست وتسعين ومائتين وألف عرض لنا سفر
الى حضرة السلطان المولى أبى على الحسن بن محمد الشريف أيداه الله عز
وجل بمراكش المحروسة بالله فخرجنا من سلا أواخر ربيع الاول من السنة
المذكورة ، ومررنا فى طريقنا على المحب القائد الانبل أبى عبد الله محمد بن
ادريس الجرايى بئر الجديدة ، وهو يومئذ متول لعمله ، فأجل قدومنا على
عادته حفظه الله فى محبة العلم ومن ينتمى اليه ، وحضر معنا عنده بعض فقهاء
الوقت ، وكانت السنة سنة وباء ، فجرت المذاكرة فيما يستعمله النصارى فى
أمر الكرتينة من حبس المسافرين وشذاذ الاتفاق عن المرور بالسبل والدخول
الى الامصار والقرى ومنع الناس من مراقبتهم وأسباب معاشهم ؛ وحصل
التوقف تلك الساعة فى حكمها الشرعى ما ذا يكون لو أجريت على قواعد
الفقه ، ثم بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر وقفت على رحله العلامة الشيخ رفاعة
الطباطبائى المصرى فى اخبار باريز فرأيت ذكر فى صدرها : انه وقعت
المحاوراة بين العلامة الشيخ أبى عبد الله محمد المناعى التونسى المالكى المدرس
بجامع الزيتونة ، ومفتى الحنفية بها العلامة الشيخ أبى عبد الله محمد اليرم
فى اباحة الكرتينة وحظرها ، فقال المالكى بحرمتها وألف فى ذلك رسالة ،
واعتماده فى الاستدلال فيها على ان الكرتينة من جملة الفرار من القضاء .
وقال الحنفى باباحتها ، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة أيضاً . فلما
وقفت على هذا الكلام تجدد لى النظر فى حكم هذه الكرتينة وظهر لى أن

القول باباحتها أو حرمتها منظور فيه الى ما اشتملت عليه من مصلحة ومفسدة ولو مرسله على ما هو المعروف من مذهب مالك رحمه الله ، ثم يوازن بينهما وأتبعهما رجحت على الأخرى عمل عليها ، فإن استوتا كان درء المفسدة مقدما على جلب المصلحة كما هو معلوم فى أصول الفقه ، ونحن اذا امعنا النظر فى هذه الكرتينة وجدناها تشتمل على مصلحة وعلى مفسدة ، اما المصلحة فهى : سلامة أهل البلد المستعملين لها من ضرر الوباء ، وهذه المصلحة كما ترى غير محققة بل ولا مظنونة ، لانه ليست السلامة مقرونة بها كما يزعمون وانه مهما استعملها أهل قطر أو بلد الا ويسلمون لا دائما ولا غالبا بل الكثير أو الاكثر انهم يستعملونها وبالعون فى إقامة قوانينها ثم يصيبهم ما فروا منه كما هو مشاهد ؛ ومن زعم ان السلامة مقرونة بهذا دائما أو غالبا فعليه البيان اذ البينة على المدعى ، فتج من هذا أن مصلحة الكرتينة مشكوكه أو معدومة ، واذا كانت كذلك فلا يلتفت اليها شرعا بل ولا طبعيا لانها حينئذ من قبل العت . وأما المفسدة فهى : دينوية ودينية ، أما الدينوية فهى الاضرار بالتجار وسائر المسافرين الى الاقطار بحبسهم وتعويقهم عن أغراضهم وتعطيل مراقبتهم على أبلغ الوجوه وأقبحها كما هو معلوم ، واما الدينية فهى تشويش عقائد عوام المؤمنين والقدح فى توكلهم وإيهام ان ذلك دافع لقضاء الله تعالى وعاصم منه ، وناهيك بهما مفسدتين محققتين ترتكبان لشيء يكون أو لا يكون ، فان العامة - لقصور افهامهم - قد تذهب او هامهم مع هذه الظواهر فيقفون معها ويقعون فى ورطة ضعف الايمان عاذا بالله فان قلت : هذا الكلام فيه ميل الى سوء الظن بالعامة وهم جمهور الامة . قلت : ليس فيه ميل الى سوء الظن بهم وانما فيه تقرير الخوف عليهم والاحتياط لهم حتى لا تركهم هملا يفعلون ما شاؤا أو يفضل بهم ما يضرهم فى دينهم ودنياهم مع ان سد الذريعة قاعدة من قواعد الشرع لاسيما فى المذهب المالكي ، ولامر ما جاءت الشريعة المطهرة بمثلثة من التحذيرات من مكامن هذه المفسد ونحوها ورد الاسباب والمسببات كلها الى الله تعالى . مع ما فى استعمال هذه الكرتينة من الاقتداء بالاعاجم والتزوى بزي الكفرة الضلال ورمقهم بعين التعظيم ونسبتهم الى الاصابة والحكمة كما

قد يصرح به الحمقى من العوام . فاما اذا وافق قدر بالسلامة عند استعمالها فهي الفتنة والعاذ بالله ؟ فاي مفسدة اقبح من هذه ؟ فالحاصل ان الكرتينة اشتملت على مفسد كل منها محقق فتعين القول بحرمتها ، وجلب النصوص الشاهدة لذلك من الشريعة لا تعوز البصير . وقد ذكر العلامة الحافظ القسطلاني في تفسير سورة النساء من الجامع الصحيح عند قوله تعالى : « ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم » ما نصه : « دل ذلك على وجوب الحذر من جميع المضار المظنونة ومن ثم علم أن العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء والتحرز عن الجلوس تحت الجدار المائل واجب » اهـ . وهو يقتضى بظاهره أن الاحتراز عن الوباء واجب بأى وجه كان ، ولا يخفى أنه يتعين تقييده بالوجه الذى ليس فيه مفسدة شرعية ، كعدم القدوم على الارض التى بها الوباء ونحو ذلك مما وردت به السنة ولا تأباه قواعد الشريعة كبعض العلاجات المستعملة فى ابائه المنقولة عن أئمة الطب ، اما بالوجه الذى يشتمل على مفسدة أو مفسد كهذه الكرتينة فلا . هذا ما تحرر لنا فى هذه المسئلة والله أعلم .

ولما وقف على هذا الكلام اخونا فى الله العلامة الاستاذ أبو محمد عبد الله بن الهاشمى بن خضراء السلاوى وهو اليوم قاضى حضرة مراکش كتب الى ما نصه : « وأما حكم الكرتينة فهو ما ذكرتم من الخطر وبه أقول لما فيه من الفرار من القضاء مع المفسدات العظيمة التى لا تنفى بها مصلحتها على فرض تحققها أو غلبة ظن حصولها سيما وقد اتفقا بعد التجربة المتكررة فى الجهات المتعددة ، ولا يخالف فى هذا الحكم الا مكابر متبع للهوى فعاديا بعد الحق الا الضلال » ثم جلب حفظه الله من النصوص ما يشهد لذلك ، تركاها اختصارا والله تعالى الموفق بمنه .



وفاة المنصور رحمه الله



كان المنصور رحمه الله بعد فراغه من قضية ابنه المأمون قد عزم على الرجوع الى مراكش ، فلما بلغه ظهور الوباء بتلك الناحية تربص الى أن دخلت سنة اثنتى عشرة وألف فانتشر الوباء في بلاد الغرب أيضا فكان مصاب المنصور به على ما نذكره .

قال، صاحب الاصلية وهو الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بابي محلي : « كنا نسمع أن السلطان المنصور اذا خرج من مراكش قاصدا مدينة فاس لا يرجع الى مراكش ، وذاع هذا الخبر في الناس قبل نزوله فكان الامر كذلك ، ثم لا أدري من أين للناس بذلك ، هل أنطقهم الله به أو عن علم تلقوه عن أربابه وكأنه الاشبه والله أعلم » قال : « ومن هذا ما ذكره بعضهم أيضا لكن بعد الوقوع والنزول ، ان دخول رايات أبي العباس المنصور في حياته للسودان واستيلاءه على سلطانها سكية في دار امارته كاعو مع تبكتو وأعمالها ، كل ذلك من امارات خروج الامام المهدي الفاطمي ؛ وكذلك الوباء المنتشر في هذه الاعوام وكثرة الهرج والغلاء في سائر البلاد حتى الآن ، وبقي من امارات خروجه فيما نسمع فتح وهران اما على يده أو باذنه فيما يقوله من لا علم عنده بحقيقة الامر » اهـ .

وكان ابتداء مرض المنصور بمحلته خارج فاس الحديد قرب سيدي عميرة يوم الاربعاء حادى عشر ربيع النبوى سنة لاثنتى عشرة وألف ، ودخل انى داره بالمدينة البيضاء عشية ذلك اليوم واحتل بها بعد الغروب وتوفى هنالك ليلة الاثنين الموالى لتاريخه ، ودفن بآزاء مقصورة الجامع الاعظم هنالك ضحوة يوم الاثنين المذكور ، وحضر جنازته ولده زيدان وقدم للصلاة عليه مفتى فاس وخطيب جامع القرويين بها الفقيه أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار قال، اليفرنى : « كانت وفاة المنصور بالوباء » وقال الشيخ أبو محمد عبد الله بن يعقوب السمالى في شرحه للجامع شامل بهرام : « كان بالمغرب وباء

استطال به من سنة سبع الى سنة ست عشرة وألف ، وعم سهل المغرب وجبله
 حنى أفنى أكثر الخلق ومات به جمع من الاعيان ، وبه مات السلطان أبو العباس
 أحمد المنصور رحمه الله ، ونحوه ذكره صاحب الفوائد وغيره . قال اليفرنى :
 « وبه تعلم أن ما شاع على اللسان من ان المنصور سمه ولده زيدان بإشارة من
 أمه الشبانية فى باكور أوائل ظهوره ، وقطع عنه الاطباء الى أن هلك ، وان
 المنصور لما أحس بذلك قال : استعجلتها يازيدان لا هناك الله بها ؟ أو كلاما
 هذا معناه : قالوا : ويسبب ذلك لم تنصر لزيدان راية ، فانه انهمزم فى
 زهاء سبع وعشرين معركة كله كذب لا أصل له ، لان المنصور طعن بالبواب
 ولم يذكر أحد معن يوثق به ما شاع على السنة العامة وأضرابهم من الطلبة ،
 اه . ثم نقل المنصور رحمه الله بعد دفنه الى مراكش فدفن بها فى قبور الاشراف
 قبلى جامع المنصور من القصبة ، وقبره هناك شهير عليه بناء خفىل ، ومما
 نقش على رخامة قبره هذه الايات .

به المعالى تفتخر	هذا ضريح من غدت
لكل محمد مبتكر	أحمد منصور اللوا
بكل نعمى تستمر	يا رحمة الله اسرعى
من رضاه منهمر	وباكرى الرمس بما
ند كذكره العطر	وطيبى ثراه من
ة دون تفنيد ذكر	وافق تاريخ الوفا
عند ملك مقتدر	مقعد صدق داره



بقية اخبار المنصور وبعض سيرته



كان المنصور رحمه الله حسن السياسة حازما يقطا مشاورا فى مهمات الامور ، وكان قد اتخذ يوم الاربعاء للمشورة ، وسماه يوم الديوان ، تجتمع فيه وجوه الدولة ويتطرحون فيه وجوه الرأى فيما ينبو من جلائل الامور وعظيم النوازل ؛ وهنالك يظهر شكايته من لم يجد سبيلا للوصول الى السلطان ، قالوا : ومن حزمه انه كان متطلعا لخبار النواحي بجانا عنها ، غير متراع فى قراءة ما يرد عليه من رسائل عماله ولا يبطىء بالجواب ، ويقول : « كل شىء يقبل التأخير الا مجاوبة العمال عن رسائلهم » . وكان الكتاب لا يفارقون مراكزهم الا فى أوقات مخصوصة .

قال الفشتالى : « ولقد كنا بالبلب يوما - يعنى معشر الكتاب - قبل أن يخرج المنصور فورد النذير على الكاتب أبى عبد الله محمد بن على الفشتالى بأن ولدا له فى النزاع فلم يملك نفسه أن ذهب الى داره ، فخرج المنصور على اثره فسأل عنه ، فقيل انه ذهب الى داره ، فاستشاط غضبا وبعث اليه فجىء به مزعجا ، وما شككنا فى عقوبته ، فلما مثل بين يديه قال له : « ما الذى ذهب بك ؟ » فذكر له أمر ولده وانه اشتد به المرض ولم ينجع فيه دواء طيب ، فرق له وقال : « ان امراض الصبيان قلما ينجع فيها الا طب المعجائز ، ولا كمعجائز دارنا فابعت من يسألهن » .

ومن حزمه انه اخترع أشكالا من الخط على عدد حروف المعجم وكان يكتب بها فيما يريد أن لا يطلع عليه أحد يمزج فيها الخط المتعارف فيصير الكتاب مغلقا ، فاذا سقط ووقع فى يد عدو أو غيره لا يدري ما فيه ولا يعرف معنى ما اشتمل عليه ؛ فكان اذا جهز أحد أولاده ناوله خطا من تلك الخطوط يفك بها رسائله اليه ويكتب عنوانه كذلك .

ومن ضبطه أنه تعلم الخط المشرقى فكان يكتب به علماء المشرق كتابة كاحسن ما يوجد فى خط المشاركة ، ومما وقع له فى ذلك : أنه بعث بطاقة

بخط يده على طريقة أهل المشرق لكتابه أبي عبد الله ابن عيسى يسندعى منه
كتابا ، فبعثه ابن عيسى لآليه وبعث معه بهذين البيتين :

سقتني كؤس السرور دهاقا خطوط أتنسى في مهرق

رأت كف أحمد في الغرب بحرا فجاءت اليه من المشرق

وكان المنصور على ما هو عليه من ضخامة الملك وسعة الخراج يوظف
على الرعية أموالا طائلة يلزمهم بأدائها ، وزاد الأمر على ما كان عليه في عهد
أبيه حسبما مر ، وكانت الرعية تشتكى ذلك منه ونالها اجحاف منه ومن
عماله ، وكان غير متوقف في الدماء ولا هيب للوقعة فيها . قال الفرني :
« وتبع ما وقع في ذلك يناقض المقصود من الاغضاء عن العورات والسر
على الفضائح ، وقد ألعنا لك بما يكون دلا على ما وراه » . وذكر أن بعض
عمال المنصور عدا على امرأة من دكالة فأخذ منها أموالا فقدمت المرأة على
المنصور بمراكش تشكو له ما نالها من عامله ، فلم يشكها ولا كشف ظلامتها
فخرجت الى أولادها بالباب وقالت لهم : « انصرفوا فاني كنت أظن ان راس
العين صافية فاذا بها مكدرة فلذا تكدرت مصارفها » .

ويحكى أن الفقيه القاضي أبا مالك عبد الواحد الحميدى قد سافر في
جمع من فقهاء فاس وأعيانها الى مراكش بقصد العيد مع المنصور كما هي
العادة ، فمروا في طريقهم على جماعة رجال ونساء قد سلخوا في سلسلة
واحدة ، وفيهم امرأة أخذها الطلق وهي في كرب المخاض ، فرأوا من ذلك
ما أهمهم وأحزنهم ؛ فبقى ذلك في نفس القاضي ، فلما جلس الى المنصور
ذكره له وأظهر الشكاية منه ، فسكت المنصور عن جوابه وهجره على ذلك
أياما ، ثم ان القاضي تلطف في القول وأظهر التوبة مما صدر منه وعدها
بادرة ، فقال له المنصور : « لولا ما رأيت ما أمكنك أن تجيء مع أصحابك
مسيرة عشرة أيام في أمن ودعة ، فان أهل المغرب مجاين ماستانهم هي
السلاسل والاغلال » .

ولقد وفد القاضي المذكور على المنصور في بعض المواسم مع الفقهاء
فلما انصرفوا من الحضرة جمعهم الطريق بأرباب الموسيقى وأصحاب الاغاني

من أهل فاس ، وقد كانوا وفدوا أيضا على المنصور على سبيل العادة ، فأخرج بعضهم شبابة من الأبريز مرصعة أعطاه إياها المنصور ، وبعضهم قال أعطاني كذا ، وقال الآخر أجازني بكذا ، مما لم يعط مثله للقاضى وشيعته من الفقهاء ، فقال القاضى : « لئن بلغت فاسا لأردن أولادى الى صنعة الموسيقى ، فان صنعة العلم كاسدة ، ولولا ان الموسيقى هى العلم العزيز ما رجعنا مخفقين ، ورجع المغنى شبابة الأبريز » فنقل الى المنصور هذا الكلام فلذعه عليه يسير من السلام .

وذكر أبو زيد فى الفوائد ما صورته : « عدا محمد الكبير خال المنصور على رجل بدرعة فى ضيعة له فشكاه الى المنصور ، فقال له : « كم تساوى ضيعتك ؟ » قال : « سبعمائة أوقية » قال : « خذها وقيل لحالى الموعد يبنى وينك الموقف الذى لا أكون أنا فيه سلطان ولا أنت خال السلطان » فرجع صاحب الضيعة وأبلغ الى العامل كلام المنصور ، فأسك برأسه ساعة ثم قال له : « ألق بضيعتك ، وغرم له كل ما أكل منها » اهـ .

وقال فى المناهل : « كان للمنصور مصانع اخترعها ومآثر خلفها منها : المعقلان الكبيران اللذان أنشأهما بفاس ، أحدهما خارج باب عجيسة ، والآخر قبالة باب الفتوح ؟ وهذان المعقلان يعرفان عند العامة بالبستيون ، وهما من الاتقان بحيث لا يعرف قدرهما الا من وقف عليهما ، وكان الشروع فى بنائهما يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الاول سنة تسعين وتسعمائة . ومن ذلك الحصان اللذان بناهما بئر العرائش أحدهما يعرف بحصن الفتح ، وهما أيضا فى نهاية الوتافة والحسن . ومن ذلك معاصر السكر فانه أحدثها بعراكش وبلاذ حاحة وشوشاوة . قال الفشتالى : « وكان ابتداء ذلك والده أبو عبد الله الشيخ فكرر السكر فى أيامه بالبلاد المغربية حتى لم تكن له قيمة ، وقد تقدم انه كان يشتري الرخام من النصارى بالسكر ؟ ومن مآثره الليلة العظمى مع كرسيا من المرمر بجوامع القرويين تحت منار الجامع المذكور ، وقد تقدم الخبر عنها . وقال ابن القاضى فى «المنتقى المقصور» : « ان اللباس المسمى بالنصورية - وهو لباس من الملف - لم يكن مستعملا قبله ، وهو أول

من اخترعه واضيف اليه قليل المنصورية .

وكان فى مدة المنصور من الاحداث أنه :

فى سنة سبع وثمانين وتسعمائة وقع غلاء عظيم بالمغرب حتى عرف ذلك العام بعام البقول ، قال فى المرأة : « لما انتهب الناس غنيمة وادى المخازن كان الناس يتوقعون مغبتها لاختلاط الاموال بالحرام فظهر أثر ذلك من غلاء وغيره وكنا نسمع ان البركة رفعت من الاموال من يومئذ . وفى هذه السنة ايضا اصاب الناس فى بعض فصولها سعال كثير قل من سلم منه ، وكان الرجل لا يزال يسعل الى أن تفيض نفسه فسمى العامة تلك السنة سنة كجيكحة .

وفى سنة احدى وتسعين وتسعمائة توفى الشيخ العارف بالله تعالى الكبير الشأن أبو النعم رضوان بن عبد الله الجنوى نسبة الى جنوة من بلاد الفرنج ، كان أبوه نصرانيا وأمه يهودية ؛ وسبب اسلام والده ما حكاه أبو العباس الاندلسى فى رحلته : انه كان له فرس ببلده جنوة فانطلق ليلا ودخل الكنيسة العظمى وراث فيها من غير أن يشعر بذلك أحد من السدنة ولا غيرهم ، ثم بادر باخراج الفرس ؛ ولما أصبح أهل الكنيسة ورأوا الروث قالوا : « ان المسيح جاء البارحة على فرسه الى الكنيسة وراث فيها » فاهتز البلد لذلك وتنافس النصارى فى شراء ذلك الروث حتى بيع قدر الذرة منه بعمال جزيل ، فعلم أن النصارى على ضلال وهاجر الى بلاد الاسلام فنزل برباط الفتاح من أرض سلا فوجد هناك امرأة يهودية فتزوج بها وولدت له الشيخ أبا النعم ، فنشأ مثلا فى العلم والولاية ومحبة للنبي صلى الله عليه وسلم . وكان رضى الله عنه يقول : « خرجت من بين فرث ودم » ؛ أخذ الطريقة عن أبى محمد الغزوانى وقدم عليه مراکش ثم عاد الى فاس فمات بها فى السنة المذكورة ودفن خارج باب الفتوح .

وفى سنة خمس وتسعين وتسعمائة توفى الشيخ العلامة الامام أبو العباس أحمد بن على المنجور ، كان متبحرا فى العلوم خصوصا أصول الفقه ، أخذ عن اليسيتى وأبى زيد سقين العاصمى وأبى الحسن بن هرون وأبى مالك الوائيسى وغيرهم .

وفي سنة سبع وتسعين وتسعمائة توفى الشيخ أبو الشتاء الشاوى دفين جبل أمركو من بلاد فشتالة ويقال اسمه محمد بن موسى وكنى بأبى الشتاء لان الناس قحطوا ولجأوا اليه فسقوا فى الحين ، وهو من أصحاب الشيخ الغزوانى . ويقال : ما لقيه الا مرة بقيلتها الشاوية فعينه ومكنه فهم على وجهه وكان من أمره ما كان .

وفى ثامن عشر ربيع الثانى سنة ثلاث وألف توفى القاضى أبو محمد عبد الواحد بن احمد الحميدى ودفن بروضة الشيخ أبى زيد الهزميرى خارج باب مصمودة من عدوة فاس الاندلس وقد تقدمت بعض أخباره .

وفى سنة أربع وألف توفى الشيخ أبو الحسن على بن منصور البوزيدى المعروف بأبى الشكاوى دفين شاة وبها كان سكناه ، أخذ عن الشيخ المجذوب وأبى الرواين المحجوب وغيرهما ، وأولاده يتسبون الى عيسى بن ادريس الحسنى دفين آيت عتاب والله تعالى أعلم .

وفى سنة ست وألف توفى الشيخ الربانى أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعرى دفين تاستاوت من مشاهير الاولياء ، كان أول نشأته بمكناسة الزيتون ثم خرج الى البادية بعد أن صعبت عليه القراءة ، ورأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : « انك لن تقرأ ولكنك شيخ » فخرج الى البادية وكان يظن انه يكون من الشياخ القائل حتى هبت عليه نفحة رحمانية فقدم مراكش وأخذ عن الشيخ أبى عمرو القسطلى ورجع الى باديته فبنى مسجدا فى الموضع الذى عين له شيخه لسكناه ، فيقال انه لما قيل له جعلت محرابه منحرفا عن القلة اشار بيده الى جهة مكة فترحزحت الجبال حتى شاهد الحاضرون مكة والله على كل شى مفدير وكان الشيخ ابوعبدالله محمدا الشرقى معاصرا له فقبل له : ان الشيخ ابن مبارك قال : « أهل زماننا محسوبون علينا » فقال : « اشهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك . وفى هذه السنة أيضا كان الطاعون العظيم بمراكش وغيرها بحيث عم تلون المغرب واستطال فيها ومات به جمع من الاعيان منهم الشيخ ابن مبارك المذكور .

وفى سنة تسع وألف فى جدى الآخرة منها كان سليل عظيم بفاس ،

ثم فى شعبان من السنة المذكورة كان سيل أعظم من الاول تهدمت منه الدور والخوانيت ، وتهدم سد الوادى بفاس على وثاقه وأحكامه ، وهذا السد هو الذى كان جده السلطان أبو العباس أحمد الوطاسى ، ثم جده المنصور فى هذه المرة من أحباس القرويين .

وفى سنة عشر وألف توفى الشيخ العارف بالله الربانى أبو عبد الله ، ويقال أبو عبيد محمد (فتح) الشرقى ابن الولى الصالح أبى القاسم الزعرى الجابرى ثم الرغنى (*) ، هكذا نسبه صاحب المرأة وغيره ، ورفع أبو على المعدائى فى كتابه « الروض الفائح » نسبه الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم نقل عن حفيده العارف بالله تعالى أبى عبد الله محمد الصالح ابن المعطى ما نصه : « ان الشيخ سيدى محمد الشرقى لم توجد هذه النسبة المعرية بخطه فيما عثرنا عليه ، أما بنو أخيه وبنوه وحفدته فقد وجدت بخط الثقة منهم وتواتر نقلها عنهم وكتب فى اجازاتهم وكذا فى تليكاتهم » اه وهذا الشيخ - أعنى أبا عبد الله الشرقى - كان من أكابر أهل وقته ، يقال أنه بلغ درجة القطبانية وتخرج به جماعة من الاولياء ، وبث إليه المنصور جماعة يختبرونه فظهرت لهم كراماته ، واتفقت له مع الشيخ المنجور كرامة حملته على أن وفد عليه زائرا ومدحه بقصيدة ذكر بعضها اليفرنى فى الصفوة ، وله مع أبى المحاسن الفاسى مراسلات ومواصلات ، ووقع بينهما كلام طويل لانظر « ابتهاج القلوب » ؛ أخذ رضى الله عنه عن والده عن الشيخ التباع واعتمد على الشيخ الكبير أبى عبد الله محمد بن عمرو المختارى من أحواز

(*) وفى (نشر المثانى) عن الشيخ أبى عبد الله المسناوى فى نسب اشيوخ المذكور السمرى هكذا بلفظ التصغير قال وأولاد سمير بالتصغير ينتسبون الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى تقييد المؤلف المتع : ما نصه : (هو من بنى جابر ثم من ورديفة ثم من الرثمة ثم من اولاد بحر ثم من أولاد سمير وكلهم ينتسبون الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه) اه من خط مؤلفه

مكناسة ، وأخذ أيضا عن ابن مبارك الزعري وأبى محمد بن ساسى ، وتوفى
 أوائل المحرم من السنة المذكورة ودفن بجديدان وقبره شهير نفعا الله به
 وسائر أهل الله .



تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس
 وأولـه :

الخبر عن دولة السلطان أبى المعالى زيدان بن أحمد المنصور رحمه الله تعالى

فهرس الموضوعات

محمدة

- ٣ الحبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان وذكر اوليتهم وتحقيق نسبهم
- ٦ الحبر عن دولة الامير ابى عبد الله محمد القائم بأمر الله وبعته والسبب فيها
- ٨ أول نائبة فرضت فى دولة السعديين
- ١٢ أخبار الامير ابى عبد الله القائم فى الجهاد وما هيا الله له من النصر فيه
- ١٣ عقد الامير ابى عبد الله القائم ولاية العهد لابنه ابى العباس الاعرج رحمهما الله تعالى
- ١٣ انتقال الامير ابى عبد الله القائم الى آفغال من بلاد حاحة ووفاته بها رحمه الله
- ١٤ الحبر عن دولة السلطان ابى العباس الاعرج ابن الامير ابى عبد الله القائم رحمه الله
- ١٥ دخول السلطان ابى العباس الاعرج مراکش واستلاؤه عليها
- ١٥ نقل الشيخ الجزولى رضى الله عنه من مدفنه بآفغال الى مراکش والسبب فى ذلك
- ١٦ مجيء السلطان ابى عبد الله الوطاسى الى مراکش وحصاره للسلطان الاعرج بها ثم افلاعه عنها
- ١٦ خبر آسفى والثغور
- ١٧ حدوث النفرة بين الاخوين السلطان ابى العباس الاعرج وإزيره ابى عبد الله الشيخ وما نشأ عن ذلك

- ١٨ امر زيدان ابن السلطان ابي العباس وما كان منه
الخبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد المهدي
- ١٩ المعروف بالشيخ ابن الامير ابي عبد الله القائم بأمر الله
فتح حصن فوتي وآسفي وآزمور وما قيل في ذلك
- ٢٠ بناء حصن آكادير
- ٢١ - باستيلاء السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ على مراکش
وتجديد البيعة له بها
- ٢٢ نهوض السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ لحرب بنى
وطاس واستيلاؤه على مكناسة وما اتفق له في ذلك
- ٢٣ حصار السلطان ابي عبد الله الشيخ حضرة فاس ومقتل
الشيخ عبد الواحد الوائش رضى الله عنه
- ٢٤ - لاستيلاء السلطان ابي عبد الله الشيخ على فاس وقبضه
الوطاسيين وتغريبهم الى مراکش
- ٢٥ نهوض السلطان ابي عبد الله الشيخ الى تلمسان واستيلاؤه
عليها
- ٢٦ امتحان السلطان ابي عبد الله الشيخ ارباب الزوايا والمتسبين
والسبب في ذلك
- ٢٧ وفادة الامام ابي عبد الله الحروبي من جانب دولة الترك
في شأن قسم البلاد وتجديدها
- ٢٨ قدوم ابي حسون الوطاسي بجيش الترك واستيلاؤه على
فاس ونفيه الشيخ عنها
- ٢٩ - سرعود السلطان ابي عبد الله الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها
مقتل الفقيهين ابي محمد الزقاق وأبي علي حرزوز
- ٣٠ والسبب في ذلك
- ترتيب السلطان ابي عبد الله الشيخ امر دولته وما قيل
في ذلك

- ٣٠ - بناء جسرى وادى سبو وام الربيع
- ٣٠ - وضع الوظيف المسمى فى لسان العامة بالنائبه
- مراسلة السلطان سليمان العثمانى للسلطان ابنى عبد الله
- ٣١ - الشيخ وما نشأ عن ذلك
- قدوم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثمانى
- ٣٢ - واغتيالهم للسلطان ابنى عبد الله الشيخ رحمه الله
- ٣٥ - بقية اخبار السلطان ابنى عبد الله الشيخ وسيرته
- الخبر عن دولة السلطان ابنى محمد عبد الله الغالب بالله
- ٣٨ - ابن السلطان محمد الشيخ رحمه الله
- مجيء حسن بن خير الدين التركى الى فاس ورجوعه
- ٣٩ - منهزما عنها
- بناء جامع المواسين بحضرة مراکش والبركة المتصلة به
- ٣٩ - والمارستان وغير ذلك
- ٤١ - فتح مدينة شفشاون وانقراض امر بنى راشد منها
- ٤٢ - حصار البريجة المسماة اليوم بالجديدة
- وفادة السلطان الغالب بالله على الشيخ ابنى العباس أحمد
- ٤٧ - ابن موسى السملالى رضى الله عنه
- ٤٨ - وفاة الشيخ أبى عمرو القسطلى دفين مراکش رضى الله عنه
- ٤٩ - لستيلاء النصارى على حجر ياديس والسبب فى ذلك
- ٥٠ - فتنة الفقيه ابنى عبد الله الاندلسى ومقتله
- ٥٠ - ظهور بدعة الشراقة من الطائفة اليوسفية وما قيل فيهم
- لاحتيال النصارى بمكيدة البارود بجامع المنصور من مراکش
- ٥٢ - وما وقى الله تعالى من شرها
- ٥٢ - وفاة السلطان ابنى محمد عبد الله الغالب بالله رحمه الله
- ٥٣ - بقية اخبار السلطان الغالب بالله وسيرته

- ٥٧ الحبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد المتوكل على
الله ابن السلطان الغالب بالله رحمه الله
- ٥٩ الحبر عن دولة السلطان ابي مروان عبد الملك المعتصم بالله
ابن محمد الشيخ واولية امره وماله
- ٦١ مجيء السلطان ابي مروان عبد الملك بن الشيخ السعدى
بمسكر الترك واستيلاؤه على المغرب
- ٦٤ استيلاء السلطان ابي مروان عبد الملك المعتصم على حضرة
فاس وما يتبع ذلك
- ٦٥ نهوض السلطان ابي مروان الى مراكش واستيلاؤه عليها
وفرار ابن اخيه الى السوس وما نشأ عن ذلك
- ٦٦ استخلاف السلطان ابي مروان لاخته ابي العباس احمد
على فاس واعمالها
- ٦٧ ظهور ابي عبد الله المتوكل بالسوس ومجيئه الى مراكش
واستيلاؤه عليها
- ٦٩ الغزوة الكبرى بولدى المخازن من بلاد الهبط والسبب
فيها
- ٨٦ بقية اخبار السلطان ابي مروان وسيرته
- ٨٧ وفاة الشيخ عبد الله بن سامي
- ٨٧ وفاة الشيخ عبد الله الهبطي
- ٨٨ وفاة الشيخ احمد بن موسى
- ٨٨ وفاة الشيخ عبد الرحمن المجذوب
- ٨٨ وفاة الشيخ عبد الله بن حسين دفين تامصلوحت
- ٨٩ الحيز عن دولة السلطان ابي العباس احمد المنصور بالله
السعدى المعروف بالذهبي واوليته ونشأته
- ٩١ هدية الاضيول والبرتغال للمنصور السعدى
- ٩٣ عقد المنصور ولاية المهدي لابنه محمد الشيخ المدعو المأمون

- ثورة داود بن عبد المومن بن محمد الشيخ والسبب
 ٩٤ فى ذلك
- حدوث الثورة بين المنصور والسلطان مراد العثماني وتلافي
 ٩٥ المنصور لذلك
- إيقاع المنصور بعرب الحلوط والسبب فى ذلك
 ٩٧ استيلاء المنصور على بلاد الصحراء تيكورارين وتوات
 ٩٨ وغيرهما
- تلخيص القول فى سودان المغرب والإشارة الى ممالكهم
 ٩٩ ودولهم من لدن الفتح الإسلامى الى هذا التاريخ
- وصول هدية صاحب برنو الى المنصور بحضرة فاس وما نشأ
 ١٠٣ عن ذلك من بيعته له والتزام طاعته
- بعث المنصور رسوله بالدعوة الى آل سكيّة وما دار بينهم
 ١١١ فى ذلك
- مفاوضات المنصور الملاّ من أصحابه فى غزو آل سكيّة وما
 ١١٢ دار بينهم فى ذلك
- استجازه المنصور لعلماء مصر رضى الله عنهم وتلمذه لهم
 ١١٥ تجديد المنصور ولاية العهد لابنه المأمون وما وقع فى ذلك
- ثورة الحاج قرقوش ببلاد غمارة ومقتله
 ١١٧ بناء المسجد الجامع بباب ذكالة من حضرة مراکش
- حرسها الله
 ١١٧ بعث المنصور ببيلة الرخام الى جامع القرويين من فاس
- حرسها الله
 ١١٨ غزو السودان وفتح مدينة كاغو ومقتل سلطانها اسحق
- سكيّة رحمه الله
 ١٢١ وفاة ام المنصور الحرة مسعودة الوزكيتية رحمهما الله
- حكم شرب الدخان
 ١٢٦

- نكبة الفقيه ابي العباس احمد بابا السوداني وعشيرته من
 ١٢٩ آل آيت والسبب في ذلك
 ١٣١ حكم لاسترقاق اهل السودان
 ١٣٤ بناء قصر البديع بحضرة مراکش حرسها الله
 ١٤٥ ثورة الناصر ابن السلطان الغالب بالله ببلاد الريف ومقتله
 ١٥١ ذكر احتفال المنصور بالمولد الكريم واعتائه بسائر الاعياد
 ١٦٣ ذكر سيرة المنصور في ترتيب جيوشه وحالات اسفاره
 انتفاض ولى العهد محمد الشيخ المأمون على ابيه المنصور
 ١٦٩ وما آل اليه امره في ذلك
 ١٧٥ وفاة الشيخ أبى الشتاء رحمه الله
 ١٨٣ حكم الكرنتينة
 ١٨٦ وفاة المنصور رحمه الله
 ١٨٨ بقية أخبار المنصور وبعض سيرته
 ١٩٠ البرجان المعروفان بالبستون بفاس
 ١٩١ وفاة الشيخ ابي النعيم الجنوى
 ١٩١ وفاة الشيخ ابي العباس المنصور
 ١٩٢ وفاة القاضى ابي محمد عبد الواحد الحميدى
 ١٩٢ وفاة الشيخ أبى الحسن البوزيدى المعروف بأبى الشكاوى
 ١٩٢ وفاة الشيخ محمد بن مبارك الزعرى
 ١٩٣ وفاة الشيخ أبى عبيد الشرقى

فهرس الاعلام والقبائل



حرف (أ)

ابن غانية ١١٣	آل آقبت ١٣٠
ابن النحاس ١٢٠	آل سكية ١٠١ - ١٠٢ - ١١١
ابن اليسع ١٤٣	آل عثمان ٩٧
ابو اسحاق ابراهيم بن يعقوب	أبرويز ١٦٤
الكانمي ١٠٢	ابن الابار ١٤٤
ابو اسحاق ابراهيم السفينى ١٦٩	ابن بطوطة ٣٩
ابو اسحاق التونسى ٤٠	ابن تودة ٥٤
أبو اسحاق الطويجن ١٠١	ابن حجر ٣٦
ابو البقاء عبد الوارث الباصلوتى	ابن حزم الظاهرى ٥٠
٨٧ - ٥١	ابن حسين ٥٤
ابو بكر بن عمر اللتونى ١٠٠	ابن الخطيب ٣٠
١١٤ -	ابن خلدون ٢٢ - ١٣٣
ابو تمام ١٢٢	ابن خلكان ١٠٢
ابو حامد الغزالى ١٣٢	ابن سينا ٤٠
ابو الحجاج التليدى ٨٧	ابن شقراء ٥٤ - ٥٨ - ٦٤
ابو الحسن بن المنصور السعدى	ابن عباد ٧٥
١١٧	ابن عباس ١٣٠
ابو الحسن بن ابى بكر آزنالك	ابن عبد السلام ٥
الحاحى ٣٤ - ٣٧	ابن عبد الله ٥٠
ابو الحسن على بن ابى بكر السكتانى	ابن عرفة ٥
٣٤ - ٣٧	

- ابو الحسن على بن ابي طالب ٧٤
 ابو الحسن على بن احمد الحصاصي ٣٧
 ابو الحسن على بن احمد المسفيوي ١٥٢
 ابو الحسن على بن سليمان التاملي ١٦٧
 ابو الحسن على بن عبد الله ٥١
 ابو الحسن على بن عثمان التاملي ٣٦ - ٨٧
 ابو الحسن على بن محمد التامجروتي ١٥٣
 ابو الحسن على بن منصور البوزيدي
 - ابو الشكاوي - ١٤٦ - ١٩٢
 ابو الحسن على بن منصور الشيطمي
 ٦٨ - ١٤١ - ١٥٢ - ١٥٦
 ابو الحسن على بن موسى بن راشد ٤١
 ابو الحسن على بن مروان ٣٥
 - ١٩١
 ابو الحسن المريني ٣٩ - ١٠١
 ابو حسون الوطاسي ٢٥ - ٢٨
 - ٢٩ - ٣٢ - ٩٧
 ابو حفص عمر بن الشيخ ١٢١
 ابو حيان ٧٥
 ابو داود ١٥٦
 ابو راشد يعقوب البدرى ٣٥ -
 ٨١
 ابو الرواين المحجوب ٢٤ -
 ١٩٢
 ابو زكرياء بن عبد المنعم ١١٦
 ابو زكرياء يحيى بن عبد الله
 الحاحي ٥٤
 ابو زيان المريني ٣٠
 ابو زيد ١٩٠
 ابو زيد سقين العاصمي ١٩١
 ابو زيد عبد الرحمن بن تودة
 العمراني ٤٢
 لابو زيد عبد الرحمن بن عياد
 العنهابي - المجذوب - ٨٨ -
 ٩٠ - ١٩٢
 ابو زيد عبد الرحمن التامناتي ٩٠
 ابو زيد عبد الرحمن التلمساني
 ٥٣
 ابو زيد عبد الرحمن الفاسي ٧
 ابو سالم المريني ١٠١
 ابو السرور عياد السومسي ٥٣
 ابو سليمان داود بن عبد المؤمن
 ابن محمد الشيخ ٩٤
 ابو الشتاء الشاوي - محمد بن
 موسى - ١٧٥ - ١٩٢

- ابو العباس احمد الاعرج بن ابي
عبد الله محمد القائم بامر الله
السعدى ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢
١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ -
١٧ - ١٨ - ١٩ - ٣٤ -
٣٧ - ٥٢
- ابو العباس احمد آفغاي ١٦٥
ابو العباس احمد بابا السودانى ١٠٣
١٢٩ - ١٣٢ - ١٣٣ -
ابو العباس احمد بن ابي القاسم
الصومى ١٤٦
ابو العباس أحمد بن الحداد العمرى
٩٨
ابو العباس احمد بن عبد الله
الدغوى ٩٠
ابو العباس احمد بن عبد الله
السجلماسى ابو محلى ١٨٦
ابو العباس احمد بن عبد الله
الوزكى ١١٧
ابو العباس احمد بن عبد المؤمن
القيسى الشريشى ٩٩
ابو العباس احمد بن علي المنجور -
٢٣ - ٣٦ - ٣٧ - ٥٦ -
١٦٧ - ١٦٨ - ١٩١ - ١٩٣ -
ابو العباس احمد بن
موسى الجزولى السملالى ٣٩ -
- ٤٧ - ٥٣ - ٥٧ - ٨٨ -
ابو العباس احمد بن يحيى الهوزالى
٩٦
ابو العباس احمد بن يوسف
الراشدى ٥٠ - ٥١ - ٨٨
ابو العباس احمد الزمورى ٥٦
ابو العباس احمد المنصور بالله بن
أبى عبد الله الشيخ السعدى ٤ - ٥
٣١ - ٣٤ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١ -
٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦ -
٦٧ - ٦٨ - ٧٩ - ٨٠ -
٨٢ - ٨٤ - ٨٦ - ٨٩ - ٩١
٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ -
٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩
١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ -
١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ -
١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ -
١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ -
٢٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٤ -
١٣٥ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ -
١٤٦ - ١٤٧ - ١٥١ -
١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٣ -
١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ -
١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٥ -
١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨٣ -

- ابو عبد الله محمد بدر الدين ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩
 القرافي - ١١٥ - ١٤٧ ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٣
 ابو عبد الله محمد بن ابراهيم ١١٩
 ابو شامة - ٢٣
 ابو عبد الله محمد بن يحيى ٩٤
 ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن
 البكري ١١٥
 ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن
 ابن راشد ٤١
 ابو عبد الله محمد بن ابي عبد
 القادر السعدي ٣٦
 ابو عبد الله محمد بن احمد بن
 عيسى ١٦٩
 ابو عبد الله محمد بن ادريس
 الجراي ١٨٣
 ابو عبد الله محمد بن بركة ٩٨
 ابو عبد الله محمد بن الحسن - ابو
 الليف - ١٢٠
 ابو عبد الله محمد بن حسن
 الامغاري ٥٣
 ابو عبد الله محمد بن سليمان
 الجزولي ١٤ - ١٥ - ٣٤
 ابو عبد الله محمد بن الشيخ ابي
 زكرياء المالكي - كدار - ٩٠
 ابو عبد الله محمد بن الطيب ٩٢
 ابو عبد الله محمد بن عبد القادر
- ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩
 ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٣
 ابو العباس احمد النقيس ١١٩
 ابو العباس احمد الوطاسي ١٧ -
 ٢٢ - ١٩٣
 ابو العباس الاندلسي ١٩١
 ابو العباس بن افاضي - ٦ - ٨
 ١٤ - ١٧ - ١٩ - ٢٠ - ٣٩
 ٥٢ - ٥٨ - ٦٩ - ٨٦ - ١١٨
 ١١٩ - ١٤٦ - ١٩٠
 ابو العباس بن ودة العمراني ٩٦
 ابو العباس المقرئ ٤
 ابو عبد الله ابن الاحمر ١٢
 ابو عبد الله بن عيسى ٦٨ - ١٨٩
 ابو عبد الله الترغى ٤٧
 ابو عبد الله الخروبي ٣١ - ٥١
 ابو عبد الله الشرفي ١٩٢
 ابو عبد الله العوفي ٥٧
 ابو عبد الله الزوار ٣٨
 ابو عبد الله المتوكل على الله بن عبد
 الله الغالب بالله - المسلوخ - ٤٢
 ٥٧ - ٥٨ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٩
 ٧٩ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤
 ٨٥ - ١٦٣
 ابو عبد الله محمد الاندلسي ٥٠

- السعدى ٥٥
 ابو عبد الله محمد بن عذارى
 الاندلسى ١٤٢
 ابو عبد الله محمد بن عسكر ٨١
 ابو عبد الله محمد بن على بن
 ريسون ١٤٥
 ابو عبد الله محمد بن على الفشتالى
 ١١٩ - ١٥٢ - ١٨٨
 ابو عبد الله محمد بن على الهوزالى
 - الثابتة ٩٢ - ١٥٢
 ابو عبد الله محمد بن عمر
 الشاوى ١٤٦
 ابو عبد الله محمد بن عمرو
 المختارى ١٩٣
 ابو عبد الله محمد بن قاسم
 القصار ١٤٥ - ١٨٦
 ابو عبد الله محمد بن مبارك
 الزعري ١٩٢ - ١٩٤
 ابو عبد الله محمد بن مبارك
 الاقوى - ٧
 ابو عبد الله محمد اليرم ١٨٣
 ابو عبد الله محمد الحبران
 السعدى ٣٧
 ابو عبد الله محمد زين العابدين
 البكرى ١٤٧
 ابو عبد الله محمد الشرقى ١٤٦
 ابو عبد الله محمد الشيخ السعدى
 - المهدي - بن ابي عبد الله القائم
 بأمر الله - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٣
 ١٧ - ١٨ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤
 ٢٥ - ٢٦ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠
 ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤
 ٣٥ - ٣٧ - ٥٢ - ٧٨
 ٧٩ - ٩٠ - ٩٧ - ٩٨
 ابو عبد الله محمد الشيخ المامون
 بن المنصور ٩٣ - ٩٤ - ١٠٤
 ١١٦ - ١١٧ - ١٢٦ - ١٤٦
 ١٤٨ - ١٨٦ - ١٩٠
 ابو عبد الله محمد الصالح بن
 المعطى - ١٩٣
 ابو عبد الله محمد العربى
 الفاسى ٦٩
 أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله
 السعدى ٣ - ٦ - ٨ - ١٢
 ١٣ - ١٤ - ١٥ - ٢٦ - ٧١
 ابو عبد الله محمد المناعى ١٨٣
 ابو عبد الله محمد الهبطى ٨١
 ابو عبد الله النيجى ٥١
 ابو عبد الله الهزيمى ١٦٧
 ابو عبد الله الوطاسى البرتغالى ٨
 ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٦
 ابو عبد الله البستى ٣٧

- ١٤١ - ١٤٣ - ١٥١ - ١٥٢
 ١٦٣ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٨٨
 ١٩٠
 أبو فارس عبد العزيز الوزكيسى
 ٦٦ - ٦٨
 أبو فراس الحمداني ٦٨
 أبو الفرج بن الجوزي ٤٠
 أبو الفضل القاضي عياض ٧٢ - ٧٧
 أبو القاسم بن علي الشاطبي ٥٧
 ٩٦ - ١١٦ - ١٥٤
 أبو القاسم الزعري ١٩٣
 أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدي
 ٤٦ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧
 ٦٥ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٨٦
 أبو مالك عبد الواحد بن أحمد
 الشريف السجلاسي ١١١ - ١٥٢
 ١٥٥ - ١٦٦
 أبو مالك الوائشيسي ١٩١
 أبو المحاسن حسن بن أبي نعيم ١٥٠
 أبو المحاسن يوسف القاسي ٧٨
 ٨٠ - ٨٢ - ١٢٠ - ١٩٣
 أبو محفوظ محرز بن خلف ٦٠
 أبو محمد بن إبراهيم التامراتي ٥٤
 أبو محمد بن ياسين ١٩٤
 أبو محمد الحياط ٥١
 أبو محمد عبد القادر بن الشيخ
 السعدي ٢٤
- أبو عثمان سعيد بن أبي بكر
 المشترك ٢٦
 أبو عثمان الهلالي الروداني ١٦٧
 أبو العلاء أدريس ١٠٨ - ١١٠
 ١١١
 أبو علي حرزوز للمكاسي ٢٩
 أبو علي حسن بن عيسى المصباحي ٢٦
 أبو علي الحسن بن محمد
 الشريف ١٨٣
 أبو علي القوري ٨٣
 أبو علي اليوسي ١٤٦
 أبو عمران موسى بن أبي جمدي
 المعري ٣٧
 أبو عمران موسى بن مخلوف
 الكنسوسي ٥٧
 أبو عمران الوجاني ٣٤
 أبو عمرو القسطلي ٣٤ - ٤٨
 ٥٤ - ١٩٢
 أبو فارس بن المنصور السعدي
 ١٧٦ - ١٧٨ - ١٨٣
 أبو فارس عبد العزيز التباع ٨٨
 أبو فارس عبد العزيز الدباغ ١٠٣
 أبو فارس عبد العزيز الفشتالي ٩٠
 ٩١ - ٩٣ - ١٠٦ - ١١٢
 ١١٦ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٢
 ١٢٤ - ١٢٥ - ١٣٦ - ١٤٠

- أبو محمد عبد القادر البرنوى ١٠٣
 أبو محمد عبد الله بن حسين الحميدى ١٩٢
 أبو محمد عبد الواحد بن احمد الامغارى ٤٨ - ٨٨
 أبو محمد عبد الله بن ساسى ٨٧ - ٢٠
 أبو محمد عبد الله بن عمسر المضفرى ٣٦
 أبو محمد عبد الله بن على بن طاهر السجلماسى ٤ - ٥
 أبو محمد عبد الله بن محمد الجزولى ٨٩
 أبو محمد عبد الله بن محمد الفاسى ٥٥
 أبو محمد عبد الله بن محمد بن الهاشمى بن خضراء السلاوى ١٨٥
 أبو محمد عبد الله بن يعقوب السملالى ١٨٦
 أبو محمد عبد الله الغالب ٣١ - ٣٤ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩
 ٤٢ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٩
 ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤
 ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١ - ٨٨ - ٩٠
 ١٤٥ - ١٦٣
 أبو محمد عبد الله الكوش ٢٠ - ٢٦
 أبو محمد عبد الله الهبطى ٨٧
- أبو محمد عبد الواحد بن احمد الشريف السجلماسى ٥٦
 أبو محمد عبد الواحد بن احمد الوائشريسى ٢٢ ٢٣
 أبو محمد عبد الوهاب بن محمد ابن على الزقاقى ٢٩
 أبو محمد الغزوانى ١٦ - ٨٧ - ١٩٢
 أبو محمد مؤمن بن الغازى ٨٩ - ٩٣
 أبو مروان عبد الملك المعتصم بالله ابن ابي عبد الله الشيخ السعدى ٣١ - ٣٤ - ٣٧ - ٥٨
 ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩
 ٧٢ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٦ - ٨٨ - ٩٥
 ١٤٥ - ١٦٣
 أبو المعالى زيدان بن المنصور ٥٤
 أبو مهدى عيسى بن الحسن المصباحى ٥٨
 أبو مهدى عيسى بن عبد الرحمن السكتانى ٥٣
 أبو ميمونة ٨٩

٧٥ - ٦٩ - ١٦ الافرنج الفرنج	ابو التميم رضوان بن عبد الله
١٨٣ - ١١٣	الجنوى ٦٥ - ١٩١
الالمان ٨٢	ابو الوليد بن رشد ٧٧
بالانصار ١٠٨	أحمد بن الحسن الحفصى ٥٩ - ٦٠
أهل أزمور ٤٤ - ٤٥	أحمد بن الحسن ١٨١
أهل الاندلس ١٦٣ - ١٨٩	أحمد بن حو الدرعى ٥٨
أهل برنو ١٠٣	أحمد بن عبد الحق ١٧٤
أهل بلاد الهبط ١٢٠	أحمد بن على السوسى البوسعيدى ٧
أهل البيت ٩٦	أحمد بن عمر بن موسى ٨٣
أهل تونس ٥٩	أحمد بن محمد الصغير ١٨٠
أهل الجزائر ٦٢ - ٦٣	أحمد بن محمد بن موسى ٥٤ -
أهل درعة ٣ - ٩٥ - ١٧٥	١٨١
أهل درن ١٧٩	أحمد الهبطى ٥٧
أهل سجلماسة ٣	أحمد الستنى ٣٦
أهل السوس ٦ - ٧ - ٨ - ١٠	أحمد ١٧٣
١٧٥ - ١٨	اسماعيل بن الشريف ١٤٣
أهل السوس الأقصى ٢٩ - ٧٤	اسحق بن داود ١٠٢ - ١١١
أهل السودان ١٠٣ - ١١٤ -	اسحق سكية ١١٢ - ١٢٢ -
١٢٦ - ١٢٩ - ١٣١	١٢٣
أهل الشام ٧٤	الاصنبول ٥٩
أهل طرابلس ٦٢	الاصنبوليون ٨٥
أهل العدو ٧٠ - ٧٥	الاصنبوليون ٨٥
أهل غانة ١٠٠ - ١٠٣ - ١٣٣	الاروام ١١٣
أهل غرناطة ٥٤	الازيدانيون ٥
	الاعراب المغرب ١٣٢
	الاغا ٦٣

أهل فاس ١١ - ٢٢ - ٢٣ - ١٧٨	أولاد طلحة ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٨
أهل القصر ٧٨	أولاد القائد بركة ١٧٤ - ١٨١
أهل كانم ١٠٣	أولاد مطاع ٩٠ - ١٧٣
أهل كنوا ١٠٣	أولاد النقيس ١١٩
أهل مالى ١٠٠ - ١٠٣	أولاد يحيى بن غانم ١٧٤
أهل مراكنس ٣٤ - ٣٨ - ٧٨	حرف (ب)
أهل المشرق ١٨٩	البابا ٨٢
أهل المغرب ٥٤ - ٧٠ - ٨٢	بابا حمو اكران ١٧٢
١٣٣ - ١٨٩	بابا عبد القادر ١٧٢
أهل مملكة كوكو ١٠١	بابا عبد الله ١٧٢
أولاد ابى راس ١٧٣	بابا عبد الملك ١٨٢
أولاد ابى السباع ٨٧	بابا منصور ١٧٢
أولاد ابى الليف ١١٩ - ١٢٠	الباشا جؤدر ١٢١ -
أولاد ابى محمد عبد الله بن ساسى	١٢٢ - ١٢٣ - ١٦٣ - ١٦٤ -
١٧٨	١٧٦ - ١٧٧ -
أولاد ابى عزيز ١٧٣	الباشا محمود ١٦٣ - ١٦٤
أولاد جلول ٧٩	البخارى ٢٣ - ٣٦ - ٧٧
أولاد حسين ١٧٤	٩٠ - ٩٧ -
أولاد الشيخ أبى البقاء خالد	بختيار ١٦٣
المصودى ٣١	البرانس ١٤٥
أولاد الشيخ أبى زكرياء يحيى بن	البربر ٩٤ - ١٠٠ - ١٣٤
بكار ١٧٨	البرتغال ٦ - ٩ - ١٠ - ١١
أولاد الشيخ أبى عمرو القسطلى	١٢ - ١٣ - ١٦ - ٤٢ -

حرف (ت)

تاج الدين السبكي ٥٥
الترك - الاتراك ٢٥ - ٢٨ - ٣١
٣٣ - ٣٤ - ٣٩ - ٤٢ -
٤٣ - ٤٩ - ٥٤ - ٦٣ - ٦٤
٦٥ - ٨٥ - ٨٨ - ٩٥ - ٩٧
١١٤ - ١٣٠ - ١٤٥ - ١٧٠
١٧٢ - ١٧٤
التركوى ١٠١

حرف (ج)

جراوة ٦٨
جرمون ٦٤
جسيمة ٧
جلال الدين السيوطى ١٠٢

حرف (ح)

الحاج قرقوش ١١٧
الحاج محمد سكية ١٠١ - ١٠٢
حاجة ١٣
حام بن نوح ٩٩
الحبشة ١٠٨
الحران ٢٤ - ٢٥
حسن بن خير الدين التركى ٢٥ -
٣٩ - ٥٩
الحسن بن قاسم ٣

٦٩ - ٧٨ - ٨١ - ٨٢ -
٨٤ - ٨٥ - ٨٨ -
البرتغاليون ١٩ - ٢٠
البرزلى ٧٥
بغا ١٦٣
بركات ٧
بنو آقيت التكروريون ١٢٩
بنو ابى حفص ٥٩
بنو امغار ٨٨
بنو حسن ٩٨
بنو صالح ١٠٠
بنو صالح بن منصور الحميرى ٢٢
بنو راشد ٤١ - ٥٧
بنو سعد بن بكر ٤ - ٦
بنو العباس ١٠٩
بنو عبد الواد ١١٣
بنو مزين ٢٦ - ٣٠ - ١٠٣ -
١١٤
بنو معقل ٩٥
بنو وطاس ٧ - ١٠ - ٢٤ - ٢٨
٣١ - ٣٢
ابليدروش ٤٣
بهرام ١٨٦
بيلارباى ١٦٥

رفاعة الطهطاوى ١٨٣

رمضان العليج ٨٦

الروافض ٥١

الروم ٧٧

الريكى ٨٤ - ٩١

حرف (ز)

الزهرهونى ٥٤

زيدان بن ابى العباس أحمد الاعرج

السعدى ٣ - ١٢ - ١٨

زيدان بن المنصور ١١٦ - ١١٧

١٣٠ - ١٧٥ - ١٧٧ - ١٧٨

١٨٦ - ١٨٧

الزيدانيون ٩

حرف (س)

سبستان ٦٩ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣

٨٤ - ٨٦ - ٩١

سحابة الرحمانية ٦٢ - ٦٣

السعديون ٣ - ٤ - ٥ - ٦ -

٢٤ - ٣٠ - ٣١ - ٤٣

سعيد بن صالح ٢٢

سعيد بن على الحامدى ١٨

سعيد الرغالى ٦٤

السفاح ١٠٩

سكية ١٨٦

سلمان ١٦٢

الحسن بن محمد الحفصى ٥٩

الحسين العليج ٨٣

الحفصيون ٥٩

حليمة السعدية ٤

الحنفية ٧٦ - ٧٧

حيدر باشا ٦٠

حرف (خ)

الخزندار ٦٣

خير الدين باشا التركى ٥٩

الخيزران ١٧٧

خلفاء بنى العباس ١٣٠

حرف (د)

داود بن محمد ١٠٢

الدولاتى ٦٢ - ٦٣

دولة ابى حفص ٦١

دولة بنى زيان ٢٥

الدولة الحفصية ١٠٣

الدولة السعدية ١٦٥

دولة السعديين ٨ - ٥٥

دولة الشرفاء ٧

الدولة المرينية ٩٧ - ١٠١

الدولة الوطاسية ٣١

حرف (ر)

رضوان العليج ٨٠ - ٨٦

- سليمان العنماي ٣١ - ٣٢ -
 صالح التركماني ٢٨ - ٣٣
 الصدر الأعظم ٦٢
 صهاجة ١٠١
 حرف (ط)
 طاهرة ابنة المنصور السعدي ١٨٢
 الطليان ٨٢
 الطليطي ٢٢
 حرف (ع)
 عبدة ١٧٣
 عبد الرحمن بن تودة ٥٧
 عبد الصادق بن ملوك ٥٤
 عبد العزيز بن سعيد الوزكيثي
 ١٧٨
 عبد الكبير بن ابي عبد الله محمد
 القائم بامر الله السعدي ٩ ١١
 عبد الكريم بن الشيخ ٥٤
 عبد الكريم بن مؤمن العلج الجنوبي
 ٥٤ - ٥٧
 عبد الله بن حسين ١٠٠
 عبد المومن بن ابي عبد الله محمد
 الشيخ السعدي ٣٧ - ٥٩
 عبد المومن بن علي ٣٠ - ١٤٢ -
 ١٤٣
 عبيد الله المهدي السعدي ٢٢
 عثمان بن ابي عبد الله محمد الشيخ
- ٣٤ - ٣٣
 سليم بن سليمان العنماي ٣٤ -
 ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٨٥ -
 ١٠١
 سنان باشا ٦٠
 السودان ٩٩ - ١١١ - ١١٢
 ١١٤
 سيدة الملك ١٨٢
 حرف (ش)
 الشاطبي ١٥٢
 الشاطبي - القاضي - ١٦٧
 الشاوية ١٩٢
 الشراقة ٥١
 الشرقي ٥٤
 الششتري ١٥٢
 الشطبي ٥١
 الشياظمة ١٠ - ١٣ - ١٧٣
 الشيخ ابن زيدان ٤
 الشيخ التباع ١٩٣
 الشيخ عبد الجليل ١٦٧
 الشيعة ٥١
 حرف (ص)
 صالح باي ٣٢
 صالح بن عبد الله ١٠٠

حرف (ف)

برنسا ٩٢
فليب الثاني ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ -
٩١

حرف (ق)

قاسم بن حسن ٤
قاسم بن محمد ٤
قاسم الزرهوني ٣٠ - ٥٧
قائل الحوز ٤٢
قائل السوس ٧ - ٢٨ - ١٧٣
القبايل السوسية ١٢ - ١٨
قائل المغرب ٣١
قبيلة زمور ٧٩
قريش ١٠٨

حرف (ك)

كافو ١٠١
الكريشي ١٧٤

حرف (ل)

لسان الدين بن الخطيب ١٦٢
للم ١٣٣
لويز مارية ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ -
٤٥ - ٤٦ - ٨٥

حرف (م)

المالودي ٧٢
ماري زاطة ١٠١
مالك ٧٧

السعدي ٣٧

العجم ٧٦ - ١٦٣
المغرب ٥٠ - ٧٦ - ١١٦ -
١٦٣

عرب الودايا ٩٥

العرفية بنت خنجو ٣٠
عزوز بن سعيد الوزكيشي ١١٦
عقبة بن نافع الفهري ١١٦
تلوج ٩٦ - ١٦٣
العلويون ٣ - ٤ - ٥
على باشا ٦٠

على بن ابي بكر ٥٨
على بن مؤمن ٨٣
على بن محمد ١٧١ - ١٧٣
عمار ٧٤ - ١٦٣

عمر بن ابي عبد الله محمد الشيخ
السعدي ٣٧

عمر بن الحسن ابو الليف ١٢٠
عمر بن الخطاب ١٩٣
عمر بن محمد بن عو ١٧٣
عمر بن محمود آقيت ١٣٠
عمرو الساف ١٥
عميرة ١٨٦

عيسى بن ادريس الحسني ١٩٢
عيسى بن مريم ١٠٦

- المالكية ٧٧
 مؤمن بن ملوك ١٧٤ - ١٧٧
 مؤمن بن منصور ١٨٠
 المتنبى ٣٦
 محمد ابو طية ٨٣
 محمد الامين الدفترى ٩٧
 محمد بن ابى القاسم ٣
 محمد بن احمد بن عيسى ٥٧
 محمد بن الحسن الحفصى ٦٠ -
 ٦١
 محمد (فتحا) بن الشريف ٤
 محمد بن عبد الرحمن السجلماسى
 ٥٧
 محمد بن عبد الرحمن الوردى
 ١٨١
 محمد بن عبد القادر ١٥٠
 محمد بن على الانكراطى اليملالى
 ١٨
 محمد بن عمر الشاوى ٨٦
 محمد بن عيسى ٨٦
 محمد بن الغالب بالله ٤٩
 محمد بن موسى بن ابى بكر ١٧٩
 محمد الكبير ١٩٠
 محمد النفس الزكية ٣ - ٤
 محمود آقيت ١٢١
 محمود باشا ١٢٣
 محبى الدين بن عربى ١٤٤
 مخلوف بن صالح ١٤
 المرباط الاندلسى ٥٤
 المرباطون ١١٣ - ١٣٤
 مراد بن سليم العثمانى ٩١ - ٩٢
 ٩٦ - ٩٧ - ١٠٤
 مريم السعدية ٦٧
 المرينيون ١١٣
 المسيح ١٩١
 معاوية ٧٤
 مسعود أوتاودى ١٨١
 مسعود بن مبارك ١٨٢
 المسعود بن الناصر ١٦ ٨٩
 مسعودة الوزكيتية ٦٢ - ١١٧
 ١١٨ - ١٢٦
 مسعود الدورى ١٧٥
 مسعود الوصيف ١٧٩
 مسلم ٧٢
 المصامدة ٨
 مصطفى باشا ٦٠
 مصطفى باى ١٦٣
 المثلثون ١٠٠ - ١١٤ - ١٢٢
 المناهبة ١٧٣
 منسازطه ١٠١
 منسا سليمان ١٠١
 منسا موسى بن ابى بكر ١٠٠ -
 ١٠١
 المنصور بن ابى عامر ١٤٣

منصور بن المزوار ١٧٢	حرف (هـ)
المنصور العباسي ١٠٩	الهبطي ٥٤
منصور النبلي ١٧٦	هنتاة ١٥
موسى بن ابي جمدى العمري ٩٨	حرف (و)
موسى ١٣٣	ولد آصناك ٥٤
مولود المشاوري ١٦٤	ولد ابراهيم بن الحداد ١٨١
المهدي الفاطمي ١٨٦	الوطاسيون ١٢ - ١٦ - ٢١ -
منويل ٨ - ١٠ - ١٢ - ٢٠ -	٢٩ - ٢٤
٨٢ - ٨٣ - ٨٤	الوكيل ٦٣
الموحدون ١١٣ - ١٣٤ -	ولى الدين ابن خلدون ١٣٣
١٤٢	حرف (ي)
الميلودي ٤٤	البيستينى ١٩١
حرف (ن)	يحيى بن تافوت ١٠
النصارى ٧ - ١٠ - ١٢ - ١٥ -	البيكارية ٣٢
١٧ - ٢٠ - ٢٤ - ٤٣ -	يعقوب الكانمى ١٠٢
٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ -	يعقوب المنصور الموحدى ١٠٢
٥٩ - ٦٠ - ٦٩ - ٧٠ -	اليفرنى ٣ - ٥ - ٧ - ١٢ -
٧٥ - ٧٨ - ٧٩ - ٨١ -	٢٥ - ٣٠ - ٣١ - ٤٠ - ٤١ -
٨٢ - ٨٣ - ٨٥ - ٩١ -	٤٩ - ٥٤ - ١٤٣ -
١٧٤ - ١٨١ - ١٨٣ - ١٩٠ -	١٤٤ - ١٤٥ - ١٦٥ - ١٦٦ -
١٩١	١٦٩ - ١٨٧ - ١٩٣ -
الناصر بن الغالب ١٦ - ١٤٥ -	يوسف ١٨٢
١٤٦	يوسف بن تاشفين ٧٥ - ١٠٠ -
ناصر بوشنتوف ١١	١١٤
التجليز ٩٦	البوسفية ٥٠
	يونس بن سليمان التاملى ٥٨

فهرس الاماكن

ارض الصحراء ٩٨	حرف (أ)
ارض المغرب ٣٠ - ٨٣ - ٩٩	آزغار ٩٨
١١٤	آزمور ١٢ - ١٧ - ١٩ - ٢٠
ارض المغرب الاقصى ٦٣	٤٢ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦
ارض النوبة ٩٩	٨٨ -
الاوربا ٨٤	أسفى ١٠ - ١١ -
اسبانيا ٨٢ - ٨٥	١٢ - ١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٩
اشبونة ١٩ - ٤٣ - ٨٢ - ٨٤	٤٣ - ٤٤
اصطنبول ٦٠ - ١٠٤	آصلا ٧ - ١٧ - ١٩ - ٦٧
افريقية ٢٢ - ٩٩ - ١١٤	٧٨ - ١١٩ - ١٤٥
اقصى المغرب ١٢٥	آغمات ١٦٦ - ١٦٧
الاندلس ١٢ - ٦٤ - ١١٣ -	آفغال ١٣ - ١٤ - ١٨
١٤٣ - ١٤٥ - ١٥١ - ١٦٣	آفت ٧ - ٨
١٦٤ - ١٦٥	أكادير ١٠ - ١٢ - ٢٠ - ٣٠
اهرام القامرة ١٣٥	آلككال ٣٣
حرف (ب)	آيت عتاب ١٩٢
باب تونس ٦٠	ابو عفة - بتادلا ١٢
باب الحميس بمراكش ١٦ - ١٧٤	ابو غاص ٥٨
باب الفتوح بفاس ٦٤ - ١٩٠	ارض التكرور ١٠٠
١٩١	ارض الحجاز ٣
باب الشماين - احدى أبواب	ارض السودان ١١١ - ١٣٣

بلاد السوس ٧-٨٨	القرويين - ٢٣
البلاد السوسية ١٣-١٥-٢٠	باب عجيسة بفاس ١٤٠-١٩٠
بلاد عبدة ١٠	باب مصمودة بفاس ١٩٢
بلاد الغرب ١٨٦	باديس ٣٩
بلاد غمارة ٤١-١١٧-١٤٥	باريس ١٨٣
بلاد الفحص ١٧٢	البحر المحيط ٩٩-١٢٥
بلاد فشتالة ١٧٥-١٩٢	البديع ١٣٤-١٣٥-١٤٢
بلاد كوكو ١٠٠-	١٤٣-١٤٤-١٦٤
البلاد المراكشية ٦٥	برج العيون ٥٩
بلاد مصر ٩٩	برنو ٩٩-١٠٣-١٠٥-
بلاد المغرب ٦٩-٨٣-٨٦-	١١١
٩٩-١٣٧	البريجة ٤٢
البلاد المغربية ١٩٠	البيسون ٦٠
بلاد النوبة ١٢٥	بسيط عبدة ١٠
بلاد الهبط ٧-٤١-١١٧	القرويين ٢٣
البوغاز ٤٩	بلاد آل سككية ١٢٢
بوغاز طنجة ٤٨	بلاد الأفرنجية ١٣٥
بوياون ١٧٩	بلاد برنو ١٢٥
حرف (ت)	بلاد الترك ١٥٣-١٦٣
تاجمدارت ٧	بلاد تيكورارين ٤٠
تازا ١٤٥	بلاد درعة ١٢٦
تادلا ١٦-٢١-١١٧-١٧٥	بلاد حاحة ١٠-١٣٥-١٩٠
تارودانت ٨-١٠-١٤-٣٣-	بلاد الروم ١٣٥
٣٤-٩٠-١٦٧	بلاد السودان ٩٩-١٠٠-
تاستاوت ١٩٢	١٠١-١٠٢-١٠٥-١١٢
تافيلالت ١٢-٥١	١١٣-١٢٦-١٢٩

نسبة الكلاوى ١٢١	تافالت - ١٧٥
حرف (ج)	تامسنا ٧٨ - ٧٩ - ١١٦
جامع ابن يوسف ٣٩	تامصلوحت ٤٨ - ٨٨ - ١٨٠
جامع الاشراف ٣٩ - ٤١ -	تانسيفت ٢٠ - ٩٤
١٨٧ - ١٨٦	تاهدارت ٨٠
الجامع الاعظم بتونس ٦٠	ترغة ٤١
جامع القرويين ١١٨ - ١٤٥ -	تطاوين ٧٩ - ٨٤
١٩٠	التكروور ١٠٢ - ١٣٣
جامع المنصور بمراكش ٣٥ - ٥٢ -	تملسان ٤ - ٢٥ - ٣١ - ٣٤ -
١٦٤ - ٧٧	٣٦ - ٣٧ - ٥٩ - ٦١ - ٧٧
الجباية ١٤٦	١١٣ - ١١٤ - ١٣٠ - ١٧٠
جبال السوس ٦٧	١٧٢
جبل درن ١٠ - ٣٣ - ٦٨	تيسكسو ١٢١ - ١٢٣ -
جبل سكسيوة ٩٤ - ٩٥ -	١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٥ -
جبل موزالة ٩٥	١٨٦
الجديدة ١٧ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٥ -	توات ٩٨ - ١٠٥ - ١١٢
٤٦ - ٥٤ - ١٨٣	تونس ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ -
الجزائر ٢٥ - ٢٨ - ٣٢ - ٣٤ -	١٧٤ - ٧٧
٤٩ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ -	تيدسى ٨ - ١٢ -
٦٣ - ٨٨ - ٩١ - ٩٥ -	تيط ٨٨
١٧٤	تيكوراريسن ٩٨ - ٩٩ - ١٠٥ -
جزيرة مالطة ٨٥	١١٢
جسر وادى ام الربيع ١١٧	تيلمست ١٤
جعيدان ١٩٤	تينزرت ٦٨
جنان الصالحة ١٤٢	حرف (ث)
	الثغور الهبطية ٤٩

الركن ٦٤	جنوة ١٩١
الرملة ٥٨	حرف (ح)
الرملة ١٦٥	الحاجب ١٤٦
روضة السعدين ٣٥	الحجاز ٣ - ٩ - ١٠١ - ١٥٠
روضة الشيخ أبي زيد الهزيمى	حجر باديس ٧ - ٤٩
١٩٢	حصن الفتح ١٩٠
رومة ٤٤ - ٨٢	حصن فوتى ١٩
رياض الزيتون ٥٠	حلق الوادى ٥٩ - ٦٠
حرف (ز)	حمام المرنى ٣٧
الزاهرة ١٣٥ - ١٤٣ - ١٤٤	حومة المواسين ٣٩
الزهراء ١٣٥ - ١٧٧	حرف (خ)
زوراء العراق ١٣٦	خندق الريحان ٦٥
حرف (س)	خندق الوادى ١٧٩ - ١٨١ -
ساحل طيط ٤٣	حرف (د)
سبتة ٣٦ - ٤٨ - ٨٤ - ١١٩	دار الدينخ ١٧٤
سجلماسة ٣ - ١٨ - ٣٤ - ٥٩	درعة ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١
١٧٠ - ٩٩ - ٦١	١٢ - ٣٣ - ١٢١ - ١٩٠
سغاي ٩٩ - ١٠٣	الدعاع ٢٦ - ٥٨
سلا ٣٠ - ٦٥ - ٧٩ - ١٧٤	دمنات ١٨٠
١٧٥ - ١٧٩ - ١٨٣ - ١٩١	الدوح ١٧٥
السودان ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢ -	ديار الروم ٧٨
١٢٣ - ١٢٢ - ١٢١ - ١٠٤	حرف (ر)
١٣١ - ١٣٣ - ١٦٣ - ١٨٦	رباط الفتح ١٩١

حرف (ع)

العدوة ٧٩

عدوة فأس الاندلس ١٩٢

العرائش ٦٧ - ٧٩ - ٨٢ -

٨٣ - ٨٤ - ١٩٠

حرف (غ)

غانة ٩٩ - ١٠٠

الغرب ١٠٠ - ١٧٥

حرف (ف)

فأس ٤ - ٨ - ٩ - ١١ - ١٢

٢٢ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٨

٢٩ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٧ - ٣٩

٤٦ - ٥٥ - ٥٧ - ٥٨ - ٦٤ -

٦٦ - ٦٨ - ٧٩ -

٨٤ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ -

٩٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٦ -

٩٧ - ٩٨ - ١٠٤ - ١١٦ -

١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ -

١٢٦ - ١٤٦ - ١٦٦ -

١٧٠ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٩٠

١٩٢ - ١٩٣

فأس الجديد ٣٨ - ٥٥ - ٦٤ -

١٧٦ - ١٨٦

فحص طنجة ٥٨

فوتى ٢٠

السوس ٧ - ١١ - ١٣ -

١٩ - ٣٣ - ٣٦ - ٦٦ - ٦٨

١١٧ - ١٦٣ - ١٧٨ - ١٧٩

١٨٣ - ١٨٠

السوس الأقصى ١٠ - ٢٠

حرف (ش)

شالة ١٩٢

الشام ١٣٥

الشرق ٩٩ - ١٠٠

شفشاون ٤١ - ٥٧

شوشاوة ١٣٥ - ١٩٠

حرف (ص)

الصحراء ٩٥٠ - ١٠٠ - ١١٤

صعيد مصر ١٢٥

صقلية ٦٠

سوصو ٩٩ - ١٠٠

حرف (ط)

طرابلس ٦٠

طريق تاحضيشت ١٧٩ - ١٨٠

طنجة ٧ - ٥٨ - ٦٨ - ٦٩ -

٧٨ - ٧٩ - ٨٣ - ٨٨

حرف (ظ)

ظهر الزاوية ١٧٨

كوكو ٩٩

حرف (م)

مالى ٩٩ - ١٠٠
 المدينة ٦ - ٤١ - ١٥٠
 المدينة البيضاء ١٧٩
 المحمدية ١٨٠
 مراكش ٤ - ١١ - ١٤ - ١٥
 ١٦ - ٢٠ - ٢١ - ٢٤ -
 ٢٦ - ٢٨ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٥
 ٣٧ - ٣٩ - ٤٨ - ٥٠ - ٥٥
 ٥٧ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦
 ٦٧ - ٦٨ - ٧٣ - ٧٨ - ٧٩
 ٨١ - ٨٦ - ٨٧ - ٩١ - ٩٣
 ٩٤ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨
 ١٠٥ - ١١٠ - ١١٦ - ١١٧
 ١٢١ - ١٢٦ - ١٣٠
 ١٣١ - ١٤٣ - ١٦٥
 ١٦٦ - ١٧٠ - ١٧٢
 ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧
 ١٧٨ - ١٨٠ - ١٨٣
 ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧
 ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١

١٩٢

مرسى تطاوين ٩٦

مرسى طنجة ٤٩

المسجد الجامع بحومة باب كونة

حرف (ق)

فادس ٢٦ - ٨٣
 القاهرة ١٣٥
 قبور الاشراف ٣٤ - ٥٢
 ١٦٤ - ١٨٧
 القرويين ٩ - ١٩٣
 القسطنطينية ٣٢ - ٥٩ - ٦١
 ٨٦ - ٩١ - ٩٦ - ٩٧
 قنالة ٥٩ - ٦٠ - ٩١ - ١٤٥
 القصة بتونس ٦٠
 القصة بفاس ١٠٤
 القصة بمراكش ٥٢ - ٦٠
 ٦٧ - ١٨٧
 القصر ٥٨ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٤
 ١٢٠
 القصر الكبير ٨٦
 قصر كرامة ٨٠
 قلعة نكور ٢٢
 قنطرة عصماء ٥٨
 القيروان ٦٠

حرف (ك)

كانفو ٩٩ - ١١٢ - ١٢٢
 ١٢٣ - ١٨٦
 كانم ٩٩ - ١٠٢
 كتي ١٠٣

مملكة كاغو ١١١	بمراكش ١١٧
منار القرويين ٣٨	المسرة ١٢٥ - ١٤٢
حرف (ن)	الشتى ١٢٥ - ١٤٢ - ١٦٤
نهر سبو ٦٥	مصر ٣١ - ١٠١ - ١٠٢ - ١١٥
نهر ورغة ١٧٥	المغرب ٣ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨
النيل ٩٩ - ١٢٣ - ١٣٣	٩ - ١٠ - ١٢ - ١٣ - ٢٢
حرف (و)	٢٥ - ٢٨ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢
وادي ام الربيع ٣٠	٣٤ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٩ - ٦١
وادي تانسفيت ١٢١	٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٨
وادي سبو ٣٠	٦٩ - ٧٠ - ٨٢ - ٨٥ - ٨٦
وادي شراط ٦٥	٨٧ - ٨٨ - ٩٥ - ٩٨
وادي سلف ٢٥	٩٩ - ١٠٠ - ١٠٥ - ١١٤
وادي اللبن ٣٩	١٢٥ - ١٢٦ - ١٣١
وادي المخازن ٤٢ - ٨٠ - ٨١	١٤٥ - ١٥١ - ١٧١ - ١٨٦
٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩١ - ٩٥	١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
٩٨ - ١٦٣ - ١٩١	المغرب الأقصى ٣١ - ٤٩
وادي مضي ٣٦ - ٥٨	المغرب الأوسط ٢٤ - ٣١
وادي نول ٢١	١٧٢
وادي النجاة ٦٤	مكة ٩ - ١٥٠ - ١٩٢
وهزان ٤٩ - ١٨٦	مكناسة ٢١ - ٢٦ - ٧٩ - ٨٨
حرف (ي)	١١٧ - ١٢٦ - ١٧٨
ينبع النخل ٣ - ٥	١٩٢ - ١٩٤
	مليانة ٥٥
	مملكة برنو ١٠٣ - ١٠٤
	١٠٥

Bibliotheca Alexandrina



0362783